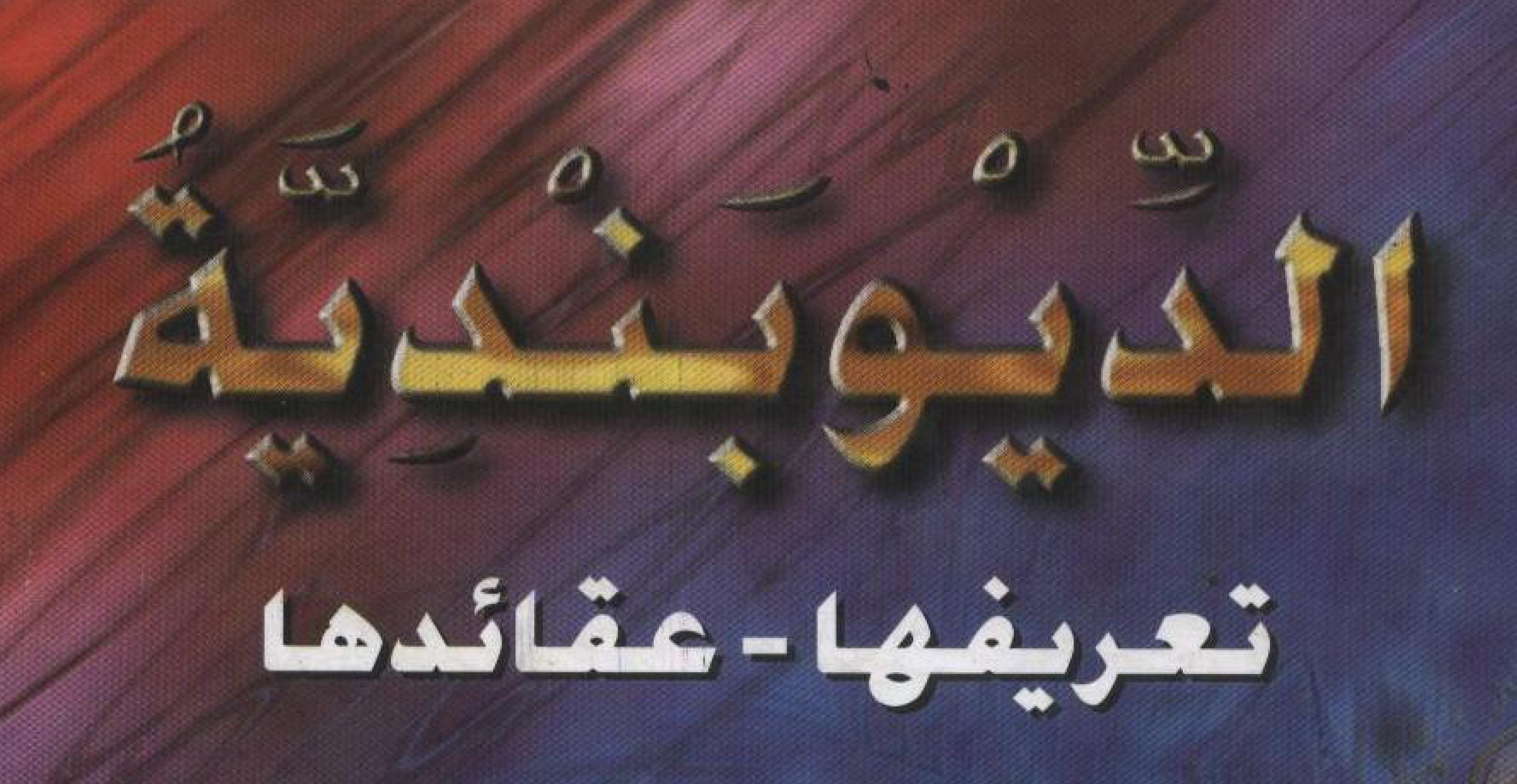


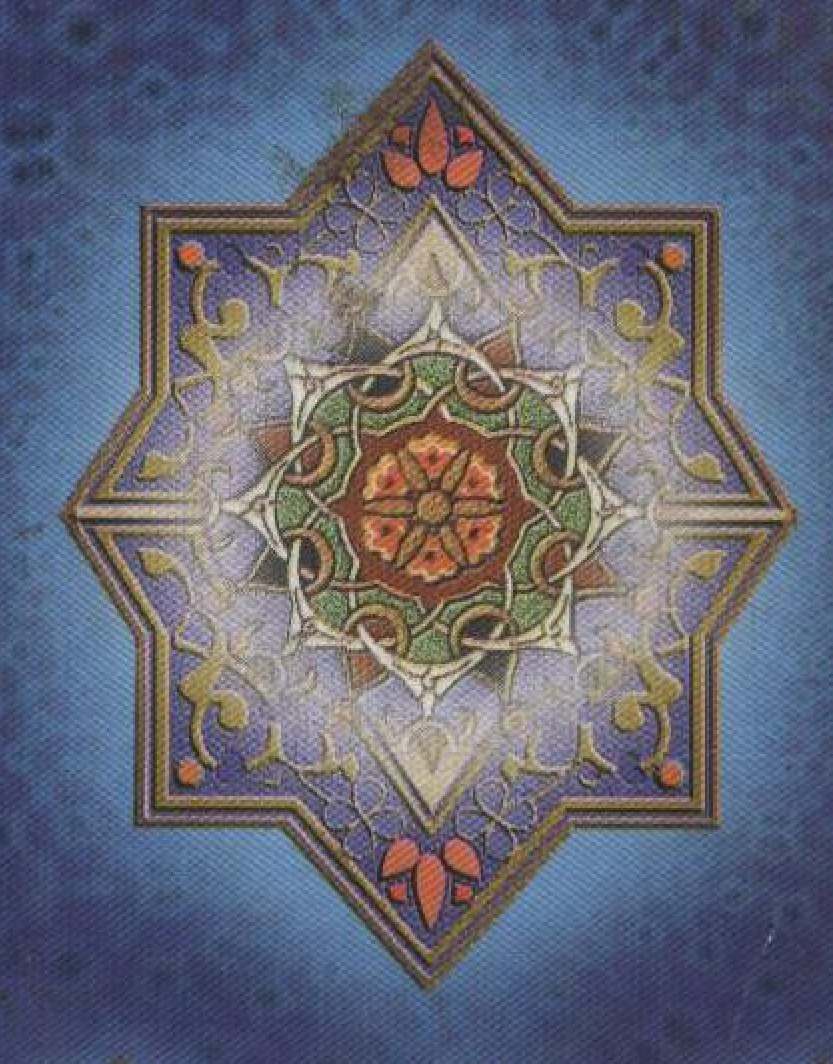
الديوبندية

تعريفها - عقائدها

تأليف

الأستاذ أبي أسامة

سيد طالب الرحمن





دار الصميعي للنشر والتوزيع



تعريفها - عقائدها

تأليف

الأستاذ أبي أسامة

سيد طالب الرحمن

دار الصميعي

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الصميعي للنشر والتوزيع

هاتف وفاكس : ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩
الرياض - السويدي - شارع السويدي العام
ص.ب : ٤٩٦٧ - الرمز البريدي ١١٤١٢
المملكة العربية السعودية

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين ، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن العقيدة الصحيحة بالغة الأهمية في حياة المسلم ، وهي التي أرسلت بها الرسل ، وأنزلت بها الكتب ، وقد مكث الرسول المصطفى ﷺ ثلاثة عشر عاماً في مكة المكرمة ، يدعو الناس إلى توحيد الله ، وإفراد جميع أنواع العبادة له سبحانه ، قال تعالى : ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ .

وقد أدرك أسلاف هذه الأمة أهمية العقيدة وعظم شأنها ، وعملوا لها وساروا على نهج المصطفى عليه الصلاة والسلام ، حتى وصلوا إلى كنوز كسرى وقيصر ،ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها ، ولكنه مع مرور الزمن بدأ الناس يتخلون عما كان عليه أسلافهم شيئاً فشيئاً ، ولا سيما أن مجتمعهم قد تأثر بأفكار جديدة جاء بها بعض أولئك الذين دخلوا في الإسلام من شتى بقاع العالم ، مما أدى إلى ضعف شوكتهم وقواهم المادية والمعنوية ، وظهور فرق جديدة ، كل فرقة تحمل معها عقائدها وأفكارها ، مالا علاقة لها بالعقيدة الصحيحة.

وقد انتشرت هذه الفرق في شتى بقاع العالم ، ولا سيما في شبه القارة الهندية ، وسيطرت أفكارها على الأذهان والعقول ، حتى أن بعض الناس بدأوا يهملون جانب العقيدة الصحيحة مع علمهم بها ، ويتغافلون

عنها ويتغامضون ، ولعل السبب في ذلك - والله أعلم - هو تأثرهم بالصوفية من ناحية ، ونظرتهم إلى المكانة الإجتماعية التي احتلوها لدى طائفتهم من ناحية أخرى ، ما لايترك لهم مجالاً للرد على الصوفية في أوهامهم وخرافاتهم ، ولا جرأةً على دعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة ، ونبذِ كل ما يخالفها من عادات وتقاليد .

كما أن طائفة من الناس قد افتتنوا بأنواع من الشرك والبدع والضلال، نتيجة جهلهم أو تأثرهم بالأوهام والخرافات أو إغواء الشيطان وتضليله إياهم، وهو من أخطر ما ابتليت به الأمة الإسلامية في أنحاء العالم كله، كدعاء الأموات ، والاستنجاد بالقبور والمقبورين ، والاستغاثة بالأحياء فيما لايقدر عليه إلا الله سبحانه ، وعقيدة كشف القلوب، وكشف القبور ، وتصرف الأولياء في الكون ، وتمثل أرواحهم في الأجساد ، وما إلى ذلك من أنواع الشرك والضلال ، أعاذنا الله منها جميعاً.

ومن الطوائف الإسلامية التي افتتنت بمثل هذه المعتقدات التي لا تخلو من الشرك بالله في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، طائفة **"الديوبندية"** بعلمائها وعامتها ، التي هي إحدى طائفتي الحنفية في شبه القارة الهندية ، والتي يتكلم عنها كتاب " الديوبندية " هذا ، الذي نقدّمه إلى القاري الكريم ، حتى يطّلع على هذه الطائفة ، وعلى ما يحمله علمائها وعامتها من معتقدات وأفكار ، في مسائل العقيدة والدين ، وفي كبار أئمة هذه الأمة وعلمائها .

وقد تم طبع كتاب " الديوبندية " ونشره للمرة الأولى في باكستان من المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعصرية (راولبندي - باكستان)

وهدفنا من تقديم هذا الكتاب هو أن يكون القاري على علم بهذه الطائفة وبما فيها من الأوهام والخرافات ، إن لم يكن هو من أهلها ، كما قلنا .

وأما إن كان القاري من الذين ينتمون إلى هذه الطائفة فيقارن بين معتقداتها وبين ما يعتقده السلف الصالح وكبار علماء الأمة في المسائل المذكورة في الكتاب ، ثم يعرض ما يعتقده هو على نصوص الكتاب والسنة وفتاوى كبار علماء الأمة ، عسى اللّه أن يمنّ عليه بتوفيقه ، ويمسك بيده إلى الصراط المستقيم ، كما أنه جلّ وعلا قد منَّ عليَّ - كاتب هذه السطور - بتوفيقه ، وهداني إلى مذهب السّلف ، بعد أن كنت متعلقاً ببعض تلك الأوهام والخرافات التي وجدت لدى طائفة الديوبندية ،وذلك بعد قدومي إلى بلد التوحيد المملكة العربية السعوية . فللّه الحمد والمنة .

ودار الصميعي إذ تقدم هذا الكتاب إلى القاري ، تسأل اللّه تعالى أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به مؤلفه ومهذّبه وناشره وقارئه وكلَّ من ساهم في إخراجه . واللّه من وراء القصد .

وصلى اللّه على عبده ورسوله محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .



مقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، و من يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد :

إن الديوبندية ينتمون إلى مدرسة ديوبند ، التي أسست في ١٥محرم سنة ١٢٨٣هـ في "ديوبند" بلدة من بلاد الهند ، وعني بتأسيسها الشيخ محمد قاسم النانوتوي ، وتحمل مسئولية تربية طلابها وتزكية نفوسهم وتصفية باطنهم زميله وخليله الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، وهكذا تم على أيدي هذين الشيخين تأسيس هذه المدرسة .

و علماء ديوبند مسلمون ديناً ، وأهل سنةٍ وجماعةٍ فرقةً ، وأحناف مذهباً ، وصوفية سلوكاً ، وماتريديون عقيدةً ، وجشتيون طريقةً ، بل إنهم يجمعون بين سلاسل الصوفية وطرقهم كلها ، ثم إنهم ينتمون إلى الشاه ولي الله فكرياً ، ويقلدون الشيخ محمد قاسم في الأصول ، والشيخ رشيد أحمد في الفروع ، وينتسبون إلى ديوبند.[1]

هـذا ، ومـن ناحية أخـرى فإن علماء ديوبـنـد يتبـرؤن من

(١) ملخصاً من كتاب "مسلك علماء ديوبند" ص ٧٧ .

"**أهل الحديث**" ويظهرون استئناسهم مع القبوريين البريلوية المبتدعة ، ويحاولون توطيد العلاقات معهم بحجة وأخرى.[1]

وبلغ بهم الحال إلى أنهم وجهوا سهام الطعن والإفتراء إلى كل من **شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية** [2] ، **والإمام**

---

(١) انظر على سبيل المثال ما كتبه الشيخ عبد الشكور الحنفي في مقاله ، وسيأتي ذكر جزء منه عند ما نذكر أقوال طائفة ديوبند في الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه.

(٢) انظر على سبيل المثال ما كتبه مؤلف كتاب "الإمام الكوثري" وفيه :

وغاب عن الدنيا بغيبة زاهد حديث وتوحيد وفقه عريقه
ويعصم بالبرهان رأى أئمة ويقصم شريراً تفشى مروقه

ثم قال في الحاشية :

المراد بالشرير "**ابن تيمية**" وكان الأستاذ حرباً على ابن تيمية وعلى سواه ممن حادوا عن جادة الدين [الكتاب المذكور ص ٧٨ ، ٧٩] وقال أيضاً : "كان من اللاعبين بدين الله" [ص ٢٣] .

وانظر أيضاً الأسلوب الجارح الذي استعمله الشيخ أنور شاه الكشميري في "فيض الباري" للرد على شيخ الاسلام ابن تيمية ، وعلى سبيل المثال أنظر ٥٩/١ - ، و ٤٣٣/٢ ، و ٦٨/٤ ، و ٤٧٤ وغيرها ، ومما جاء فيها :

«وأما الحافظ ابن تيمية فحققها في الخارج حتى قارب التشبيه ، كما كنت سمعت من حاله أنه كان جالساً على المنبر فسأله سائل عن نزوله تعالى فنزل ابن تيمية إلى الدرجة الثانية فقال هكذا النزول ، فحققه في الخارج و بالغ فيه حتى أوهم كلامه التشبيه» [فيض الباري ٤٤٧/٤] .

وانظر أيضاً ما كتبه الشيخ محمد حسن السنبهلي (١٣٠٥ هـ) في حاشيته "نظم الفرائد على شرح العقائد للنسفي" حيث ذكر عقيدة التفويض نقلاً عن الإمام الشوكاني ثم قال :

«خلفاء هذه الملة أربعة: ابن تيمية وابن القيم ، والشوكاني . فيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم وإذا انضمّ إليهم ابن حزم ، وداود الظاهرى بأن صاروا ستّة .=

ابن القيم [١]، والإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب [٢]، والعالم الرباني الداعية المجاهد الشاه محمد اسماعيل الدهلوي [٣] رحمهم الله تعالى- كما أنهم وجهوا سهام الطعن والإفتراء إلى حركة أهل الحديث - الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية - وخالفوها بكل ما استطاعوه، وما ذلك كله إلا خوفاً من التوهب و تزلفاً إلى البريلوية ، إخوانهم في العقيدة والمذهب الحنفي.

يقول الشيخ محمد إسماعيل السلفي - رحمه الله تعالى - في مقدّمته على كتاب "شرف أصحاب الحديث" للخطيب البغدادي [٤]:

=ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب.
وخاتم المكلّبين مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث، يشنع على أهل الحق في التنزيه». [انظر : حركة الانطلاق الفكري للعلامة محمد اسماعيل السلفي ص ١٩٥ ، ١٩٦] .
وأيضاً ما كتبه الشيخ ظفر أحمد التانوي - أحد تلامذة الشيخ أشرف علي التانوي - حيث قال :
«قلت : مما ردّه ابن تيمية من الأحاديث الجياد في كتاب " منهاج السنة " حديث رد الشمس لعلي رضي الله عنه.
ولما رأى الطحاوي قد حسّنه وأثبته، جعل يجرح الطحاوى بلسان ذلق و كلام طلق . وأيم الله إنّ درجة الطحاوى في علم الحديث فوق آلاف من مثل ابن تيمية، وأين لابن تيمية أن يكون كتراب نعليه!
فمثل هؤلاء المتشددين لا يحتج بقولهم إلا بعد التثبت والتأمل. والله تعالى أعلم».

(١) انظر "قواعد في علوم الفقه " للشيخ حبيب أحمد الكيرانوي الديوبندي ص ٤ وهي المقدمة الثانية لإعلاء السنن ، للشيخ ظفر أحمد العثماني الديوبندي.
(٢) سيأتي ذكر نماذج من هذه الطعونات في مكانها من هذا الكتاب ، إن شاء الله.
(٣) انظر على سبيل المثال ما كتبه الشيخ أنور شاه الكشميري في "فيض الباري" ١٧٠/١.
(٤) من هنا إلى نهاية المقدمة مقتبس من كلام العلامة محمد اسماعيل السلفي رحمه الله.

« وقد خالف هذه الحركة (**أهل الحديث**) فرق ثلاثة:

الأولى : الروافض ، لأنهم خالفوا أئمة السنة قديماً وحديثاً في العقائد وميلهم العام إلى الإعتزال في الصفات وغيرها ، وأئمتهم عندهم في الحقيقة أنبياء - وأعمالهم أيضاً تخالف أهل السنة والحديث.

والثانية : هم دعاة البدعة في الهند ، والمشركون عباد القبور ، فإن دينهم العوام ، كل ما تفعل العوام من القبائح والمعاصى فهولاء يطلبون لهم الماخذ والأدلة من الكتاب والسنة.

والثالثة : الأحناف المنتسبون إلى فقهاء العراق ، وهم (بزعمهم) شركاءنا فى التوحيد ، ومع هذا يدعون إلى التقليد والجمود خوفاً من التوهب ، لأن لفظة الوهابية اشتركت بحسب العرف بين إخواننا النجديين الذين استفادوا العلم والخير من الإمام محمد بن عبدالوهاب الحنبلي ، وبين أصحاب الحديث في الهند الذين فازوا بهذه النعمة عن إمام هذه النهضة وداعيها الإمام الشهيد إسماعيل بن عبد الغني بن شاه ولي الله السلفي.

وهولاء الفقهاء الأمجاد من أبناء ديوبند يخافون من "**الوهابية**" ويرتعشون منها، ويسبون الإمام محمد بن عبدالوهاب، عليه شهابيب رحمة الله، يقول شيخ الجامعة الديوبندية السيد أنور شاه في كتابه «فيض الباري» :

« أما محمد بن عبدالوهاب النجدي فإنه كان رجلاً بليداً قليل العلم ، فكان يتسارع إلى الحكم بالكفر، ولا ينبغي أن يقتحم في هذا الوادي إلا من يكون متيقظاً متقناً عارفاً بوجوه الكفر وأسبابه ».[1]

---

(١) انظر " فيض الباري على صحيح البخاري " ١٧١/١ .

« وقال رحمه الله ، في حق تقوية الإيمان : في محق الرسومات كتاب للشاه إسماعيل رحمه الله تعالى، سماه "إيضاح الحق الصريح" وهو أجود من كتاب تقوية الإيمان ، فإنه يحتوى على مضامين علمية ، وكتابه تقوية الإيمان فيه شدة فقلّ نفعه ، حتى إن بعض الجهلة رموه بالكفر من أجل هذا الكتاب ».[1]

هذا ما نصه الشيخ السيد أنور شاه الكاشميري في حاشيته على البخاري ، نحن نعلم أن الأستاذ أنور من رجال العلم ، له نظر بسيط في المتون والأسانيد ، وهو من فحول الحنفية تيقظاً وبصراً في الحديث ، مع أنه شيخ الحديث في جامعة ديوبند ، لم يفرق ولم يعثر على الفرق بين مقام العلم عامة وبين مقام التجديد ، فالعالم قد يفرح بعلمه المصطلح ولا يتجاوز نظره إلى إصلاح ما أفسد الدهر من طبائع الناس ، فيتكلم بالعلم المصطلح عنده غير ملتفت إلى ما تقتضيه الأحوال ، فيقول بألفاظ درسية كلامية ويفرح بما عنده من العلم ، متفوهاً بفوايد القيود ، متعرضاً إلى ما يتعارف الطلبة والمدرسون ، غير مبال بشدة المرض وأحوال المريض من الضعف والذبول ، فعلمه مع فرحه البالغ لا يفيد شيئاً ولا يغنى من جوع ، والمجدد ينظر بدقة وغموض إلى ما ابتلى به العامة والخاصة من أمراض القلب وشيوع الضلال والجمود فيهم ، وإلى علل وأسباب انتجت فيهم هذه الكوارث المهلكة ، فيتكلم العامة بلسانهم والخاصة بلسانهم ، انظر إلى مجدد وقته إسماعيل الشهيد الدهلوي تكلم رجالاً في " عبقاته

---

(١) "فيض الباري" ١٧٠/١ .

وتكلم رجالاً في تقوية الإيمان ، فلسانه في كلا المقامين فيه تغاير بيّن ، لو تكلم العامة بلسان " عبقات " ما أفاد شيئاً ولم يرجع إلا بخفى حنين ، ولو تكلم في عبقاته بما تكلم في تقوية الإيمان ما أفاد بفائدة ولم يعد بعايدة ، فإسماعيل مجدد الوقت ، عرف المقامين وسبر الرجال وأفاد كُلًّا بما يجب له ، والمسكين أنور شاه رحمه الله ، لم يرتفع مقامه من مقام التدريس ، فهو صادق في مقامه غير ملام فيما قال ، لأنه لم يمارس من مقاصد التجديد والإصلاح ما مارسه إسماعيل الشهيد ، وكذلك الإمام القدوة محمد بن عبدالوهاب ، هو إمام الحضر والبدو ، لم يتكلم في لهجة المتكلمين والمناطقة ، وهو رحمه الله وأعلى الله مقامه ، لم يكن مدرساً في الجوامع والمدارس ، بل هو خالط الناس وعرف أمراضهم الظاهرة والباطنة فكلمهم بلسان يفهمونه ، وعالجهم بمعالجات قد تمرن وتدرب هو وأمثاله بها، والأستاذ الثقة أنور مدرسٌ محقق في جزئيات الفقه ، حافظ للكنز والهداية ، فعرف دقائقها الفقهية ، ومقام الإصلاح والتجديد أرفع منه بمرات ، فإن المبتلى بالرخص المجرب للحيل لا يعرف مقام أرباب العزائم ، ولا يعرج معارج أهل التجديد. والعجب من جرأة الشيخ أنور أنه يزعم الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب " **بليداً قليل العلم** " والتجربة تشهد أن ذكاء الشيخ أنور وعلمه لم يفد شيئا سوى الجمود والتقليد ، ومحمد بن عبدالوهاب صار إمام النهضة وأصلح الله به بلادنجد واليمن والحجاز ، وتأثر من علومه السامية العراق والشام ومصر ، وعم فيوضه إلى أقطار البلاد الشاسعة ، فقلة علمه وبلادة طبعه أسمى وأحسن من ذكاء الشيخ أنور وعلمه ، لم يتجاوز من الجزئيات الفقهية والمسائل الخلافية الفرعية. واختلاف الروافض وتكفير أهل البدعة لا ينقص من مقام هذين الإمامين

شيئاً. فمن الذي لم يكفروه ، ومن الذي سلم من لسانهم ، وظني أن من حرم من إيذائهم فقد حرم رحمة الله الواسعة. فلينظر الأستاذ محمد أنور أنه مع ميله إلى البدعة وغموسه في بحار التصوف المصطلح المستحدث هل سلم من فتاواهم ، هل لم يكفروه وشيوخه ؟

وقال الشيخ حسين أحمد رئيس التدريس في دار العلوم بديوبند في رسالة " **الشهاب الثاقب** " يذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب النجدي يقول :

« اعلموا أن محمد بن عبدالوهاب ظهر أمره في أوائل القرن الثالث عشر في نجد ، وكانت له عقائد فاسدة ونظريات باطلة فلذلك قتل وقاتل أهل السنة وأجبرهم أن يذعنوا لعقائده ونظرياته ، وكان يستحل نهب أموالهم ويظن أن في قتلهم أجراً وثواباً ، سيما أهل الحجاز ، فإنه آذاهم أشد الإيذاء ، وكان يسب السلف الصالح ، ويأتي في شأنهم بغاية سوء الأدب ، وقد استشهد كثير منهم على يديه ، والحاصل أنه ظالم باغ سفاك فاسق ، ولذلك أبغضته العرب أشد من اليهود والنصارى »[1].

والحق أن الأستاذ حسين أحمد سكن في المدينة المنورة سنين عديدة في زمن الشريف والأتراك ، وهو قد عرف عقيدة الإمام محمد بن عبدالوهاب ، و " **كتاب التوحيد** " للإمام محمد بن عبدالوهاب وبعض

---

(١) انظر " الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب" لحسين أحمد المدني ص ٤٢ .

شروحه قد طبعت مراراً في الهند ، و وزعت مجاناً في مكاتب الهند ومدارسها ،وقد عمت دراسة عقائد علماء نجد وتصانيفهم وتاريخ ملوكهم قبل ذلك بسنين ، وكتاب ملوك العرب لأمين الدين الريحاني وكتاب حاضر العالم الإسلامي ، الترجمة العربية من الأمير شكيب أرسلان مع حواشيه المفيدة العلمية طبعت وعمت حتى لم تخل منها مكتبة في الهند ولا باكستان ، فاعتذار بعض الناس " إن الاستاذ حسين أحمد لم يعرف عقائد أهل نجد ولم يطلع على نظرياتهم عذر لا يعبأ به ولا يعتمد عليه ، بل الأستاذ خاف من أهل البدعة والشرك البريلويين ، وارتعش أن ينسبه الناس إلى الوهابية ، فسب الإمام وعلماء نجد ونسب إليهم ما ليس فيهم ، أعاذنا الله من الجبن وسوء المنقلب.

ومن العجائب أن الأستاذ حسين أحمد قلما يذكر في كتابه "الشهاب الثاقب" أهل التوحيد والسنة إلا ويطعن فيهم بالوهابية. وكلما يذكرهم إلا ويصفهم بالوهابية الخبيثة وذكر في الفرق بين الديوبندية والوهابية فذكر :

« إنا نتوسل بالأنبياء بل برجال شجرة أهل التصوف كالجشتية والنقشبندية وما سواهما من مشائخ السلاسل ، ويقول : والوهابية لا يتوسلون ، وذكر أن الأنبياء أحياء عندنا حياة حقيقية غير برزخية . بل سعيه أنه يمد باعه إلى البريلوية ويبقى عليهم إلقاء يقين أن الديوبندية والبريلوية سواء في تلك المسائل والوهابية الخبيثة مخالفون لنا في ذلك ».

أنا ممن يعلم الأستاذ حسين أحمد وأعرف أعماله السياسية القيمة وأعلم ابتلاءه وامتحانه وأيامه في سلطة إنجليز ، لكن تعترينى حيرة واستعجاب من عصبيته وضيق صدره في المسائل الفرعية الفقهية ومجادلاته مع أهل التوحيد ، أنا من محبيه بالغيبة وإن لم أره ولم أقرأ له كتاباً إلا كتابه هذا " الشهاب الثاقب ". اظنى شاكاً في علمه وذكاءه وحدة نظره وغفلته عن عواقب هذه التعصبات ، فإنه يقول قولاً سخيفاً أشبه بالكذب لا يبالى بما قال ، يقول في كتابه :

« إن الوهابية يسيئون الأدب بحضرة النبي ﷺ ويقولون ليس له علينا إلا فضيلة قليلة ، وليس له علينا حق ولا إحسان ، ولا يفيدنا شيئاً بعد موته ﷺ ، وتقول أكابر الوهابية : إن عصاى هذه أنفع لنا من النبي ﷺ ، أذود بها الكلاب وأدفهم بها ، والنبي ﷺ لا ينفع شيئا ».(١)

لقد رأينا كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء نجد ما رأينا ذلك في كتبهم ، ولم يحل لها حسين أحمد ولا أحد من رفقاءه وتلاميذه ، ولعله ، رحمه الله ، تتلمذ على إمام أهل البدعة الداعي إليها أحمد رضا البريلوي ، وكذلك هو ينفر من أهل الحديث السلفيين أشد النفار ما أشبه كتابه هذا بكتب أحمد رضا وأتباعه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وخليل أحمد وحسين أحمد و حسين علي من كبراء ديوبند فإنهم

---

(١)" الشهاب الثاقب " ص ٤٧ .

خوفاً من التوهب ، يسبون أهل التوحيد و يعاندونهم كل العناد ، فما بالهم فروا من المطر وقاموا تحت الميزاب.

يقول الشيخ أنور في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه :

« أما الحافظ ابن تيمية فإنه وإن نسب الزيادة والنقصان إلى إمامنا رحمه اللّه ، لكن في طبعه سورة وحدّة ، فإذا عطف إلى جانب عطف ولايبالى ، وإذا تصدى إلى أحد تصدى ولا يتحاشى ، ولا يؤمن مثله من الإفراط والتفريط ، فالتردد في نقله لهذا وإن كان حافظاً متبحراً ».[1]

فلينظر العاقل العارف بأحوال الرجال هل لرأيه هذا قيمة علمية ، لعل الشيخ الاستاذ المغفور محمد أنور لم يعلم أن نقده هذا على ابن تيمية قد أسقط رتبته العلمية في أعين أهل المعرفة ، ولعل أكثرهم يضحكون على رأيه السخيف الملوث بالعصبية ، يطعن على ابن تيمية بالسورة والحق أنه السائر والثائر عليه ، رحمه اللّه ، والعصمة للّه ، كيف اجترأ على تنقيص ابن تيمية وهو الإمام الحجة الثقة المتقن الغواص في بحار العلوم ، العارف بأقوال الرجال واختلاف المذاهب ، إن لم تؤمن على نقله فالعالم كله يؤمن بنقله و يعتمدون على علومه الجمة الزاخرة ، وهل هذا إلا سورة منك ، رحمك اللّه ، نشأت بين العصبية المنتنة والبغض الشديد لأهل التوحيد والسنة المتمسكين بأذيال الدعوة السلفية ، كأنك ، رحمك اللّه ، كوثرى أوانك ، تركماني زمانك لا ترغب في مؤمن إلًّا ولا ذمة ، أيش تقول **"إن محمد بن عبدالوهاب بليد قليل العلم"**

---

(١) " فيض الباري " ٥٩/١ .

وتقوية الإيمان لشدته لم يفد شيئاً " **وابن تيمية لسورته لا تعتمد على نقله "** أهذا علمك و ذكاءك رحمك اللّه . ألا ترى أن التوحيد الخالص القراني قد عمّ أقطارالبلاد بمساعى هؤلاء الأئمة رحمهم اللّه ، صدق المجربون أن الخفاش لا يفيدها ضوء الشمس وإن كان نصف النهار. أ . هـ .

ثم ترى علماء الديوبندية يدعون التزامهم بعقيدة التوحيد كالمتشبع بما لم يعط ، ويلبسون ثياب الزور ويلبسون على العامة وبعض الخاصة ، مع أنهم بعيدون عن عقيدة التوحيد كل البعد ، وهم منها وهي منهم براء ، وأشربوا في قلوبهم عقيدة وحدة الوجود ، سوف نذكر عقائدهم الزائفة والزائغة مع الإحالة إلى مصادرهم والكتب التي هي من تأليف كبرائهم وأئمتهم.

أعاذنا اللّه جميعاً من الزيغ والزلل ، وهدانا إلى صراطه المستقيم.

أبو أسامة / طالب الرحمن

الأستاذ بالجامعة الزراعية

ومدير المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعصرية

راولبندي - باكستان.



التعريف بالديوبندية

الديوبندية هم طائفة من الحنفية في شبه القارة الهندية وغيرها ، يسلكون مسلك جامعة " **ديوبند** " وينتمون إليها ، وذلك تمييزاً لهم عن إخوانهم " **البريلوية** " (*) إحدى طائفتى الحنفية ، الذين ينتمون إلى **إمام البدعة أحمد رضا خان البريلوي** ، الذي ولد بمدينة " **بريلي** " إحدى مدن ولاية أوترابراديش **بالهند** عام ١٢٧٢هـ ومات في ١٣٤٠ هـ.

و " **ديو بند** " هي بلدة في ولاية أوترا براديش ، اكتسبت شهرتها من أجل الجامعة الإسلامية الشهيرة " **دار العلوم** " التي تأسست فيها عام ١٢٨٣هـ ، والتي تعتبر فخراً واعتزازاً لها بلاشك ، وكان الهدف الأساسي من إنشاء هذه الجامعة هو تأييد المذهب الحنفي ونشره وإخضاع السنة النبوية وتطويعها للفقه الحنفي ،وهذه حقيقة لا مبالغة فيها ، فقد اعترف بها عدد من كبار علمائهم ،كما ذكر المفتي الشيخ محمد شفيع(١) أنه ذات يوم دخل على شيخه العلامة الشيخ محمد أنور الكشميري في حجرته

(*) لمعرفة تاريخ هذه الطائفة ومعتقداتها انظر كتاب " البريلوية - عقائد وتاريخ " للعلامة إحسان إلهي ظهير - رحمه الله تعالى - ولعل هذا الكتاب أوفى ما كتب في التعريف بهذه الطائفة.

(١) هو المفتي محمد شفيع الديوبندي (١٨٩٧م - ١٩٧٦م) أحد تلامذة الشيخ محمد أنور شاه الكشميري والمفتي عزيز الرحمن الديوبندي ، تخرج في جامعة ديوبند ثم عين فيها مدرساً ثم مشرفاً على دار الإفتاء بها ، وكان ممن بايع الشيخ محمود الحسن [انظر : " أكابرين تحريك باكستان " لمحمد علي].

قبيل صلاة الفجر ، فسمعه يقول ويردد هذه الفقرة : " يا للأسف قد ضيّعت حياتي كلها ".

فلما سمع الشيخ محمد شفيع شيخه الكشميري يردد هذه الفقرة عدة مرات قال له : يا شيخنا ! لقد قضيت حياتك كلها في تدريس القرآن والحديث ، فإذا كانت هذه المهنة تضييعاً للحياة فما رأيك في أولئك الذين انشغلوا بهذه المهنة؟

فأجاب عليه الشيخ الكشميري بقوله :

« إن الإسلام مهجوم عليه في جميع أنحاء العالم، ونحن مشغولون بتأييد الإمام أبي حنيفة وتوثيقه ، وردّ العلماء المخالفين له ونقدهم ، بدلاً من أن نواجه الهجمات الحقيقية ضد الإسلام ، فما هذا إن لمن يكن تضييعاً للحياة ؟» (١)

□ **ويقول الشيخ عبدالشكور الحنفي**(٢) في مقال له بعنوان " بركات ديوبند " وهو يتبرأ من الوهابية ويشكو ممن يسمون الديوبندية بالوهابية أو النجدية ، ما معناه :

---

(١) انظر مقدمة العلامة نذير أحمد الكشميري على كتاب " اللمحات إلى ما في أنوار الباري من الظلمات " للشيخ محمد رئيس الندوي ، ١/٥ .
وانظر أيضاً " وحدة الأمة " ص ١٣ .

(٢) عالم فقيه حنفي ، قرأ على مولانا عين القضاة في لكنؤ ، و ولي التدريس بالمدرسة الفرقانية لمولانا عين القضاة ، ثم اعتزل عنها عام ١٣٣٤هـ واشتغل بالتأليف والمناظرة ، وأسس مدرسة سماها " دار المبلغين " وذلك عام ١٣٥١هـ وتوفي عام ١٣٨١هـ – رحمه الله – [ملخصاً من "نزهة الخواطر" ٨/٢٥٣-٢٥٦] .

«لقد رفع الحساد المتأخرون أصواتهم (ضد علماء ديوبند) إلى حد إمكانياتهم ، فرموهم بأنهم وهابيون نجديون ، وأمطروا عليهم قنابل فتوى الكفر ، وحاولوا استئصالهم ما بين دار الكفر إلى دار الإسلام ، ولكنهم في عاقبة الأمر فشلوا كما فشلت الفتنة اللّهابية في عصر النبوة - على صاحبها الصلاة والسلام - ، إلى أن قال : إن المدرسة العالية بديوبند بر كاتها هي نفس بر كات أسرة ولي الله الدهلوي علماً وعملاً وصدقاً وإخلاصاً ، وأما من أراد أن يقول شيئاً في علمائنا حسداً من عند نفسه فليقل في بيته ما شاء أن يقول وهابياً أو نجدياً أو ملحداً أو كافراً أو مرتداً ، ولكن الحقيقة أن مدرسة ديوبند هي المدرسة الوحيدة التي تحمل رأية خدمة الإسلام الصحيح وتأييد المذهب الحنفي الخالص» .[1]

وأما الديوبندية من ناحية انتمائها إلى طرق التصوف وخزعبلاته ، وشطحاته ، فهي كما يقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري[2] - وهو

---

(١) انظر مجلة " القاسم " الشهرية (ديوبند) ص ٣ ، عدد : جمادي الأولى لعام ١٣٤٤ هـ ، وذلك نقلاً من كتاب " دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها " لمؤلفه أبو المكرم بن عبدالجليل السلفي ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) هو أحد كبار علماء الحنفية وفقهائهم ، قرأ العلم على مشايخ عصره في جامعة ديوبند وفي جامعة «مظاهر العلوم» بسهارنفور وغيرها ، وعين أستاذاً مساعداً في «مظاهر العلوم» ثم اختير أستاذاً في دار العلوم بديوبند ، وفي عام ١٣١٤هـ انتقل إلى «مظاهر العلوم» وتولى رئاسة التدريس فيها ثم نظارتها ، إلى أن=

يجيب على سؤال من الأسئلة التي وجّهت إليه من قبل بعض العلماء :

« ليعلم أولاً قبل أن نشرع في الجواب أنا بحمد الله ومشائخنا ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وجميع طائفتنا وجماعتنا مقلدون لقدوة الأنام وذروة الإسلام الإمام الهمام الإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه في الفروع ، ومتبعون للإمام الهمام أبي الحسن الأشعري والإمام الهمام أبي منصور الماتريدي رضي الله عنهما في الاعتقاد والأصول، ومنتسبون من طرق الصوفية إلى الطريقة العلية المنسوبة إلى السادة النقشبندية[1] والطريقة الزكية المنسوبة إلى السادة الجشتية[2] وإلى الطريقة البهية المنسوبة إلى السادة القادرية[3] وإلى الطريقة المنسوبة إلى السادة السهروردية[4]

=غادرها إلى الحجاز عام ١٣٤٤هـ، وتوفي بالمدينة المنورة عام ١٣٤٦هـ ، من مؤلفاته «البذل المجهود في شرح سنن أبي داود» و «المهند على المفند» وغيرها [انظر تفصيل ترجمته في "نزهة الخواطر" ٨/١٣٣-١٣٦] .

(١) نسبة إلى خواجه بهاء الدين بن محمد البخاري ، وغالب الحنفية على هذه الطريقة ، وهي مليئة بالخرافات ، وللنقشبندية فروع شتى منتشرة في بلاد الهند وخراسان وغيرها.

(٢) نسبة إلى معين الدين الجشتي ، وقد جُعل قبره وثناً يعبد في بلدة أجمير ، إحدى مدن الهند - وهذه الطريقة أيضاً منتشرة في بلاد الهند ولها فروع شتى.

(٣) نسبة إلى الشيخ عبدالقادر البغدادي الحنبلي رحمه الله ، وكان سلفي العقيدة ولكنه نسب إليه خرافات . والله أعلم .

(٤) نسبة إلى أبي حفص شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي ، وهي أيضاً مليئة بالبدع والخرفات. [انظر تفصيل هذه الطرق الأربعة ومراجعها في "الماتريدية" لشمس الدين السلفي الأفغاني ١٧٥/١ ، في الهامش].

رضـي الله عنهم أجمعين »[1]

□ **وقال الشيخ محمد يوسف البنوري**[2] وهو يشرح طريقة الديوبندية ومذهبهم :

« وطريقة الديوبندية التي كان عليها كبار علمائهم هو الإقرار بإمامة فقيه الأمة الإمام أبي حنيفة مراعاة لما للفقه والإجتهاد من مكانة عليا في الشريعة الغراء بعد الحديث النبوي الشريف.

وإنه لا بد من علوم الصوفية وعلوم تزكية القلوب المتناقلة عن أصحابها ، ولا بد من مزجها مع علوم الشريعة مزجاً صحيحاً.

ويعترف لابن تيمية بجلالة شانه وفي الوقت نفسه يعترف للشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي بكمالاته[3]

---

(١) " المهند على المفند " للشيخ خليل أحمد السهارنفوري ص ٣٠ . وكتاب «المهند» ألّفه السهارنفوري لبيان معتقدات علماء ديوبند وللرد على الإمام محمد بن عبدالوهاب ودعوته ، وسيأتي الكلام على هذا الكتاب في موضعه ، إن شاء الله تعالى .

(٢) كان علامة في المعقول والمنقول ، ومن العلماء الأفذاذ ، ومن كبار أئمة الديوبندية، كتب مقدمة فتاكة مسمومة لمقالات الكوثري سايرة في جميع ضلالاته وشتائمه لأئمة السنة وسلف هذه الأمة ، وكشف بهذه المقدمة عن حقيقته وحقيقة الديوبندية ، توفي في ١٣٩٧هـ [انظر التفصيل في "الماتريدية" لشمس الدين السلفي الأفغاني ، ٣٤٢/١ ، ٣٤٣] .

(٣) يقول الشيخ أنور شاه الكشميري في ابن عربي ما نصه : « وقد تفرد الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى ببعض المسائل أيضاً ، فإنه قد اعتبر إيمان فرعون وإن=

فاجتمع لدينا تقليد الإمام أبي حنيفة واتباع الأحاديث
النبوية مع علوم الصوفية [1] وتكوّن من هذا المزيج
(الثلاثي) مذهب رائع ألا وهو مذهب الطائفة
الديوبندية.[2]

السطور المذكورة أعلاه ، المأخوذة من أقوال أكابر علماء ديوبند وأساطينهم تدل دلالة واضحة على أن الطائفة الديوبندية هي طائفة حنفية ماتريدية ومنتسبة إلى طرق التصوف الأربعة المذكورة ، وأنه لا غنى لها عن شطحات التصوف وخزعبلاته ، التي لا علاقة لها بالإسلام ، ولا تعرف في كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ.[3]

=لم يكن توبة ، فيعاقب بما فعل لكنه لا يخلد في النار عنده ، ونسب بحر العلوم إلى الشيخ الأكبر رحمه اللّه تعالى قدم بعض الأشياء ، وظني أن تلك النسبة صحيحة » [انظر : " فيض الباري " ١٦٦/١] .

(١) يقول الشيخ أنور الكشميري في شرحه لحديث " ثم حبب إليه الخلاء " ما نصه: « وهذا على نحو من مجاهدات الصوفية وخلواتهم ، ثم إن إعتكاف الفقهاء وخلوات الصوفية عندي قريب من السواء . . . » [فيض الباري ٢٣/١] كما أنه ذكر الصوفية فدعا لهم بقوله « كثرهم اللّه تعالى » [فيض الباري ٢٤/١] .

(٢) انظر " مسلك علماء ديوبند " ص ٥ .

(٣) ولمعرفة موقف علماء أهل السنة من الإنتماء إلى طرق الصوفية إقرأ فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، وهذا نصه :
" **السؤال** : الطريقة المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر وأبي الحسن الشاذلي هل يكون على الإنسان حرج إذا دخل فيها وانتسب إليها وهل هي سنة أو بدعة؟
الجواب : روى أبو داود وغيره من أصحاب السنن من طريق العرباض بن سارية أنه قال : صلى بنا رسول اللّه ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول اللّه:=



=كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** » .

فأخبر رسول الله ﷺ بأنه سيقع في أمته اختلاف كثير وتتشعب بهم الطرق والمناهج وتكثر فيهم البدع والمحدثات ، وأمر المسلمين أن يعتصموا بكتاب الله وأن يتمسكوا بسنته ويعضوا عليها بالنواجذ، وحذرهم من التفرق والاختلاف واتباع البدع والمحدثات لأنها مضلة ومتاهات تتفرق بمن سلكها عن سبيل الله فوصاهم بما وصى به عباده في قوله سبحانه : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ وقوله : ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾ فنوصيكم بوصية الله ووصية رسوله وننصحكم بلزوم منهج أهل السنة والجماعة ونحذركم ما أحدث أهل الطرق من تصوف مدخول وأوراد مبتدعة وأذكار غير مشروعة وأدعية فيها شرك بالله أو ما هو ذريعة إليه كالاستغاثة بغير الله وذكره بالأسماء المفردة وذكره بكلمة آه وليست من أسمائه سبحانه وتوسلهم بالمشايخ في الدعاء واعتقاد أنهم جواسيس القلوب يعلمون ما تكنه وذكرهم الله ذكراً جماعياً بصوت واحد في حلقات مع ترنحات وأناشيد إلى غير ذلك مما لا يعرف في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ». - [فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٢/ ٢٠٠ ، ٢٠١].

مسألة وحدة الوجود

نقدم فيما يلي مقتطفات من أقوال كبار علماء الديوبندية ومشايخها وأساطينها ، في مسألة " وحدة الوجود " ، من الكتب. والمؤلفات الموثوق بها لديهم ، ونحاول قدر الإمكان عدم التعليق على هذه الأقوال ، إلا إذا كانت الحاجة ماسة إلى ذلك ، وفي نهاية الباب نقدم ملخص عقيدة أهل السنة في هذا الموضوع ، حتى يتمكن القارئ من المقارنة بين معتقدات الديوبندية ومعتقدات أهل السنة ، ومن اتخاذ الرأي الصحيح في هذا الباب ، وبالله التوفيق.

□ **يقول شيخ مشايخ الديوبندية الحاج إمداد الله المهاجر المكي[١] :**

" القول بوحدة الوجود حق وصواب ، وأول من

(١) هو إمام الطائفة وشيخ مشايخهم ، وقد بايعه على الطريقة رؤوس الديوبندية ، أمثال الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ محمد يعقوب والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي وغيرهم. وكان الشيخ زكريا - أمير جماعة التبليغ - يكثر الثناء عليه ويقول : إنه يصنع العلماء . وقد ذكر الشيخ حسين أحمد المدني بأن الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ذكره بالألقاب التالية :
« . . افتخار المشائخ الأعلام ، مركزالخواص والعوام ، منبع البركات القدسية ، مظهر الفيوضات المرضية ، معدن المعارف الإلهية ، مخزن الحقائق ، مجمع الدقائق ، سراج أقرانه ، قدوة أهل زمانه ، سلطان العارفين ، ملك التاركين ، غوث الكاملين ، غياث الطالبين ، الذي كلت ألسنة الأقلام من مدائح البالغة ، وأعجزت التوصيف شماله الكرام الساطعة ، يغبط الأولون =

خاض في المسألة هو الشيخ محي الدين ابن عربي ".[1]

ورأى ابن عربي وعقيدته في هذه المسألة لا يحتاج إلى البيان والإيضاح ، فإنه هو القائل :

« إن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق »[2]

=والآخرون من شعاره ، ويحسده الفاجرون والغافلون من دثاره ، مرشدي ، معتمدي ، وسيلة يومي ، وقدمي ، مولائي ومعتقي ، سيدي ، سندي ، الشيخ الحاج المشتهر بإمداد الله الفاروقي التهانوي ، سلمه الله تعالى بالإرشاد والهداية وأزال بذاته المطهرة الضلالة والغواية . . . . . الخ [انظر : الشهاب الثاقب ، ص ٦٠] . توفي بمكة عام ١٣١٧هـ [انظر تفصيل ترجمته في نزهة الخواطر ٧٠/٨ - ٧٢] .

(١) " شمائم إمدادية " للشيخ إمداد الله المكي ، ص ٣٢ .
يقول الشيخ حمود بن عبدالله التويجري - رحمه الله - رداً على محمد يوسف البنوري الذي قدح ابن عربي ، ما يلي :
« وأما ما ذكر عن البنوري من الثناء العاطر على ابن عربي ؛ فهو من أوضح الأدلة على زندقته ؛ لأن ابن عربي هو إمام القائلين بوحدة الوجود ، وأهل هذا المذهب من أكفر أهل الأرض ، وقد قال المحققون من أكابر العلماء : إن ابن عربي زنديق كافر . وقال بعضهم : إنه أكفر من اليهود والنصارى، وكتبه مملوءة بالكفر ، وقد قال الذهبي في كتابه " سير أعلام النبلاء " : « ومن أردأ تواليفه كتاب " الفصوص " ، فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر ،نسأل الله العفو والنجاة ، فوا غوثاه بالله» انتهى.
وإذا عُلِمَ هذا ؛ فليُعْلَم أيضاً أنه لا يمدح ابن عربي ويثني عليه بالثناء العاطر إلا مَن هو متّبع له على القول بالاتحاد الذي هو من أخبث أنواع الكفر ».
[انظر : القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ ، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري ، ص ١٣٣]

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٥٥٦ .

وقال :

« وفي كل شئ له آية ، تدل على أنه عينه ، فما في الوجود إلا اللّه ».(1)

وقد حاول الشيخ إمداد اللّه إثبات هذه العقيدة الزائفة والإستدلال عليها بآية من القرآن الكريم ، فقال :

« الرسول ﷺ متصل بالحق سبحانه ، فمن المسوغ أن نقول لعباد اللّه عباد الرسول ، ولهذا قال اللّه تعالى : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم** ﴾ وضمير المتكلم - المجرور بالإضافة - هو للرسول ».(2)

□ هذا ، وقد تبعه في ذلك **الشيخ أشرف علي التانوي**(3) وزاد عليه قائلاً :

« والقرينة أيضاً تؤيد هذا المعنى ، فإنه قال بعده : ﴿**لا تقنطوا من رحمة اللّه**﴾ ، فلو كان الضمير راجعاً إلى لفظ الجلالة لكان النظم « لا تقنطوا من رحمتي » ، حتى يتناسب مع قوله : يا عبادي »(4)

---

(1) " فتوحات مكية " ٢٧٢/١ .

(2) انظر " شمائم إمدادية " ص ٧١ .

(3) ستأتي ترجمته في مكانها ، إن شاء اللّه.

(4) " شمائم إمدادية " ص ٨٣ . - وقال الشيخ أنور الكشميري : قال مولانا الجنجوهي : إن إضافة العبد إذا كان إلى غير اللّه ، فلا يخلو إما أن يكون ذلك الغير معبوداً من دون اللّه أو لا ، وعلى الثاني إما أن يكون موهماً لها أو لا ، فالأول حرام ،والثاني إن كان موهما كره ، كعبد النبي ، وإلا لا ، فعبد العزى حرام ، وعبد النبي مكروه ، وعبد المطلب جائز » [فيض الباري ٢٨٧/٣] .

هكذا قال شيخ مشايخهم ومريده ، وكأنهما تناسيا قول الله تعالى :
﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ﴾.[1]

ثم أنه لم يقف عند هذا الحد ، بل أضاف عليه قائلاً :

« التفريق بين العبد والمعبود هو الشرك عينه ».[2]

ولذلك نادى بايزيد البسطامي وقال :

« سبحاني ما أعظم شأني ».

وجهر منصور الحلاج بقوله : « أنا الحق » .

وهؤلاء كلهم من خواص هذه الطائفة ، وهذه الأقوال كلها من هذا الباب (وحدة الوجود).[3]

ولم يكتف الشيخ إمداد الله بحكاية أقوال الوجودية ، بل أراد أن يضيف عليها فقال :

« العبد قبل وجوده كان هو الرب باطناً ، والرب هو العبد ظاهراً ، وعليه يدل (الحديث القدسي) : كنت كنزاً مخفياً »[4] ، وما مثل الخالق مع خلقه إلا كمثل

---

(١) سورة آل عمران، الاية : ٧٩ .
(٢) " شمائم إمدادية " ص ٣٧ .
(٣) " شمائم إمدادية " ص ٣٥ .
(٤) هو من روايات الصوفية التي لا أصل لها ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إنه ليس من كلام النبي ﷺ ، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف ، [انظر : المقاصد الحسنة ص ٣٢٧ ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة ١/٩٦] .

النواة مع الشجرة ، فإن الشجرة بأوراقها وأغصانها وأزهارها كانت مكنونة في النواة ، ولما أظهرت النواة ما في باطنها اختفت هي عن الأنظار ، فالناظر يرى الشجرة ولا يرى النواة ».[١]

هكذا قال الشيخ إمداد الله ونسي ما صرح به القرآن في محكم آياته ﴿ **لم يلد ولم يولد** ﴾.[٢]

كما أنه لم ينتبه إلى النتائج المستلزمة لهذا القول بحيث تكون المخلوقات كلها مظاهر للخلّاق العظيم ، بما فيها الكلاب والفيران والقطط وغيرها ؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ثم أضاف الشيخ إمداد الله قائلاً :

« من أراد أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوف ».[٣]

وقال مستدلاً بحديث « **من رآني فقد رأى الحق**»[٤] : « معناه من رآني فقد رأى الله تعالى ».[٥]

---

(١) ″ شمائم إمدادية ″ ص ٣٨ .
(٢) سورة الإخلاص ، الآية : ٣ .
(٣) ″ شمائم امدادية ″ ص ٤٩ .
(٤) تمام هذا الحديث « **من رآني فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتزى بي** » وهو حديث متفق عليه ، ومعناه واضح جداً ،ويزيده إيضاحاً قوله عليه الصلاة والسلام « **فإن الشيطان لا يتزى بي** » والمراد : من رآني فقد رأى الرؤيا الصادقة؛ نسأل الله العافية والسلامة من الزيغ والضلال .
(٥) ″ شمائم إمدادية ″ ص ٤٩ .

وقال أيضاً :

« إن الصوت الذي سمعه موسى ﴿**إني أنا ربك**﴾ إنما كان من باطن موسى نفسه ».[1]

□ **وقال الشيخ فضل حق الخير آبادي**[2] في كتابه :

« لو كلفت الرسل بالدعوة إلى وحدة الوجود لبطلت الحكمة التي من أجلها أرسلت الرسل ، فأمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ».[3]

فيا للعجب ! لو كانت عقيدة وحدة الوجود حقاً ، وعرفها الأنبياء والرسل ، أما كان عليهم أن يبينوها للناس ولا يكتمونها ؟ والله سبحانه يقول ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، فإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾.[4]

وقالت عائشة رضي الله عنها : « **من حدّثك أن محمداً كتم شيئا مما أنزل الله عليه فقد كذب** ».[5]

---

(١) " شمائم إمدادية " ص ٥٩ .

(٢) هو العالم الكبير العلامة فضل حق بن فضل إمام بن محمد أرشد العمري الحنفي الماتريدي الخيرآبادي ، أحد الأساتذة المشهورين ، لم يكن له نظير في زمانه في الفنون الحكمية والعلوم العربية ، [انظر : " نزهة الخواطر " ٣٨٣/٧] .

(٣) " الروض المجود " لفضل حق الخير آبادي ، ص ٤٤ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب معنى قول الله : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾.

□ **وقال الشيخ محمد أنور الكشميري** [1] في شرحه لحديث « لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل » الحديث ، وهذا نصه :

« وههنا بحث للصوفية في فضل القرب بالنوافل، والقرب بالفرائض ، فقالوا : إن العبد في القرب الأول يصير جارحة لله جل مجده ، والله سبحانه نفسه يكون جارحة لعبده في القرب الثاني ». [2]

وقال في شرحه لقطعة : « فكنت سمعه الذي يسمع به » :

« **قلت** : وهذا عدول عن حق الألفاظ ، لأن قوله: كنت سمعه الذي بصيغة المتكلم يدل على أنه لم يبق من المتقرب بالنوافل إلا بجسده وشبهه ، وصار المتصرف فيه الحضرة الإلهية ، وهذا الذي عناه الصوفية بالفناء في الله تعالى ، أى الانسلاخ عن دواعي نفسه حتى لا يكون المتصرف فيه إلا هو ، (إلى أن قال) وفي الحديث لمعة إلى وحدة الوجود ، وكان مشائخنا مولعون بتلك المسألة إلى زمن الشاه عبد العزيز ، أما أنا فلست

---

(١) هو أحد كبار فقهاء الحنفية وأساطين مذهبهم ،تخرج في جامعة ديوبند وولى التدريس في المدرسة الأمينية بدلهي ، ثم شغل رئاسة مشيخة الحديث في جامعة ديوبند ، وفي عام ١٣٤٦ هـ لجأ إلى الاعتزال عن رئاسة التدريس وشياخة الحديث فيها إلى جامع " دابهيل " بكجرات (الهند) وعكف على الدرس والإفادة فيها . وكان أحد نادرة عصره في قوة الحفظ وسعة الإطلاع في العلوم العربية الدينية . ويلقب " بالمحدث الكبير " و " إمام العصر " لدى طائفته، توفي عام ١٣٥٢ هـ [انظر تفصيل ترجمته في " نزهة الخواطر " ، ٨/٨٠ - ٨٤] .

(٢) انظر : " فيض الباري " ، ٤/٤٢٧ .

بمتشدد فيها ».[1]

وقال في شرحه لقول: فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق " ما نصه: «وفيه رائحة من وحدة الوجود، لأنه يدل على أن تلك الرحمة عينها جعلت بين العباد، مع أنها كانت جزء من أجزاء رحمة الرب، فما كان للرب جل مجده صارت للعباد بعينها، وهل الوحدة المذكورة ممكنة أو لا؟ فالوجه أنها ممكنة، إلا أن الغلو فيها غلو».[2]

□ **وقال الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي[3] في كتابه :**

« أريد أن أسجل هنا قصتين لأكابرنا كنموذج ، إحداهما رسالة سامية لشيخ المشايخ قطب الإرشاد حضرة الكنكوهي ، قدس سره ، التي كتبها إلى شيخه شيخ العرب والعجم الحاج إمداد الله أعلى الله مرتبته ، وهي مطبوعة في "مكاتيب رشيدية "أيضاً ، يقول : «إن إطالة الكلام إساءة أدب ، اللّهم اغفر ، فإنما كتب بأمر الشيخ ، أنا كذاب ، أنا لا شئ ، لا ظل إلا ظلك ، ولا وجود إلا وجودك ، من أنا ؟ لا شئ ، وما أنا هو أنت ، وتفريق أنا وأنت هو شرح محض ، أستغفر اللّه ، أستغفر اللّه ، أستغفراللّه ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه ».[4]

---

(١) انظر " فيض الباري " ٤٢٨/٤ .

(٢) " فيض الباري " ٣٨٧/٤ .

(٣) هو العالم الشهير ومؤلف كتاب "تبليغي نصاب " المحشو بالروايات الضعيفة والموضوعة ، وبالحكايات الغريبة وبأنواع من الأوهام والخرافات .

(٤) انظر " فضائل الصدقات " للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، ص ٥٥٦ .

ويقول في كتابه " **تبليغي نصاب** ":

« إن الحق سبحان منبع في الواقع لكل حسن وجمال ، والحق أنه لا يوجد في الكون جمال سواه ».[1]

وقال بيتاً في أبي منصور الحلاج المصلوب - الداعي المعروف إلى عقيدة وحدة الوجود - ما معناه :

« إنما صلب أبو منصور لتركه التأدب (مع الله) ، فقوله " أنا الحق " كان حقاً ، إلا أن فيه لفظ يؤدي إلى إساءة أدب ».[2]

هذا ، وقد قال " صوفي إقبال " - وهو من أخص أصحاب الشيخ محمد زكريا - بيتاً يمدح به الشيخ محمد زكريا ويذكر منّة على طائفته ، ما معناه :

" من الذي أوقفنا على سر الوحدة (وحدة الوجود) حيث بين لنا أن العشق والمعشوق والعاشق كلها شئ واحد ".[3]

□ **وفال الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي**[4] :

---

(١) انظر " تبليغي نصاب "فضائل القرآن ، ص ٣٠٠ .

(٢) انظر " ولي كامل " للمفتي عزيز الرحمن الديوبندي ، ص ٢٤٩ .

(٣) انظر كتاب " محبت " ، ص ٧٠ .

(٤) هو أحد أعلام الحنفية وأئمتهم في الفقه والتصوف . قرأ على كبار مشايخ عصره، حتى برع وفاق أقرانه في المنقول والمعقول ، وقد استفاد منه خلق كثيرون، كان زميلاً للشيخ محمد قاسم النانوتوى، ومشرفاً على جامعة ديوبند بعد وفاة زميله الشيخ النانوتوى ، له مؤلفات عديدة منها مجموعة فتاواه في مجلدات ، توفي عام ١٣٢٣هـ [ملخصاً من «نزهة الخواطر» ١٤٨/٨ - ١٥٢].

" إن نسبة الشيخ (قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم بديوبند) كانت مورداً لتجلي الذات المحضة ، يعني ذات الله سبحانه وتعالى ".[1]

☐ ويقول الشيخ أشرف علي التانوي[2] وهو يشرح قصة لطرد الجن أيام الشاه عبدالعزيز، والذي طرده هو الشيخ الشاه عبد القادر، يقول التانوي:

" هناك درجة للكاملين ،هي درجة "أبو الوقت"[3] ، من وصل إليها يصبح قادراً على أن

(١) أنظر " أرواح ثلاثة " للشيخ أشرف علي التانوي ، ص ١٨٥ .

(٢) تخرج في جامعة ديوبند ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار وأخذ الطريقة عن الشيخ إمداد الله المهاجر المكي، ثم رجع إلى الهند ودرس في مدرسة جامع العلوم بمدينة "كانفور" ، يقول عنه مؤلف "نزهة الخواطر" انتهت إليه الرئاسة في تربية المريدين وإرشاد الطالبين والإطلاع على غوائل النفوس ومداخل الشيطان ومعالجة الأدواء الباطنية والأسقام النفسية " - توفي في عام ١٣٦٢هـ ودفن بقرية "تهانه بهون" [انظر تفصيل ترجمته في "نزهة الخواطر"، ٥٦/٨ - ٥٩] .

(٣) إقرأ في هذا الموضوع فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، وإليك نص السؤال والجواب :

السؤال : ما معنى قول المنتسبين للتصوف إن فكنا صاحب الوقت ، وأنه من أهل التصريف ، وما حكم من يعتقد ذلك وهل تجوز الصلاة خلفه إن عرف عنه ذلك؟

الجواب : معنى إن فكنا صاحب الوقت الخ أن هناك من إليه شؤون الخلق من البشر ، ولديه القدرة على التصرف في أمورهم يفرج شدتهم ويفكهم ويخلصهم مما أحاط بهم من البلاء ويسوق إليهم ما شاء الله من الخيرات في نظرهم ،ومن اعتقد ذلك فهو مشرك مع الله غيره في الربوبية وتدبير شؤون الخلق ولا تصح الصلاة وراه ، ولا يجوز توليته أمر المسلمين ولا أن يجعل إماماً لهم في الصلاة لكفره الصريح وشركه البيّن ، وهو شرّ من شرك الجاهلية=

يورد على نفسه التجلي في أي وقت شاء ، كذا سمعت مرشدي ؛ فلا غرو أن يكون حضرة الشاه[1] قد أورد على نفسه تجلياً من الجبار ، فطرد الجن بالتوجه ، لكون هذا التجلي مظهراً لهذه الصفة ".[2]

□ **ومن أكابر الديوبندية الشيخ ضامن علي الجلال آبادي**[3] ، وفيما يلي نقدم إلى القارئ قصة تتعلق به ، وهي غريقة في عقيدة وحدة الوجود، وهي أيضاً تمثل معتقدات علماء ديوبند في المسألة ، يقول الراوي :

«ذات يوم سأل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري شيخه عن الحافظ لطافت علي ، المعروف بالحافظ "ميندهو" شيخ بوري فقال : "كان كافراً بحتاً" - ثم تبسم وقال :

" وأما ضامن علي الجلال آبادي فكان غريقاً في التوحيد ".[4]

=الأولى قال تعالى : ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ، فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون** ﴾ . إلى غير ذلك من الآيات .

[فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٢/١٨٦] .

(١) يريد به الشاه عبدالقادر.

(٢) انظر تمام القصة في " أرواح ثلاثة " للشيخ أشرف علي التانوي ، ص ٦٨ .

(٣) لم أقف على ترجمته .

(٤) الصوفية يسمون نظرية وحدة الوجود " توحيداً " وذلك تزويراً وتلبيساً ؛ وانظر القصة في " تذكرة الرشيد " لمؤلفه الشيخ محمد عاشق إلهي الميرتي ، ٢/٢٤٢.

وقال[1] مرة أخرى :

« إن عددا كبيراً من بغايا مدينة "سهارنفور" كُنّ من مريدي الشيخ ضامن علي ، فنزل يوماً عند واحدة منهن فاجتمعن في بيتها كلهن غير واحدة منهن ، فسأل الشيخ عن سبب غيابها ، فقلن بأننا قد حاولنا إقناعها للحضور لزيارتكم الكريمة ، ولكنها اعتذرت وقالت : أنا غريقة في المعاصي ، مسودة الوجه، بأي وجه استقبل الشيخ ، فألحّ الشيخ عليهن بإحضارها عنده ، فلما جئن بها وحضرت بين يديه، سألها عن سبب غيابها ، فقالت منعني الحياء أن أحضر في مجلسك الشريف وأنا عاصية مسودة الوجه ، فقال الشيخ: لم تستحين ؟ هل الفاعل والمفعول به إلا هو ؟ فما أن سمعت البغى مقال الشيخ حتى اشتعلت غضباً وقالت لا حول ولا قوة إلا بالله ، أنا عاصية مسودة الوجه ، ولكنني أتبرأ من مثل هذا الشيخ كل البراءة ، وتولت مدبرة والشيخ جالس ناكس الرأس ندماً وحياء » .[2]

☐ **ويقول الشيخ شبير أحمد العثماني في تفسيره لقوله تعالى :** " الله نور السموات والأرض " ما معناه :

« كل مخلوق حصل له نور الوجود من الله ،

---

(١) القائل هو الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي .

(٢) انظر تمام القصة في " تذكرة الرشيد " ، ٢٤٢/٢ .

فالقمر والشمس والكواكب والملائكة والأنبيآء والأوليآء أي نور فيهم ظاهري أو باطني فهو مستفاد من هذا المنبع النوري.

ويقول أيضاً :

« كان عليه الصلاة والسلام يدعو ربه في ظلمات الليل ويقول : « أنت نور السموات والأرض » ويسأله النور في سمعه وبصره وقلبه وجميع أعضائه ، ويقول في آخر دعائه : " واجعل لي نوراً " ، أو " وأعظم لي نوراً " أو "واجعلني نوراً " ».[1]

ويقول في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **لتعلموا أن الله على كل شئ قدير، وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً** ﴾. ما ترجمته :

« يروى عند الصوفية حديث " كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف " فالحديث وإن لم يكن صحيحاً عند المحدثين ولكن مفهومه لعله مأخوذ ومستفاد من هذه الآية »[2]

□ **ويقول مؤلف كتاب " انكشاف "** :

« الكشف الأكبر يسمى الكشف الإلهي أيضاً ، ويراد منه مشاهدة ذات الحق سبحانه ومعاينتها وإرتفاع

---

(١) انظر : تفسيره لسورة النور ، الآية: ٣٥ ، ص ٤٧٣ هامش (٦) .
(٢) انظر تفسيره لسورة الطلاق ، الآية : ١٢ ، ص ٧٤٢ ، هامش (٥) .

الحجابات والنسب جميعاً ، وهذا الكشف هو غاية السالك الأصلية ، فيرى الخلق عين الخالق بنور البصيرة ، كما يرى الحق عين الخلق ».[1]

□ **ويقول مؤلف كتاب " تعليم الإسلام " :**

« هناك مسألة في التصوف دقيقة جداً ، وهي مسألة وحدة الوجود ، وهي تعني أن الموجود كله الله ، ووجود ما سواه وهم وخيال ، كما يخيل الحباب ماء والثلج ماء ، كما يقول الشيخ جامي[2] : ليس في الكائنات غيرك شئ ، أنت شمس الضحى وغيرك فيئ ، والفيء هو الظل ».

ثم علق عليه المؤلف قائلاً :

« فعلم من ذلك أن قولهم " لا موجود إلا الله " كلام صحيح ».[3]



(١) انظر " انكشاف " ص ٣٦ نقلاً عن الكتاب «زيروزبر» للأرشد القادري.
(٢) شاعر فارسي صوفي معروف .
(٣) انظر كتاب " تعليم الإسلام" ، ص ٥٥٢ .

● رأي كبار علماء السنة في هذه المسألة ●

لقد وُجِّه إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء سوال حول حديث "كنت **سمعه الذي يسمع به . . .**" الذي يستدل به الصوفية على موقفهم الخاطئ ، وفيما يلى نص السوال والجواب :

السؤال: ما معنى قوله تعالى في الحديث القدسي: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها» ؟

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . **وبعد** :

الجواب : إذا أدى المسلم ما فرض عليه ثم اجتهد في التقرب إلى الله تعالى بنوافل الطاعات واستمر على ذلك وسعه أحبه الله تعالى ، وكان عوناً له في كل ما يأتي ويذر ، فإذا سمع كان مسدداً من الله في سمعه فلا يستمع إلا الخير ولا يقبل إلا الحق وينزاح عنه الباطل ، وإذا أبصر بعينه أو قلبه أبصر بنور من الله فكان في ذلك على هدى من الله وبصيرة نافذة بتأييد الله وتوفيقه، فيرى الحق حقاً والباطل باطلاً، وإذا بطش بشيء بطش بقوة من الله فكان بطشه من بطش الله نصرة للحق، وإذا مشى كان مشيه في طاعة الله طلباً للعلم وجهاداً في سبيل الله ، وبالجملة كان عمله بجوارحه الظاهرة والباطنة بهداية من الله وقوة منه سبحانه.

وبهذا يتبين أنه ليس في الحديث دليل على حلول الله في خلقه أو اتحاده بأحد منهم ، ويرشد إلى ذلك ما جاء في آخر الحديث من قوله تعالى :« **ولئن استعاذ بي لأعيذنه** » وما جاء في بعض الروايات من قوله : « **فبي يسمع وبي يبصر . . الخ** » فإن ذلك إرشاد إلى المراد في أول الحديث وتصريح بسائل ومسؤول ومستعيذ ومعيذ ومستعين ومعين ، وهذا الحديث نظير الحديث القدسي الآخر ، يقول الله تعالى : « **عبدي مرضت فلم تعدني . . الخ** » فكل منهما يشرح آخره أوله ، لكن أرباب الهوى يتبعون ما تشابه من النصوص ويعرضون عن المحكم منها فضلوا سواء السبيل »[1]

هذا ، وجاء في **فتاوى ابن العثيمين** :

«**المثال التاسع** : ذكر فضيلتكم قوله - تعالى - في الحديث القدسي « **ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه**».

وهذا حديث صحيح خرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ، ﷺ إن الله قال : « **من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب** » وذكر تمام الحديث .

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ١٥٨/٣ ، ١٥٩.

ولا ريب أنه لايراد من الحديث أن يكون الله - تعالى وتقدس - عين سمع الولي ، وبصره، ويده ، ورجله، ولا يمكن أن يقال إن هذا ظاهر الحديث لمن تدبره تدبراً جيداً حتى يقال إنه يحتاج إلى التأويل بصرفه عن ظاهره ، فإن في سياق الحديث ما يمنع القول بهذا ، وذلك أن الله - تعالى - قال فيه : « **وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه** ». وقال: « **ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه** » . فأثبت عبداً ومعبوداً. ومتقرباً ومتقرباً إليه . ومحباً ومحبوباً. وسائلاً ومسئولاً. ومعطياً ومعطى. ومتسعيذاً ومستعاذاً به. ومعيذاً ومعاذاً . فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين، كل واحد منهما غير الآخر. وعلى هذا فيمتنع أحدهما أن يكون وصفاً في الآخر ، أو جزءاً من أجزائه ، ولا يمكن لأحد أن يفهم هذا الفهم من مثل هذا السياق أبداً. اللّهم إلا أن يكون بليد الفكر ، أو معرضاً عن التدبر ، أو ذا هوى أعماه.

ولا يفهم أحد من مثل هذا السياق - إذا تدبره و كان ذا فكر سليم - إلا أن المراد به تسديد اللّه - تعالى - للعبد إدراكاً وعملاً ، بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره باللّه وللّه وفي اللّه ، وكذلك عمله بجوارحه فيتم له بذلك كمال الاستعانة والاخلاص ، والمتابعة غاية التوفيق . وهذا مافسّره به السلف وهو تفسير مطابق للفظ متعين بالسياق ، وليس فيه تأويل ولا صرف للكلام عن ظاهره وللّه الحمد والمنّة». [1]

---

(١) فتاوى ابن العثيمين ٢٥٧/١ ، ٢٥٨ .

وجاء فيه أيضاً والشيخ يذكر ثلاثة أقسام للفناء :

" **القسم الثاني** : صوفي بدعي وهو : الفناء عن شهود السوي أي عن شهود ما سوى اللّه تعالى ، وذلك أنه بما ورد على قلبه من التعلق باللّه عز وجل وضعفه عن تحمل هذا الوارد ومقاومته ، غاب عن قلبه كل ما سوى اللّه عز وجل ففنى بهذه الغيبوبة عن شهود ما سواه ، ففنى بالمعبود عن العبادة وبالمذكور عن الذكر ، حتى صار لا يدري أهو في عبادة وذكر أم لا ، لأنه غائب عن ذلك بالمعبود والمذكور لقوة سيطرة الوارد على قلبه.

وهذا فناء يحصل لبعض أرباب السلوك ، وهو فناء ناقص من وجوه:

الأول : أنه دليل على ضعف قلب الفاني ، وأنه لم يستطع الجمع بين شهود المعبود والعبادة ، والأمر والمأمور به ، واعتقد أنه إذا شاهد العبادة والأمر اشتغل به عن المعبود والآمر ، بل إذا ذكر العبادة والذكر كان ذلك اشتغالاً عن المعبود والمذكور.

الثاني : أنه يصل بصاحبه إلى حال تشبه حال المجانين والسكارى حتى إنه ليصدر عنه من الشطحات القولية والفعلية المخالفة للشرع ما يعلم هو وغيره غلطه فيها ، كقول بعضهم في هذه الحال : « سبحاني . . سبحاني أنا اللّه . ما في الجبة إلا اللّه أنصب خيمتي على جهنم » ونحو ذلك من الهذيان والشطح.

الثالث : أن هذا الفناء لم يقع من المخلصين الكمل من عباد اللّه ، فلم يحصل للرسل ، ولا للأنبياء ، ولا للصديقين والشهداء . فهذا رسول اللّه ، ﷺ ، رأى ليلة المعراج من آيات اللّه اليقينية ما لم يقع لأحد من البشر وفي هذه الحال كان ، ﷺ ، على غاية من الثبات في قواه الظاهرة

والباطنة كما قال اللّه تعالى عن قواه الظاهرة : ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾. وقال عن قواه الباطنة : ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾. وهاهم الخلفاء الراشدون أبوبكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي اللّه عنهم أفضل البشر بعد الأنبياء وسادات أوليائهم لم يقع لهم مثل هذا الفناء ، وهاهم سائر الصحابة مع علو مقامهم وكمال أحوالهم لم يقع لهم مثل هذا الفناء.

وإنما حدث هذا في عصر التابعين فوقع منه من بعض العباد والنساك ما وقع ، فكان منهم من يصرخ ، ومنهم من يصعق ، ومنهم من يموت وعرف هذا كثيراً في بعض مشايخ الصوفية.

ومن جعل هذا نهاية السالكين فقد ضل ضلالاً مبيناً ، ومن جعله من لوازم السير إلى اللّه فقد أخطأ.

وحقيقته : أنه من العوارض التي تعرض لبعض السالكين لقوة الوارد على قلوبهم وضعفها عن مقاومته ، وعن الجمع بين شهود العبادة والمعبود ونحو ذلك.

القسم الثالث : فناء إلحادي كفري وهو : الفناء عن وجود السوي . أي عن وجود ما سوى اللّه عز وجل ، بحيث يرى أن الخالق عين المخلوق ، وأن الموجود عين الموجد ، وليس ثمة رب ومربوب ، وخالق ومخلوق ، وعابد ومعبود وآمر ومأمور ، بل الكل شيء واحد وعين واحدة.

وهذا فناء أهل الإلحاد القائلين بوحدة الوجود كابن عربي ، والتلمساني وابن سبعين ، والقونوي ونحوهم . . . . وهؤلاء أكفر من النصارى من وجهين :

أحدهما : أن هؤلاء جعلوا الرب الخالق عين المربوب المخلوق و أولئك

النصارى جعلوا الرب متحداً بعبده الذي اصطفاه بعد أن كانا غير متحدين.

الثاني : أن هؤلاء جعلوا اتحاد الرب سارياً في كل شيء ، في الكلاب والخنازير والأقذار والأوساخ. وأولئك النصارى خصوه بمن عظموه كالمسيح ، وتصور هذا القول كاف في رده ، إذ مقتضاه : أن الرب والعبد شيء واحد ، والآكل والمأكول شيء واحد ، والناكح والمنكوح شيء واحد ، والخصم والقاضي شيء واحد ، والمشهود له وعليه والشاهد شيء واحد ، وهذا غاية ما يكون من السفه والضلال.

قال الشيخ رحمه الله : ويذكر عن بعضهم أنه كان يأتي ابنه ويدعى أنه الله رب العالمين ، فقبح الله طائفة يكون إلٰهها الذي تعبده هو موطوءها الذي تفترشه.(١)



(١) فتاوى ابن العثيمين ٤/٢٤٠-٢٤٢ .

عقيدة تصور الشيخ

إن عقيدة "تصور الشيخ" من أخطر معتقدات مشايخ ديوبند ، وهي عملية صوفية بحتة ، حيث يتصور السالك شيخه الغائب أو الميت ، ويحاول رسم صورته على قلبه ، حتى ترتسم فيه ، فإذا ارتسمت تكلم شيخه بواسطة هذه الصورة واستشاره في الأمور التي يريدها ، وفي هذه العقيدة ما فيها ، وسوف تتضح هذه العقيدة وما فيها من الانحراف بقراءة القصة التالية :

□ **قال مؤلف " أرواح ثلاثة " :**

« جرى نقاش في مجلس الشيخ الكنكوهي حول مسألة تصور الشيخ ، وكان الشيخ متحمساً فقال : أأقول؟ قالوا : قل ، ثم قال : أ أقول ؟ قالوا : قل ، ثم أعاد ثلاثاً وقال : أ أقول ؟ قالوا : قل ، فقال : لقد بقيت صورة الشيخ إمداد الله ثابتة في قلبي ثلاث سنوات كاملة ، وما عملت عملاً إلا بإذن منه ، ثم أخذه الحماس مرة أخرى فقال : أ أقول ؟ قالوا : قل ، فقال : مضت عليّ سنوات ورسول الله ﷺ في قلبي ، ولم أعمل خلال هذه المدة عملاً بدون سؤال رسول الله ﷺ عنه ، - ثم ازداد تحمساً وقال أ أقول ؟ قالوا: قل ، فسكت ، و لما ألحّوا عليه قال : دعوني ؛ وفي اليوم التالي لما ألحّوا عليه إلحاحاً شديداً أخبر بأنه ارتقى إلى مرتبة الإحسان»[1]

(١) انظر " أرواح ثلاثة " للشيخ أشرف علي التانوي ص : ٣٥٨ .

□ هذا ، وقد علق **الشيخ أشرف علي التانوي** على هذه القصة وقال :

« إن استحضار الصورة واستشارتها يحصل بملكة التخيل في أغلب الأحيان ، وقد تتمثل الروح جسداً خرقاً للعادة ، وكلتا الحالتين لا يلزمهما الدوام » .

ثم أخبر عن حاله وقال :

« كنت على صلة وارتباط مع الشيخ إمداد الله ، وكان هو في مكة وأنا في الهند ، فما قمت ولا قعدت إلا بإذن منه ، ثم كنت على صلة مثلها مع رسول الله ﷺ ».[1]

□ **ويقول الشيخ شبير أحمد العثماني** في تفسيره لقوله تعالى :

﴿ من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء . . . ﴾ الآية ، ما ترجمته :

« إن ضمير المفعول في "**لن ينصره**" راجع إلى النبي ﷺ ، الذي تصوره موجود دائماً في قلب كل تالٍ للقرآن ، لأنه ﷺ أول المخاطبين بالقرآن » .[2]

ولا شك أن هذا التفسير مبني على عقيدة تصور الشيخ لدى الصوفية ، حيث يعتقدون أن المريد حينما

---

(١) " إمداد المشتاق " للشيخ أشرف علي التانوي ، ص ١٩٩ .

(٢) انظر : تفسيره لسورة الحج ، الآية : ١٥ ، ص ٤٤٤ ، حاشية (٥)

يأخذ الورد من الشيخ فهو عند الذكر باللسان يتصور شيخه في القلب ، وبما أننا أخذنا القرآن الكريم من الرسول ﷺ فلا بد أن يكون تصوره موجوداً في قلب كل تالٍ للقرآن كلما قرأ القرآن.[1]

● رأي علماء السنة في هذه المسألة ●

يقول الشيخ حمود بن عبدالله التويجري - رحمه الله - رداً على ما قاله الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي :

« قلت : ما ذكر في هذه الجملة من الهوس فإنما هو من تضليل الشيطان له ، وتمكنه من إغوائه ، بحيث كان الشيطان يخيل إليه أن وجه الشيخ إمداد الله كان في قلبه ثلاث سنوات كاملة ، وأنه ما فعل شيئاً بغير إذنه ، وكان الشيطان يخيل إليه أيضاً أن رسول الله ﷺ كان في قلبه هذه السنوات التي زعم أنها كانت له مع شيخه إمداد الله ، وأنه ما فعل شيئاً بدون سؤال رسول الله ﷺ عنه !! ولا يخفى ما في هذا الكلام من مخالفة العقل الصحيح.

وعلى هذا ؛ فإنه ينبغي أن تضم هذه الجملة إلى أخبار الحمقى والمجانين » .[2]

---

(١) ملخصاً من مذكرة الشيخ محمد عثمان السّلفي ، بشئ من التصرف.

(٢) " القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ " للتويجري ، ص ١١٣ .

كما حكى العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي عن نفسه قبل أن يعتنق بمذهب السلف ، فقال :

« . . . . وهذا النوع من الشرك مشهور عند المتصوفة أصحاب الطرائق القِدَدِ. وأنا بنفسي حين طلبت الورد من الشيخ عبد الكريم المنصوري لأبايعه على الدخول في الطريقة التجانية لقّنني الأذكار وهي «لا إله إلا اللّه» مائة مرة ، « أستغفر اللّه » مائة مرة ، الصلاة على النبي بصلاة الفاتح مائة مرة ، قال لي « وإذا شرعت في الذكر فلتكن مستقبل القبلة ، جالساً كجلوسك للتشهد ، مغمض العينين ، لاتتكلم مع أحد ما دمت تذكر ، وتصور بقلبك صورة شيخك الشيخ أحمد التجاني ، وجهه أبيض ، مشرب بحمرة ، وله لحية بيضاء ، على رأسه عمامة ، فكنت أفعل ذلك ، وهو شرك وكفر ، ولكن التجانيين لا يؤمرون بذلك في الصلاة ، فهؤلاء زادوا على شركهم فنعوذ باللّه من الضلال ، فإن من ترك الكتاب والسنة واستبدلهما بأوهام المتصوفة لم يبق له دين ولا عقل ، كما قال الشافعي رحمه اللّه : « لو أن رجلاً صاحب الصوفية من الصبح إلى الظهر لذهب عقله ». قال محمد تقي الدين: وكذلك دينه وماله يذهبان أيضا وذلك هو الإفلاس العظيم » .[١]

---

(١) انظر " السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم " ص ٦٦ .

وقد ذكر الدكتور الهلالي نفس هذه القصة - قصة أخذ الورد من الشيخ عبد الكريم المنصوري - في موضع آخر في كتابه بشئ من التفصيل، وذلك رداً عل الشيخ حسين أحمد المدني فقال :

مقصوده بأذكار الأولياء الأوراد التي يعطيها شيوخ التصوف أتباعهم ويسمونها أوراداً ، وهي حبال يربطون بها أتباعهم ، وقد أخذت أحد هذه الأوراد وهو ورد الطريقة التيجانية وبقيت فيه تسع سنين ، وفي السنة الأخيرة صرت مقدما ، وبعد إنقضاء تسع سنين سافرت من وجدة إلى فاس لزيارة قبر الشيخ أحمد التيجاني واعتكفت عنده ثلاثة أيام وأنشدته ثلاث قصائد، طلبت منه فيها خير الدنيا والآخرة ، وكان ذلك في أوائل ربيع الأول سنة ١٣٣٨هـ. وبعد ذلك جمعني الله تعالى بأستاذي شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي أخرجني الله بدعوته من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد والسنة ، فإن قلت : وهل أخذ الورد يسمى شركاً ؟ **فالجواب** : سأحكي لك كيف أخذت الورد وتول أنت الحكم . كان عمري حين أخذت الورد عشرين سنة فتوجهت إلى الشيخ عبد الكريم المنصوري وقلت له أريد أن تعطيني وسد انطريقة انتيجانية فذهب بي إلى مكان بعيد من السوق وجلسنا على الأرض وقال لي : أبشر بخير فإن هذا الورد فيه فضائل كثيرة ، منها : أن صاحبه إذا داوم عليه إلى الموت يدخل الجنة بلا حساب

ولا عقاب ، هو ووالداه وأولاده وأزواجه ، لا الحفدة ، وهنالك فضائل أخرى ستجدها في كتب الطريقة ، فقال لي : إذا جلست لذكر الورد يجب أن تكون على طهارة تامة . طهارة الحدث ، وطهارة الخبث ، وأن تجلس كجلوسك للتشهد ، مستقبل القبلة ، ولا تتكلم في أثناء الذكر ، وإن غمضت عينيك فهو أحسن ، وتصور أمامك صورة الشيخ أحمد التيجاني ،ووجهه ، أبيض مشرب بحمرة ، ولحيته بيضاء ، وعلى رأسه عمامة ، وتصور أن عمودا من النور يخرج هن قنبه يبدخن قلتك ، وهذا يسمونه الاستمداد ، وهذا العمود الذي زعم أنه يخرج من قلب الشيخ ويدخل في قلبي ينور القلب ويشرح الصدر ، ويثبت الإيمان وهذا كفر ، لأن من اعتقد أن هداية القلوب يقدر عليها ملك ، أو نبي ، أو صالح ، فهو كافر . ومن المعلوم أن أبا طالب عمّ النبي ﷺ كان يحسن إلى النبي ﷺ وكان للنبي ﷺ بمنزلة الأب من حين كان عمر النبي ﷺ عشر سنين إلى أن صار عمره خمسين سنة ، وتحمل الشدائد والآلام والجوع والمقاطعة في نصرة النبي ﷺ ، ومع ذلك حين حضرته الوفاة ذهب إليه النبي ﷺ ووجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية ، فدنا منه وقال له يا عم: قل : «**لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله** ». فقال له الرجلان المذكوران وهما

من شرار كفار مكة : أترغب عن دين عبد المطلب ؟ يعنيان: كيف تترك دين أبيك وأسلافك وتدخل في دين جديد وأنت سيد قريش ؟ فكلما قال له النبي ﷺ ياعم: قل : « **لا إله إلا الله** » أعادا عليه مقالهما . فكان آخر كلامه هو أن قال : هو على دين عبد المطلب . فمات كافراً . فحزن عليه النبي ﷺ لأنه مات كافراً ، فأنزل الله تعالى عليه قوله في سورة القصص : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾. وقال النبي ﷺ : « **لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** » فاستغفر له حتى أنزل الله تعالى عليه من سورة التوبة : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ فترك النبي ﷺ الإستغفار لعمه.

فإذا كان النبي ﷺ لا يستطيع أن يدخل الهداية في قلب عمه الذي هو صنو أبيه ، كيف يستطيع شيخ الطريقة أن ينوّر بذلك العمود المكذوب قلب المريد ؟ فمن زعم أن غير الله تعالى - وإن كان ملكا أو نبياً - يقدر على هداية القلوب فهو كافر ، مشرك».[1]



---

(١) انظر " السراج المنير " ص ٣٨-٤٠ .

الإشتغال بأشغال الصوفية ووصول الفيوض الباطنية

□ سئل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

« هل يجوز عندكم الاشتغال بأشغال الصوفية وبيعتهم وهل تقولون بصحة وصول الفيوض الباطنية عن صدور الأكابر وقبورهم ،وهل يستفيد أهل السلوك من روحانية المشائخ الأجلة أم لا ».[1]

فأجاب عليه بقوله :

« يستحب عندنا إذا فرغ الإنسان من تصحيح العقائد وتحصيل المسائل الضرورية من الشرع أن يبايع شيخاً راسخ القدم في الشريعة زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة ، قد قطع عقبات النفس ، وتمرن في المنجيات ، وتبتل عن المهكات كاملاً مكملاً ، ويضع يده في يده ويحبس نظره في نظره ويشتغل باشتغال الصوفية من الذكر والفكر والفناء الكلي فيه ،ريكتسب النسبة التي هي النعمة العظمى والغنيمة الكبرى ، وهي المعبر عنها بلسان الشرع بالإحسان ، وأما من لم يتيسر له ذلك ولم يقدر له ما هنالك فيكفيه الانسلاك بسلكهم والإنخراط في حزبهم ، فقد قال رسول الله ﷺ : «المرء مع من أحب ، أولئك قوم لا يشقى جليسهم» ،

---

(١) هذا هو السؤال الحادي عشر من كتاب " المهند على المفند " .

وبحمد الله تعالى وحسن إنعامه نحن ومشائخنا قد دخلوا في بيعتهم واشتغلوا بأشغالهم وقصدوا الإرشاد والتلقين، والحمد لله على ذلك ، وأما الاستفادة من روحانية المشائخ الأجلة ووصول الفيوض الباطنية من صدورهم أو قبورهم فيصح على الطريقة المعروفة في أهلها وخواصها ، لا بما هو شائع في العوام ».[1]

□ **وقال الشيخ حسين أحمد المدني**[2] وهو يقارن بين أكابره وبين أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقائد :

« إن الوهابية يعدون الأشغال الباطنية وأعمال الصوفية كالمراقبة والذكر والفكر والإرادة وربط القلب بالشيخ والفناء والبقاء والخلوة وغيرها بدعة وضلالة ، و يرون أقوال هؤلاء الأكابر وأفعالهم شركاً في الرسالة . كما أنهم يرون الدخول في السلاسل الصوفية مكروهاً بل أقبح من ذلك ، كما لا يخفى ذلك على من سافر إلى الديار النجدية وخالطهم ، وأما الفيوض الروحية

---

(١) انظر " المهند على المفند " ص ٤٣ .

(٢) يلقب بشيخ الإسلام لدى طائفته ، تخرج في جامعة ديوبند وعيّن رئيساً للمعلمين وشيخاً للحديث فيها بعد الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ، وكان له موقف حاقد جداً ضد دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، كما يدل على ذلك مؤلفاته التي منها " الشهاب الثاقب " و " نقش حيات " وغيرهما ، وقد سبق ذكر بعض المقتبسات من كتبه ، ولمزيد من الإطلاع [انظر كتاب " دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها " لمؤلفه أبو المكرم بن عبدالجليل السلفي] .

فهي لا اعتبار لها عندهم ، وأما أكابرنا الأجلاء فينسلكون الطرق الصوفية الباطنية ، شعارهم الرياضة والفكر والذكر ».[١]

وقال أيضاً :

« الوهابية يعتقدون أن نفس ذكر مولد النبي ﷺ أمر قبيح وبدعة ، وقياساً على هذا يرون أذكار الأولياء أمراً قبيحاً ، وأما أكابرنا فيرون نفس ذكر مولده الشريف أمراً مندوباً و مستوجباً للبركة ، إلا أنهم يمنعون من تلك القيود التي زادها فيه جهلاء العصر . . »[٢]

ومما يتعلق بهذا الموضوع هو ماكتبه الشيخ شبير أحمد العثماني في تفسيره للقرآن الكريم في عدة مواضع ، ومنها :

□ **قال الشيخ شبير أحمد العثماني في تفسيره للبيعة في سورة الفتح** ، ما ترجمته :

« إن الرسول ﷺ كان يأخذ البيعة من أصحابه على الجهاد أحياناً ، وعلى الخير أحياناً ، كما جاء في صحيح مسلم ، وبيعة مشايخ الطرق مندرجة تحت هذا للفظ ، إذا كانت بطريقة مشروعة ».[٣]

وقال في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾. الآية . ما يلي :

---

(١) ملخصاً من " الشهاب الثاقب " ص ٥٩ ، ٦٠ .
(٢) ملخصاً من " الشهاب الثاقب " ص ٦٧ .
(٣) انظر تفسيره لسورة الفتح ، ص ٦٨١ ، هامش (١٣).

« المراد بعلم الكتاب المعاني والمطالب الضرورية ، الواضحة من العبارة ، والمراد بالحكمة الأسرار الخفية والرموز اللطيفة ».[1]

● رأي علماء السنة في هذه المسألة ●

لقد وجه إلى اللجنة الدائمة سؤال عن حكم الطرق والأوراد الصوفية، وفيما يلي نصه وجواب اللجنة عليه :

السؤال : حكم الطرق الصوفية والأوراد التي نظموها ورتبوها قبل صلاة الفجر وبعد صلاة المغرب ، وحكم من زعم أنه رأى النبي يقظة وسلم عليه بقوله : السلام عليك يا عين العيون وروح الأرواح؟.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . . وبعد :

الجواب : الطرق والأوراد التي ذكرتها طرق وأوراد محدثة مبتدعة ، ومن جملتها طريقة التيجانية والكتانية ، ولا يشرع من أورادهم إلا ما وافق الكتاب والسنة الصحيحة.[2]

ويقول علّامة المغرب الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ردّاً على

(١) انظر تفسيره لسورة البقرة ، الآية : ١٢٩ ، ص ٢٥ ، هامش (١).
(٢) انظر " فتاوى اللجنة الدائمة " ١٨٤/٢ - ولمعرفة موقف علماء السنة من الإستفادة من روحانية المشايخ ووصول الفيوض الباطنية من صدورهم أو قبورهم ، كما ذكره الشيخ السهارنفوري ، راجع موضوع " الاستغاثة بالصالحين بعد مماتهم " و " الاستفادة من المقبورين " في هذا الكتاب .

كلام الشيخ حسين أحمد المدني المذكور سابقاً :

« مقصوده أن يعيب على أهل السنة إنكارهم لبدعة المولد المأخوذة من النصارى في أواسط القرن الرابع الهجري ، أخذها منهم أبو القاسم العزفي من أهل سبتة ، ولم يأخذها من بعيد ؛ فإن سبتة مجاورة للأندلس ، وأهلها نصارى .

فيقال له : هذا المولد المقتبس من النصارى؛ من أحدثه؟ هل هو سنة أو بدعة؟ هل فعله رسول الله ﷺ أو الصحابة أو التابعون أو الأئمة المجتهدون أو أهل الحديث - كالسفيانين وعبداللّهِ بن المبارك ومالك وأحمد والبخاري ومسلم -؟ حاشاهم من ذلك » .

وأما قول حسين أحمد : « وقياساً عل هذا يرون أذكار الأولياء أمراً قبيحاً».

فقد قال الهلالي في الرد عليه: «مقصوده بأذكار الأولياء الأوراد التي يعطيها شيوخ التصوف أتباعهم ويسمونها أوراداً ، وهي حال يربطون بها أتباعهم».

إلى أن قال : «ثم يقال لحسين أحمد مطية الاستعمار الهندي : هذه الأذكار التي نسبتها لأوليائك - أولياء الشيطان -: هل جاء بها النبي ﷺ وعلمها أمته وورثها إياهم ، أم هي وحي أنزل على أولئك الأولياء لا يعرفه النبي ﷺ ؟

فإن قال : هي مما جاء به النبي ﷺ وورثها أمته ؛

صار أخذ الإذن فيها بدعة ، وإنما يعلم أهل العلم ألفاظها ومعانيها ، ولا تحتاج إلى إذن ؛ لأن الرسول ﷺ أعطاها أمته وأذن لها فيها.

ومن ضلالات المتصوفة أنهم يقولون : إن الذكر إذا أخذ بالإذن من الشيخ يكون أجره أعظم ، وإذا لم يؤخذ الإذن فيه من الشيخ يكون أجره أقل.

فمن ذلك قول التجانيين عن شيخهم - بزعمهم -: إن صلاة الفاتح لما أغلق إذا أخذت بالإذن من الشيخ أو ممن أذن له الشيخ ؛ تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن ، وإذا ذكرت بغير إذن ؛ فهي كسائر الصلوات ، لا فضل لها على غيرها!

فإذا أنكر الموحدون أوراد شيوخ التصوف ؛ فإنما أنكروا البدع المحدثة ، فمتى أعطى أبوبكرالصديق ورداً؟! ومتى أعطى عمر ورداً؟! وكذلك يقال في عثمان وعلى وسائر الصحابة ؟! وهل كانت في الصحابة طرق : طريقة بكرية ، وطريقة عمرية ، وطريقة عثمانية ، وطريقة علوية ، وطريقة جابرية ، وطريقة مسعودية ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

فحسين أحمد يعيب الموحدين لمحافظتهم على سنة النبي ﷺ ومحاربتهم البدع، فإذا عيرنا بمحبة سنة النبي ﷺ وترك البدع ؛ فقد مدحنا من حيث يريد ذمّنا ».[1]

---

(١) انظر " السراج المنير " للهلالي ، ص ٤٠، ٤١ ملخصاً .

قـراءة دلائـل الخيـرات وقصيدة البردة وغيرها

□ سئل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

" ما قولكم في تكثير الصلوة على النبي ﷺ وقراءة دلائل الخيرات والأوراد ".(١)

فأجاب على هذا السؤال بقوله :

" يستحب عندنا تكثير الصلوة على النبي ﷺ وهو من أرجى الطاعات وأحب المندوبات سواء كان ذلك بقراءة الدلائل والأوراد الصلوتية المؤلفة في ذلك أو بغيرها ، وكان شيخنا العلامة الكنكوهي يقرأ الدلائل وكذلك المشائخ الأخر من ساداتنا ، وقد كتب في إرشاداته مولانا ومرشدنا قطب العالم حضرة الحاج إمداد اللّٰه قدس سره العزيز وأمر أصحابه بأن يجربوه ، وكانوا يروون الدلائل رواية وكان يجيز أصحابه بالدلائل مولانا الكنكوهي رحمة اللّٰه عليه" (٢)

□ وقال الشيخ حسين أحمد المدني في كتابه :

" إن الوهابية الخبيثة ترى أن الإكثار من الصلاة

---

(١) هذا هو السؤال السابع من كتاب " المهند على المفند " .

(٢) انظر " المهند على المفند " ص ٤١ .

والسلام على النبي عليه السلام[1] ، وقراءة دلائل الخيرات وقصيدة البردة والقصيدة الهمزية وغيرها ، وجعلها ورداً أمر قبيح جداً ، كما أنهم يعدون بعض أبيات قصيدة " البردة " شركاً ، كبيت :

---

(١) يقول الشيخ حمود التويجري - رحمه الله تعالى - رداً على هذه الفريّة ما نصه :

« أما الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ على الوجه المشروع الذي علمه رسول الله ﷺ أمته ؛ فهو من الأعمال الصالحة التي يعملها أهل نجد ، ويحافظون عليها ، ويتقربون بها إلى الله تعالى، وقد تقدم بيان ذلك في الرد على قول حسين أحمد : « إن الوهابية يمنعون عن القول بالصلاة والسلام عليك يا رسول الله منعاً باتاً » ؛ فليراجع ، ومن زعم أن أهل نجد كانوا يمنعون من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ على الوجه المشروع الذي علمه رسول الله ﷺ أمته ؛ فهو كذاب أفاك .

وأما الصلاة على النبي ﷺ على الوجوه المبتدعة التي لا تخلو من الشرك والغلو والإطراء ؛ فهي من الأمور التي يجب المنع منها ؛ لما فيها من المحادة لله ولرسوله ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين ، والمنع منها من محاسن الأعمال ؛ كما لا يخفى على من نور الله قلبه بنور العلم والإيمان ». [انظر : القول البليغ ، ص ٩٠]

كما أن الشيخ - رحمه الله - علق على كلمة " الخبيثة " فقال:

« فجوابه أن يقال : هذا الوصف إنما ينطبق على المتلوثين بالشرك والبدع والعقائد الفاسدة من مشايخ التبليغيين وغيرهم من أهل الشرك والبدع والعقائد الفاسدة ، ومنهم الشيخ حسين وأضرابه من التبليغيين؛ فهؤلاء أحق بالصفة السيئة التي وصف بها أهل التوحيد والسنة ، وليست من صفاتهم ، وإنما هي من صفاته وصفات من كان على شاكلته ». [انظر: القول البليغ ، ص٨٤] .

*يا أشرف الخلق مالي من ألوذبه * سواك عند حلول الحادث العمم.*

وأما مشايخنا الأجلاء فكانوا يمنحون أتباعهم وثائق لقراءة " دلائل الخيرات " وغيرها ، ويأمرونهم بالإكثار من قراءتها ومن الصلاة والسلام على النبي عليه السلام ، وقد كان الشيخ الكنكوهي والشيخ النانوتوي رحمة الله عليهما يقرأن دلائل الخيرات كما أنهما منحا الإجازة لقراءتها لآلاف أتباعهما».[1]

● رأي علماء السنة في دلائل الخيرات وقصيدة البردة والقصيدة الهمزية

يقول الشيخ حمود بن عبدالله التويجري رداً على كلام الشيخ حسين أحمد المدني السابق ما نصه :

« وأما قراءة " دلائل الخيرات " وقصيدتين "البردة" و "الهمزية" ، وجعلها ورداً ؛ فهو أمر قبيح جداً؛ لما في هذه الثلاث من الغلو والإطراء الذي كان رسول الله ﷺ ينهى عنه ويشدد فيه ، بل إن قصيدتي "البردة" و "الهمزية" قد اشتملتا على الشرك الأكبر ، الذي هو أعظم الظلم وأقبح المنكرات وأشد المحرمات تحريماً ، فلا يجعل هاتين القصيدتين و "دلائل الخيرات" ورداً إلا من هو مفتون بالشرك والبدع والغلو والإطراء .

وقد قال الدكتور محمد تقي الدين الهلالي في

---

(١) " الشهاب الثاقب " ص ٦٦ .

الرد على حسين أحمد : « أما دلائل الجهالات والضلالات الذي سميته "دلائل الخيرات" ؛ ففيه ضلالات كثيرة :

منها قوله في ثلاثة مواضع : « اللّهم صلِّ على سيدنا محمد عدد معلوماتك وأضعاف ذلك ».

وقوله : « اللّهم صلِّ على سيدنا محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء ».

وقوله : « اللّهم ارحم سيدنا محمداً حتى لا يبقى من الرحمة شيء ، اللّهم بارك على سيدنا محمد حتى لا يبقى من البركة شيء».

فجعل معلومات اللّه معلومات محدودة ، وعدل عن الصلاة التي علمها النبي ﷺ جميع المسلمين ، واقتصر عليها أصحابه والتابعون لهم بإحسان ، وأحدث بدعة ، وألف كتاباً يتلى كما يتلى القرآن ، وابتدع زيادة: "سيدنا" » .

وللّه دَرُّ الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني إذ يقول في مدح شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب :

وَحرَّقَ عَمْداً لِلدَّلائِلِ دَفْتَراً	أَصابَ فَفيها ما يَجِلُّ عَنِ العَدِّ
غُلُوٌّ نَهى عَنْهُ الرَّسولُ وَفِرْيَةٌ	بِلا مِرْيَةٍ فاتْرُكْهُ إِنْ كُنْتَ تَسْتَهْدِي
أَحادِيثُ لاتُعْزَى إِلى عالِمٍ فَلا	تُساوي فُلَيْساً إِنْ رَجَعْتَ إِلَى النَّقْدِ
وَصَيَّرَها الجُهَّالُ لِلذِّكْرِ ضَرَّةً	تَرى دَرْسَها أَزْكى لَدَيْهِمْ مِنَ الحَمْدِ
لَقَدْ سَرَّني ماجاءَني مِنْ طَرِيقِهِ	وَكُنْتُ أَرى هٰذِي الطَّرِيقَةَ لي وَحْدِي

قال الهلالي : « وأما "البردة" و "الهمزية" ؛ ففيها من الشرك والضلال ما لا يرتضيه إلا كل مشرك دجال ؛ فمنها قوله :

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ — سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمَمِ

وقوله :

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا — وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالقَلَمِ

فماذا بقي لله تعالى ؟ ! قاتل الله الغلاة المشركين .

وفي "الهمزية" قوله :

يَا رَحِيماً بِالمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا — ذَهِلَتْ عَنْ أَبْنَائِهَا الرُّحَمَاءُ

يَا شَفِيعاً فِي المُذْنِبِينَ إِذَا أَشْفَـ — ـقَ مِن خَوْفِ ذَنْبِهِ البرآءُ

جُدْ لِعَاصٍ وَمَا سِوَايَ هُو الـ — ـعَاصِي ولكِنَّ تَنْكِيرِي اسْتِحْيَاءُ

وَتَدَارَكْهُ بِالعِنَايَةِ ما دامَ لَهُ — بِالذِّمَامِ مِنْكَ ذماء

وهذا شرك صريح وبهتان قبيح ، لايستسيغه إلا كل قلب مريض ؛ مثل قلب حسين أحمد نصير الشرك والوثنية» انتهى.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتابه " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد " : « وقد اشتهر في نظم البوصيري قوله :

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ — سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمَمِ

وما بعده من الأبيات التي مضمونها إخلاص الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات وأعظم الاضطرار لغير الله ، فناقضوا الرسول ﷺ بارتكاب ما نهى عنه أعظم مناقضة ، وشاقوا الله ورسوله أعظم مشاقة ، وذلك أن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة النبي ﷺ وتعظيمه ، وأظهر لهم التوحيد والإخلاص الذي بعثه الله

به في قالب تنقيصه ، وهؤلاء المشركون هم المتنقصون الناقصون، أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشد النهي ، وفرطوا في متابعته ، فلم يعبؤوا بأقواله وأفعاله ، ولا رضوا بحكمه ، ولا سلموا له ، وإنما يحصل تعظيم الرسول ﷺ ؛ بتعظيم أمره ونهيه ، والاهتداء بهديه ، واتباع سنته والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه، ونصرته ، وموالاة من عمل به ، ومعاداة من خالفه، فعكس أولئك المشركون ما أراد الله ورسوله علماً وعملاً ، وارتكبوا ما نهى الله عنه ورسوله ؛ فالله المستعان» انتهى كلامه رحمه الله.

وذكر الشيخ سليمان بن عبدالله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في كتابه "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" قول البوصيري:

إِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا   وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالقَلَمِ

ثم قال «فجعل الدنيا والآخرة من جوده ، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ ، وكل ذلك كفر صريح !

ومن العجب أن الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته عليه السلام وتعظيمه ومتابعته ، وهذا شأن اللعين ، لا بد أن يمزج الحق بالباطل؛ ليروج على أشباه الأنعام ، أتباع كل ناعق ، الذين لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق».

إلى أن قال : «وبالجملة ؛ فالتعظيم النافع هو : التصديق بما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، والإنتهاء عما عنه نهى وزجر ، والموالاة والمعاداة والحب والبغض لأجله ، وتحكيمه وحده ، والرضى بحكمه ، وأن لا يتخذ من دونه طاغوت يكون التحاكم إلى أقواله ، فما وافقها من قوله ﷺ ؛ قبله ، وما خالفها ؛ رده ، أو تأوله ، أو أعرض عنه » انتهى .[1]

---

(١) انظر : " القول البليغ " ص ٩٠ - ٩٣ .

الإستغاثة بأرواح الأولياء الأحياء

الإستغاثة بالأولياء الأحياء أو بأي إنسان ، فيما يقدر عليه المخلوق يختلف عن الإستغاثة بأرواح الأولياء ولو كانوا أحياء ، فالقسم الأول جائز شرعاً ، لا حرج فيه ، كاستغاثة الإنسان بأصدقائه في الحرب مثلاً.(١)

وأما القسم الثاني ، وهو الإستغاثة بأرواح الأولياء و في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا اللّه ، ففيه ما فيه ، كما أن هذه العقيدة تؤدي الإنسان إلى الشرك الأكبر ، إلا أن علماء ديوبند يرون الإستغاثة بالأرواح ، وأن الإنسان يملك التصرف وحتى بعد وفاته .

□ **يقول الشيخ مناظر أحسن الكيلاني (٢) :**

« فلسنا ننكر الإستغاثة بأرواح المشايخ ».(٣)

□ **وقال الشيخ نجم الدين الديوبندي :**

« إن علماء ديوبند لا يقولون إن الإنسان لا يتصرف البتة في حياته أو بعد مماته ».(٤)

---

١) انظر تفصيل هذا الموضوع في كتاب " كشف الشبهات " للإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه اللّه ، ص ٦٧ - ٧٠ .

(٢) أحد أبناء جامعة ديوبند ، ومن تلامذة الشيخ محمد أنور شاه الكشميري والشيخ شبير أحمد العثماني وغيرهما ، وكان من الذين بايعوا الشيخ محمود الحسن شيخ الهند ، توفي عام ١٩٥٦م [ملخصاً من : مشاهير العلماء ، للدكتور الحافظ فيوض الرحمن ، ٥٩٨/١] .

(٣) انظر " سوانح قاسمي " للشيخ مناظر أحسن الكيلاني ٣٣٢/١ ، في الهامش.

(٤) انظر كتابه " زلزلة در زلزلة " ص ١٠ .

□ **وتزيد هذه العقيدة إيضاحاً القصة التالية :**

« حكى الشيخ أشرف علي التانوي عن الشيخ نظام الدين عن الشيخ عبدالله هراتي قال حدثنا الولائتي وهو ثقة أن صديقاً له وكان من المبايعين على يد الشيخ إمداد الله المكي. سافر للحج راكباً في سفينة (باخرة). فاصطدمت بصخرة وكادت أن تغرق أو تصدم مرة أخرى فتنكسر قطعاً ، فأيقن بالهلاك و يئس من النجاة وفي هذه الحالة توجه نحو الشيخ والتمس منه العون قائلاً : أية ساعة أحرى أن تغيثني فيها من هذه الساعة ، والله سميع بصير ومدبر مطلق ، فخرجت السفينة سالمة ونجا ركابها ؛ هذا ما حصل في السفينة.

وأما ما حصل في بيت الشيخ ، فإنه في اليوم التالي أمر خادمه أن يكبس ظهره لألم فيه شديد، فرفع الخادم قميص الشيخ وهو يكبس ظهره ، فإذا فيه خداش وجلده منخرق من مواضع عديدة ، فسأل الخادم عن سبب خداش ظهره وإصابة جلده فقال الشيخ : ليس بشئ ، فأعاد عليه السؤال فلم يجب الشيخ ، فقال الخادم : يا سيدي أنك لم تخرج من بيتك، ولم تذهب إلى مكان فكيف خدش ظهرك؟.

فلما رآه ملحاً أجاب الشيخ قائلاً : إن باخرة كادت أن تغرق وفيها أخ لك في الدين والسلسلة

واقلقني تضرعه، فرفعت الباخرة على ظهري حتى جرت سالمة ونجا عباد اللّه ، فلعل هذا الخداش من أثره، ولذلك أحس بالألم ، ولكن لا تخبر بهذه القصة أحداً ».[1]

□ **وهناك قصة أخرى في هذا الموضوع** ، قريبةً من القصة المذكورة أعلاه ، ما ملخصها :

« روى الشيخ أشرف علي التانوي عن الحافظ عبد القادر التانوي عن الشيخ محمد قدس سره- يقول: ركبنا في الباخرة إلى الحج ، فجاءها الطوفان ، واستمر أياماً ، حتى وقعت الباخرة في الخطر ، وكادت أن تغرق، فنادى القبطان بأعلى صوته : الآن وقت الدعاء ، فليدعوا اللّه سبحانه - فجلست أنا في المراقبة، وطرأت عليّ كيفية خاصة ، وعرفت أن الباخرة قد حمل إحدى جناحيها الحافظ محمد ضامن علىٰ كتفه والأخرى الحاج المكي علىٰ كتفه ، حتى جعلاها مستوية على الماء، تجرى بالسلامة ؛ وفرح الناس فرحاً شديداً . وأما أنا فقد سجلت في دفتري هذه القصة بالوقت واليوم والتاريخ والشهر ، ولما رجعت من سفري هذا إلى قرية "تهانة" رأيت ما كنت قد سجلت في دفتري ، وسألت بعض الناس ، فأخبرني " قدرت علي الفنجابي " وكان من خدام الشيخ إمداد اللّه المكي ، وقال : في ذلك

---

(١) انظر " كرامات إمدادية " للشيخ أشرف علي التانوي ، ص ٧ - ١٨ .

الوقت أنا كنت حاضراً في خدمة الشيخ ، إذ خرج الشيخ من حجرته ودفع إليّ إزاره ، وهو مبتل ، و قال : اغسله بماء البئر ونظفه ؛ فلما شممته وجدت فيه رائحة ماء البحر ودسومته ، ثم خرج الحافظ ضامن علي من حجرته ودفع إليّ إزاره ، وفيه أيضاً أثر ماء البحر » [1].

□ **ومما يتعلق بهذا الموضوع هو ما قاله الشيخ شبير أحمد العثماني في** تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ الآية ، ما معناه :

« علم من هذه الآية الشريفة أنه لا تجوز الاستعانة حقيقة إلا بذات الله سبحانه ، إلا اذا كان العبد مقبولاً (مقرّباً) وجعلته واسطة محضة وغير مستقلة لحصول الرحمة الإلهية واستعنت به استعانة ظاهرة ، فهذا جائز ، لأنه في واقع الأمر هي استعانة بذات الحق سبحانه » [2].

هذه هي أقوال الديوبندية وحكاياتهم ومعتقداتهم ، التي تدل دلالة واضحة على تسرب الشرك فيهم بطريقة شعروا بها أو لم يشعروا بها . وأنه قد سبق شرك الأولين – مشركي مكة – الذين أخبر الله عنهم في كتابه أنهم في أوقات الشدة والضر ما كانوا يرجعون إلى أحد إلا الله تعالى ، وذلك لاعتقادهم أنه لا يملك كشف الضر عنهم غيره سبحانه قال تعالى: **﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر**

---

(١) ملخصاً من "كرامات إمدادية" ص ٧ – ١٨ .

(٢) انظر تفسيره لسورة الفاتحة ، الآية : ٥ ، ص ٢ ، هامش (٥).

إذا هم يشركون ﴾.[1]

وقال تعالى : **﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين ﴾**.[2]

وقال تعالى : **﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ﴾**.[3]

وقال تعالى : **﴿ وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ﴾**.[4] - وما إلى ذلك من الآيات .

□ **يقول العلامة محمود الألوسي** مفتي الحنفية ببغداد (ت ١٢٧٠هـ) وهو يذكر صورة لأحوال المسلمين في عصره ، ما نصه :

« وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر . دعوا من لا يضر ولا ينفع ، ولا يرى ولا يسمع ، فمنهم يدعو "الخضر" و "إلياس" ومنهم من ينادي "أبا الخميس" و "العباس" ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة ، ومنهم من يتضرع إلى شيخ من مشائخ الأمة ، ولا ترى فيهم أحداً يخص مولاه بتضرعه ودعاه ، ولا يكاد يمر له ببالٍ أنه لو دعا

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٥ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٢٢ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٦٧ .

(٤) سورة لقمان ، الآية : ٣٢ .

الله وحده ينجو من هاتيك الأهوال.

فبالله تعالى عليك ، قل لي : أي الفريقين - مشركي مكة الذين كانوا يدعون الله وحده في الفلك ، وعباد القبور من أهل الزمان - من هذه الحيثية أهدى سبيلاً ؟ وأى الداعين أقوم قيلاً ؟.

وإلى الله المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة ، وتلاطمت أمواج الضلالة ، وخرقت سفينة الشريعة ، واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة ، وتعذَّرَ على العارفين الأمر بالمعروف ، وحالت دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف »[1].

● رأي علماء السنة في هذه المسألة ●

لقد وجّه إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، سؤال في هذا الموضوع ، وفيما يلي نص السؤال والجواب :

السؤال : هل يمكن أن يعين ولي من أولياء الله أحداً من بعيد ، مثلاً يسكن رجل في الهند ويسكن ولي في السعودية ، فهل يمكن أن يعين السعودي الهندي إعانة بدنية مع أن السعودي موجود في السعودية والهندي موجود في الهند؟

الجواب : يمكن أن يعين الأحياء من الأولياء

---

(١) "روح المعاني" للآلوسي ١١/٩٨ .

وغير الأولياء من استعان بهم في حدود الأسباب العادية، يبذل المال أو شفاعة عند ذوي سلطان مثلاً أو إنقاذ من مكروه ونحو ذلك من الوسائل التي هي في طاقة البشر، حسب ما هو معتاد ومعروف بينهم .

أما ما كان فوق قوى البشر من الأسباب غير العادية ، كالمثال الذي ذكره السائل ، فليس ذلك إلى العباد ، بل هو إلى الله وحده لا شريك له ، فهو القادر على كل شيء ، وهو الذي إليه السنن الكونية ، يمضي منها ما شاء أو يخرق منها ما شآء ، ولهذا كانت له دعوة الحق وإليه الملجأ وحده وبه العون دون سواه ، فإنه وحده الذي أحاط بكل شيء علماً ووسع كل شيء حكمة ورحمة .

ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى وهو على كل شيء قدير . قال تعالى : ﴿**ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾. وقال تعالى : ﴿**وإن تدعوهم لا يسمعوا دعآءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير**﴾. وعلمنا في سورة الفاتحة أن نقول : ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾. كما أمرنا النبي ، ﷺ ، ألا نسأل إلا الله ولا نستعين إلا به بقوله ﷺ : «**إذا سألت**

فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله».[١]

وجاء أيضاً في فتاوى اللجنة الدائمة ما يلى :

« الاستعانة بالحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه جائزة ،كمن استعان بشخص فطلب منه أن يقرضه نقوداً أو استعان به في يده أو جاهه عند سلطان لجلب حق أو دفع ظلم .

والاستعانة بالميت شرك وكذلك الاستعانة بالحي الغائب شرك ؛ لأنهم لا يقدرون على تحقيق ما طلب منهم لعموم قوله تعالى : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً** ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين** ﴾ وقوله عز وجل : ﴿**ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير**﴾. والآيات في هذا المعنى كثيرة والله المستعان.[٢]



(١) انظر " فتاوى اللجنة الدائمة " ١/١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ١/١٠٤ ، ١٠٥ .

الإستغاثة بالصالحين بعد مماتهم

□ **يقول الشيخ مناظر أحسن الكيلاني ما معناه :**

« إن رأي علماء ديوبند في الإستغاثة بأرواح الصالحين بعد مماتهم لا يختلف عن رأي عامة أهل السنة والجماعة ، وذلك لأن الله تعالى يقيض ملائكته لنصر عباده ، كما ورد في القرآن ، وأن الرسول ﷺ قد أعانه موسى عليه السلام في تخفيف الصلاة ، وبشره الأنبياء الآخرون ، فما المانع من أن تستعمل القدرة الإلهية هذه الأرواح الطيبة وتقيضها لإغاثة المؤمن المضطرب ، أيّةُ آيةٍ تُنكر ذلك وأي حديث يرد عليه». [(١)]

هذا وقد نقل مؤلف كتاب " **انكشاف** " قصصاً وعبارات من **إحياء علوم الدين** " للغزالي ، ثم علق عليها قائلاً :

« فمن خلال هذه النقول يمكنك أن تصل إلى هذه النتيجة جيداً ، بأن أرواح الصالحين مختارة بأمر من الله إلى حد كبير ». [(٢)]

وقال في موضع آخر :

« إن ولاية الصالحين وكراماتهم باقية ، ومستمرة

---

(١) انظر هامش " سوانح قاسمي " ١/٣٣٢ .

(٢) " انكشاف " ص ٧ ، وص ٧٠ نقلاً عن الكتاب «زيروزبر» للأرشد القادري.

بإذن الله حتى وبعد وفاتهم ، وحسبك في هذا الصدد أن تعلم أن أرواح الصالحين متمكنة من العودة إلى الدنيا وإغاثة الآخرين بإذن الله ».[1]

□ **ويقول الشيخ أخلاق حسين القاسمي**[2] :

« إن أرواح المؤمنين وخاصة أرواح الأولياء والصالحين قادرة على التصرف في هذا الكون بعد مفارقة الأجساد ، ويحصل هذا التصرف تبعاً لسنن الله تعالى ».[3]

□ وفي **الفتاوى الإمدادية** :

« إن الاستعانة بأرواح المشايخ أمر ثابت عند صاحب كشف الأرواح ».[4]

وبعد هذه النقول نقدم أمام القاري قصتين من القصص المذكورة في مؤلفات علماء هذه الطائفة ،الموثوق بها لديهم ، وبهاتين القصتين تزداد معتقدات هذه الطائفة وضوحاً وبياناً.

□ يقول مؤلف " **سوانح قاسمي** " :

" اتفق عالم بريلوى وطالب ديوبندي على مناظرة بينهما. لم يوافق الطالب الديوبندي على المناظرة إلا

---

(١) " انكشاف " ص ٦٧ .

(٢) هو أحد علماء الهند المعاصرين ،المشهورين في العلم ، البارزين في ميدان التاليف والخطابة.

(٣) انظر " عظمت أولياء الله علماء ديوبند كي نظر مين ".

(٤) " الفتاوى الإمداية " ٤/١٠٤.

خائفاً. واتفقا على موضوع المناظرة والمكان الذي تعقد فيه ، فلما حان ميقاتها جاء عالم البريلوية وعلى رأسه عمامة كبيرة ومعه أحمال من الكتب وجماعة كبيرة من أعوانه ومريديه. وكان الطالب الديوبندي نحيف الجسد منحنى القامة ، خفيف الصوت ،والمسكنة بادية على مظهره وملبسه ، حضر المجلس وهو خائف يرتعد. وجلس أمام المناظر البريلوي متوكلا على اللّه ؛ وبقية القصة جديرة بأن نسمعها من صاحب القصة نفسه فلندعه يحدث بها ، قال : جلست أمام عالم البريلوية ولم نخض في الكلام حتى أحسست بجنبي رجلاً لم أكن أعرفه فإذا هو يقول : إبدا ولاتخف ، فتقوى جاشي وجعل لساني ينطلق بكلمات لا أعرفها ، حاول العالم البريلوي أن يرد على كلامي أول الأمر ثم لم يلبث حتى قام من مجلسه ووضع رأسه عند قدمي ، انحلت عمامته فقال ودموعه تسيل على خديه ، يا سيدي لم أكن أعرف علو كعبك وسمو مكانتك في العلم ، سامحني للّه ، قولك هو الحق ، وكنت على خطأ ، واعترت الجماهير الحضور حيرة إذ فوجئوا بما لم يخطر ببالهم ، ثم قال الديوبندي : إن الرجل القادم غاب فجأة كما كان ظهر فجأة ، فلم أعرف الرجل ولم أعرف قصته، وعظمت منزلة الديوبندي عند أهل القرية ونال من التوقير والإكرام ما لم يكن ينال من قبل ».

قال شيخ الهند (محمود الحسن الديوبندي) سألت ذاك المناظر الديوبندي عن هذا الذي أتاه فجأة وغاب فجأة ، فوصفه فإذا هو يصف شيخنا وصفاً دقيقاً كأني أنظر إلى وجه الشيخ بأم عيني . فقلت له : أنه كان شيخنا النانوتوي (ظهر بإذن الله ليكون ظهيراً لك).[1]

□ **وذكر الخواجة عزيز الحسن المجذوب** في كتابه قصة وفاة " محمد فريد " جد الشيخ أشرف علي التانوي ، وأنه دخل بيته بعد وفاته وأعطى زوجته حلاوةً ، وإليك القصة بتمامها :

يقول المؤلف :

« خرج حضرته (أي محمد فريد) في موكب زواج ، وبينماهم في الطريق إذ هجم عليهم طائفة من قطاع الطريق ، وكان مع الشيخ قوس وسهام ، فرماهم بها بكل شجاعة ، ولكن قطاع الطريق كانوا كثيري العَدد والعُدد ، وهؤلاء في قلة ، فاستشهد المذكور في هذه المعركة .

وبعد استشهاده حدثت واقعة عجيبة ، فإنه دخل بيته ليلاً ، مثل الأحياء ،وأعطى زوجته حلاوةً وقال : أنا أزوركم كل يوم هكذا ، إذا لم تظهري هذا على أحدٍ ، ولكن خشي أهل البيت أن يظن الناس بهم سوءاً حينما

---

(١) انظر " سوانح قاسمي " ٣٣١/١.

يرون الأولاد يأكلون الحلاوة ، فأباحت بالسر ، ولم يرجع الشيخ بعد ذلك اليوم ، وهذه القصة مشتهرة بين أفراد هذه الأسرة ».(١)

أين هذا كله من قول الله عز وجل ، وهو يخبر عن الذي قتل وهو يدعو قومه إلى الحق : ﴿ **قيل ادخل الجنة ، قال ياليت قومي يعلمون ، بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين** ﴾.(٢)

فلو كان ماذوناً بالرجوع إلى الدنيا لم يقل : ﴿ **ياليت قومي يعلمون**﴾ ، بل رجع إليهم وأخبرهم بما أكرمه ربه . والروح غير قادرة على الرجوع ، حتى عند قبضها ، قال اللّه تعالى متحدياً : ﴿ **فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، فلولا إن كنتم غير مدينين ، ترجعونها إن كنتم صادقين** ﴾.(٣)

وأين هذا كله من أخبار الصادق المصدوق ﷺ بأن اللّه تعالى يردّ

---

(١) انظر : " أشرف السوانح " للخواجة عزيز الحسن المجذوب ، ١٥/١ .
يقول الشيخ حمود التويجري في كتابه :
« **قلت** : هذه الخرافة من عمل الشيطان ، ولا تخلو من أحد أمرين :
أحدهما : أن تكون كذباً لفقه أهل بيت التانوي ؛ ليوهموا الناس أنه ولي من الأولياء ، وأن ما ذكروه في هذه الخرافة كرامة من كراماته .
الثاني : أن يكون الشيطان قد تلاعب بأهل بيت التانوي ، فجاء إليهم في صورته ، وأعطاهم الحلوى ؛ ليفتنهم بالميت ، ويفتن غيرهم من الجهال ، ويوهمهم أنه وليٌ من الأولياء ، حتى تتعلق قلوبهم به ، فيغلوا فيه ، ويرابطوا عند قبره ، وينتظروا منه الكشف والكرامات والفيوض الروحية ، وهذا هو الأحرى بهذه الخرافة » [القول البليغ ص ١٤٧] .
(٢) سورة يس ، الآية : ٢٦ ، ٢٧ .
(٣) سورة الواقعة ، الآية : ٨١ - ٨٣ .

على الشهداء الذين يتمنون الرجوع إلى الدنيا حتى يقتلوا في سبيل الله مرة أخرى ، لما يرون من ثواب الشهداء ، يقول الرب تعالى : ﴿ **إنه قد سبق مني ، أنهم إليها لا يرجعون** ﴾.[1]

وقال تعالى : ﴿ **أموات غير أحياء ، وما يشعرون أيان يبعثون** ﴾.[2]

وقال تعالى: ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى**﴾.[3]

والديوبندية تزعم أن مشايخهم يعلمون كل شيء ، وأن أرواحهم تسرح حيث تشاء ، قل أنتم أعلم أم الله ؟

● رأي علماء أهل السنة في هذه المسألة ●

سئل فضيلة الشيخ **محمد بن صالح العثيمين** - حفظه الله - عمن يزور القبور ويدعو الأموات وينذر لهم ويستغيث بهم ويستعين بهم ، لأنهم كما يزعم أولياء لله ، فما نصيحتكم لهم ؟

فأجاب بقوله : « نصيحتنا لهؤلاء وأمثالهم أن يرجع الإنسان إلى عقله وتفكيره ، فهذه القبور التي يُزعم أن فيها أولياء تحتاج :

أولا : إلى إثبات أنها قبور إذ قد يوضع شيء يشبه القبر ويقال هذا قبر فلان، كما حدث ذلك مع أنه ليس بقبر.

ثانياً : إذا ثبت أنها قبور فإنه يحتاج إلى إثبات أن

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في جامعه في أبواب التفسير ، باب : تفسير سورة آل عمران ، وأخرجه أيضاً ابن ماجة في سننه في المقدمة .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٢١ .

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٤٢ .

هؤلاء المقبورين كانوا أولياء لله لأننا لا نعلم هل هم أولياء لله أم أولياء للشيطان .

ثالثاً : إذا ثبت أنهم من أولياء الله فإنهم لا يزارون من أجل التبرك بزيارتهم ، أو دعائهم ، أو الاستغاثة بهم، والاستعانة بهم، وإنما يزارون كما يزار غيرهم للعبرة والدعاء لهم فقط، على أنه إن كان في زيارتهم فتنة أو خوف فتنة بالغلو فيهم ، فإنه لا تجوز زيارتهم دفعاً للمحظور ودرءاً للمفسدة.

فأنت أيها الإنسان حكم عقلك ، فهذه الأمور الثلاثة التي سبق ذكرها لا بد أن تتحقق وهي :

أ - ثبوت القبر .

ب - ثبوت أنه ولي .

جـ - الزيارة لأجل الدعاء لهم . فهم في حاجة إلى الدعاء مهما كانوا ، فهم لا ينفعون ولايضرون ، ثم إننا قلنا إن زيارتهم من أجل الدعاء لهم جائزة ما لم تستلزم محظوراً .

أما من زارهم ونذر لهم وذبح لهم أو استغاث بهم، فإن هذا شرك أكبر مخرج عن الملة ، يكون صاحبه به كافراً مخلداً في النار » .[1]

كما سئل فضيلته عن حكم دعاء أصحاب القبور ، فأجاب بقوله :

« الدعاء ينقسم إلى قسمين :

---

(١) فتاوى ابن عثيمين ٢٤٢/٢ ، ٢٤٣.

القسم الأول : دعاء عبادة ، ومثاله الصلاة ، والصوم وغير ذلك من العبادات ، فإذا صلى الإنسان ، أو صام فقد دعا ربه بلسان الحال أن يغفر له ، وأن يجيره من عذابه ، وأن يعطيه من نواله ، ويدل لهذا قوله – تعالى –: ﴿ **وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾. فجعل الدعاء عبادة ، فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد كفر كفراً مخرجاً عن الملة ، فلو ركع الإنسان أو سجد لشيء يعظمه كتعظيم الله في هذا الركوع أو السجود لكان مشركاً خارجاً عن الإسلام ، ولهذا منع النبي ، ﷺ ، من الانحناء عند الملاقاة سدّاً لذريعة الشرك ، فسئل عن الرجل يلقى أخاه أينحني له ؟ قال : «**لا**». وما يفعله بعض الجهال إذا سلم عليك انحنى لك خطأ ويجب عليك أن تبين له ذلك وتنهاه عنه .

القسم الثاني : دعاء المسألة ، وهذا ليس كله شركاً بل فيه تفصيل :

أولاً : إن كان المدعو حيّاً قادراً على ذلك فليس بشرك ، كقولك اسقني ماء لمن يستطيع ذلك ، قال ، ﷺ : «من دعاكم فأجيبوه» . قال الله – تعالى – : ﴿ **وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه** ﴾ فإن مد الفقير يده وقال ارزقني أي : أعطني فهو جائز كما قال – تعالى –: ﴿ **فارزقوهم منه** ﴾

ثانياً : إن كان المدعو ميتاً فإن دعاءه شرك مخرج عن الملة .

ومع الأسف أن في بعض البلاد الإسلامية من يعتقد أن فلاناً المقبور الذي بقي جثة أو أكلته الأرض ينفع أو يضر، أو يأتي بالنسل لمن لا يولد له ، وهذا - والعياذ بالله - شرك أكبر مخرج عن الملة، وإقرار هذا أشد من إقرار شرب الخمر ، والزنا، واللواط ؛ لأنه إقرار على كفر ، وليس إقراراً على فسوق فقط ، فنسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين »[1].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة ما يلى :

السؤال : رجل يعيش في جماعة تستغيث بغير الله ، هل يجوز له الصلاة خلفهم وهل تجب الهجرة عنهم وهل شركهم شرك غليظ وهل موالاتهم كموالاة الكفار الحقيقيين؟

الجواب : إذا كانت حال من تعيش بينهم كما ذكرت من استغاثتهم بغير الله ، كالاستغاثة بالأموات والغائبين عنهم من الأحياء أو بالأشجار أو الأحجار أو الكواكب ونحو ذلك فهم مشركون شركاً أكبر يخرج من ملة الإسلام ، لا تجوز موالاتهم كما لا تجوز موالاة الكفار ، ولا تصح الصلاة خلفهم ولا تجوز عشرتهم ولا الإقامة بين أظهرهم إلا لمن يدعوهم إلى الحق على بينة ، ويرجو أن يستجيبوا له وأن تصلح حالهم دينياً على يديه، وإلا وجب عليه هجرهم والانضمام إلى جماعة أخرى يتعاون معها على القيام بأصول الإسلام وفروعه وإحياء سنة

---

(١) فتاوى ابن عثيمين ١٦٢/٢ ، ١٦٣.

رسول الله، ﷺ ، فإن لم يجد اعتزل الفرق كلها ولو أصابته شدة ، لما ثبت عن حذيفة ، رضي الله عنه ، أنه قال:

«كان الناس يسألون رسول الله ، ﷺ ، عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه .

فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟.

قال : نعم .

فقلت : فهل بعد هذا الشر من خير ؟

قال : نعم وفيه دخن .

قلت : وما دخنه ؟

قال : قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر.

فقلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟

قال : نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها .

فقلت : يا رسول الله صفهم لنا.

قال : نعم هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

قلت : يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك.

قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

فقلت : فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام.

قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك. [متفق على صحته. **وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم**].[1]

---

(١) انظر الفتاوى الإسلامية ٧٨/١.

الإستفادة من المقبورين

يعتقد علماء هذه الطائفة أنه يمكن الإستفادة من المقبور والتبرك بقبره وحصول الشفاء من ترابه .

□ **يقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :**

« أما الإستفادة من روحانية المشايخ الأجلة ووصول الفيوض الباطنية من صدورهم أو قبورهم فيصح على الطريقة المعروفة في أهلها وخواصها ، لا بما هو شائع في العوام ».[1]

هذا ، ولمزيد من الإطلاع والتعرف على معتقدات هذه الطائفة في المسألة إقرأ القصة التالية :

□ **يقول الشيخ أشرف علي التانوي في كتابه ما ترجمته :**

« ذكر الشيخ معين الدين - أكبر أبناء الشيخ محمد يعقوب النانوتوي - كرامة ظهرت لأبيه[2] بعد الوفاة ، قال : انتشرت الحمى في قريتنا "نانوته" وجعل الناس يستشفون بتراب قبر الشيخ محمد يعقوب ، فكل من أخذ شيئا من تربة قبره وعلقه بجسده اشتفى من الحمى ، حتى ذهب الناس بالتراب كله ، وقد قمت

---

(١) " **المهند على المفند** " للسهارنفوري ص ٤٥ .

(٢) وهو الشيخ محمد يعقوب النانوتوي بن مملوك علي شيخ الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم ، ديوبند.

بإعادة التراب على القبر عدة مرات ، وكلما أعدت التراب عليه أخذوه ، حتى تعبت من كثرة إلقاء التراب على القبر ، فذهبت إليه وقلت له : ما بال هذه الكرامة، جلبت علينا المشاكل ، اسمع ! ان اشتفى أحد بعد هذا فلن نعيد على قبرك تراباً وستبقى مستويا هكذا ، يدوسك الناس بنعالهم ، فلم يشتف أحد بعد ذلك اليوم، واشتهر هذا بين الناس كما كان قد اشتهر من قبل اشتفاء الناس به ، فانتهى الناس من التقاط التراب من قبره ». [1]

● موقف كبار علماء أهل السنة من هذه المعتقدات ●

وبما أن العقيدة المذكورة فيها خطر عظيم وبلاء وفتنة للأمة ، فلنقرأ في هذا الموضوع فتاوى بعض كبار العلماء ، حتى نكون على بينة من مثل هذا المعتقد ومن الخطر الذي ابتليت الأمة.

يقول الشيخ **محمد بن صالح بن عثيمين** – حفظه الله تعالى – ما نصه :

« وليعلم أن الله – عزّ وجلّ – قد يفتن الإنسان بشيء من مثل هذه الأمور فقد يتعلق الإنسان بالقبر

---

(١) انظر "أرواح ثلاثة" ص ٣٣٩ ، وقد اكتفينا بذكر القصة المذكورة على سبيل المثال ، ومن أراد المزيد من مثل هذه القصص التي حصلت لدى الطائفة فليراجع كتبهم ومؤلفاتهم ، فإن هذه القصص كثيرة ولا حاجة إلى ذكرها ، انظر مثلاً : "درس حيات" لمؤلفه الشيخ بشارت كريم ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨.

فيدعو صاحبه أو يأخذ من ترابه يتبرك به فيحصل مطلوبه ويكون ذلك فتنة من اللّه - عزّ وجلّ - لهذا الرجل ، لأننا نعلم أن هذا القبر لا يجيب الدعاء وأن هذا التراب لا يكون سبباً لزوال ضرر أو جلب نفع ، نعلم ذلك لقول اللّه - تعالى - : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون اللّه من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ،وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾.[1] وقال تعالى -: ﴿**والذين يدعون من دون اللّه لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون**﴾.[2] والآيات في هذا المعنى كثيرة تدل على أن كل من دُعي من دون اللّه فلن يستجيب الدعاء ولن ينفع الداعي ، ولكن قد يحصل المطلوب المدعو به عند دعاء غير اللّه فتنة وامتحانا ، ونقول :إنه حصل هذا الشيء عند الدعاء - أي عند دعاء هذا الذي دُعي من دون اللّه - لا بدعائه ، وفرق بين حصول الشيء بالشيء، وبين حصول الشيء عند الشيء، فإننا نعلم علم اليقين أن دعاء غير اللّه ليس سبباً لجلب النفع أو دفع الضرر بالآيات الكثيرة التي ذكرها اللّه -عزّ وجلّ- في كتابه ولكن قد يحصل الشيء عند هذا الدعاء فتنة

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ٥ ، ٦ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٢٠ ، ٢١.

وامتحانا ، واللّه – تعالى – قد يبتلي الإنسان بأسباب المعصية ليعلم – سبحانه وتعالى – من كان عبداً للّه ومن كان عبداً لهواه ، ألا ترى إلى أصحاب السبت من اليهود حيث حرم اللّه عليهم أن يصطادوا الحيتان في يوم السبت فابتلاهم اللّه – عزّ وجلّ – فكانت الحيتان تأتي يوم السبت بكثرة عظيمة وفي غير يوم السبت تختفي ، فطال عليهم الأمد ، وقالوا كيف نحرم أنفسنا هذه الحيتان ثم فكروا وقدروا ونظروا فقالوا نجعل شبكة ونضعها يوم الجمعة ونأخذ الحيتان منها يوم الأحد، فأقدموا على هذا الفعل الذي هو حيلة على محارم اللّه فقلبهم اللّه قردة خاسئين ، قال اللّه – تعالى – : ﴿**واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون**﴾.[1]

وقال – عزّ وجلّ – : ﴿ **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين** ﴾.[2]

فانظر كيف يسر اللّه لهم هذه الحيتان في اليوم الذي مُنعوا من صيدها فيه ولكنهم – والعياذ باللّه – لم يصبروا فقاموا بهذه الحيلة على محارم اللّه .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٦٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٦٥ ، ٦٦.

ثم انظر إلى ما حصل لأصحاب النبي ، ﷺ حيث ابتلاهم اللّه - تعالى - وهم محرمون بالصيود المحرمة على المحرم فكانت في متناول أيديهم ولكنهم - رضي اللّه عنهم - لم يجرؤوا على شيء منها قال اللّه - تعالى - : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم اللّه بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم اللّه من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم** ﴾.[1] كانت الصيود في متناول أيديهم يمسكون الصيد العادي باليد وينالون الصيد الطائر بالرماح فيسهل عليهم جداً ، ولكنهم - رضي اللّه عنهم - خافوا اللّه - عزّ وجلّ - فلم يقدموا على أخذ شيء من الصيود .

وهكذا يجب على المرء إذا هيئت له أسباب الفعل المحرم أن يتقي اللّه - عزّ وجلّ - وأن لا يقدم على فعل هذا المحرم وأن يعلم أن تيسير أسبابه من باب الابتلاء والامتحان فليحجم وليصبر فإن العاقبة للمتقين ».[2]

هذا ، وقد سئل الشيخ - حفظه اللّه تعالى - عن حكم النذر والتبرك بالقبور والأضرحة ، فأجاب بقوله :

« النذر عبادة لا يجوز إلا للّه - عزّ وجلّ - وكل من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير اللّه فإنه مشرك

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٤ .

(٢) انظر " مجموع فتاوى ابن عثيمين " ٢/٢٢٩ - ٢٣١.

كافر ، قد حرّم اللّه عليه الجنة ، ومأواه النار ، قال اللّه - تعالى - : ﴿ **إنه من يشرك باللّه فقد حرم اللّه عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾.[1]

وأما التبرك بها : فإن كان يعتقد أنها تنفع من دون اللّه - عزّ وجلّ - فهذا شرك في الربوبية مخرج عن الملّة ، وإن كان يعتقد أنها سبب وليست تنفع من دون اللّه فهو ضالّ غير مصيب ، وما اعتقده فإنه من الشرك الأصغر ، فعلى من ابتلى بمثل هذه المسائل أن يتوب إلى اللّه - سبحانه وتعالى - وأن يقلع عن ذلك قبل أن يفاجئه الموت ، فينتقل من الدنيا على أسوأ حال، وليعلم أن الذي يملك الضر والنفع هو اللّه - سبحانه وتعالى - وأنه هو ملجأ كل أحدٍ ، كما قال اللّه - تعالى - : ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع اللّه قليلاً ما تذكرون** ﴾.[2] وبدلاً من أن يتعب نفسه في الالتجاء إلى قبر فلان وفلان ، ممن يعتقدونهم أولياء ، ليلتفت إلى ربه - عزّ وجلّ - وليسأله جلب النفع ودفع الضرّ ، فإن اللّه - سبحانه وتعالى - هو الذي يملك هذا».[3]

كما سئل فضيلته عن حكم التبرك بالقبور والطواف حولها بقصد

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٧٢ .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٦٢ .

(٣) "مجموع فتاوى ابن عثيمين" ٢٣١/٢ ، ٢٣٢.

قضاء حاجة أو تقرب ، وعن حكم الحلف بغير الله ، فقال :

« التبرك بالقبور حرام ونوع من الشرك وذلك لأنه إثبات تأثير شيء لم ينزل الله به سلطانا ولم يكن من عادة السلف الصالح أن يفعلوا مثل هذا التبرك ، فيكون من هذه الناحية بدعة أيضاً ، وإذا اعتقد المتبرك أن لصاحب القبر تأثيراً أو قدرة على دفع الضرر أو جلب النفع كان ذلك شركاً أكبر إذا دعاه لجلب المنفعة أو دفع المضرة. وكذلك يكون من الشرك الأكبر إذا تعبد لصاحب القبر بركوع أو سجود أو ذبح تقرباً له وتعظيماً له ، قال الله تعالى : ﴿ **ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون**﴾.[1] وقال تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾.[2] والمشرك شركاً أكبر كافر مخلد في النار والجنة عليه حرام لقوله تعالى : ﴿ **إنه من يشرك بالله** فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾.[3]

ويجب الإنكار على من تبرك بالقبور أو دعا المقبور أو حلف بغير الله وأن يبين له أنه لن ينجيه من

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٧ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٧٢.

عذاب الله قوله : هذا شيء أخذنا عليه ، فإن هذه الحجة هي حجة المشركين الذين كذبوا الرسل وقالوا : ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**﴾.[1] فقال لهم الرسول : ﴿ **أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون** ﴾.[2] قال الله تعالى : ﴿**فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾.[3]

ولا يحل لأحد أن يحتج لباطله بكونه وجد عليه آباءه ، أو بكونه عادة له ونحو ذلك ، ولو احتج بهذا فحجته داحضة عند الله تعالى لا تنفعه ولا تغني عنه شيئاً . وعلى الذين ابتلوا بمثل هذا أن يتوبوا إلى الله وأن يتبعوا الحق أينما كان وممن كان ومتى كان ، وأن لا يمنعهم من قبوله عادات قومهم أو لوم عوامهم ، فإن المؤمن حقاً هو الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يصده عن دين الله عائق ».[4]

★ ★ ★

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٢٣ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٢٤ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٢٥ .

(٤) ملخصاً من فتاوى ابن عثيمين ٢٤٩/٢ .

الأرواح تتمثل في الأجساد

وهذه العقيدة تتشابه إلى حدما بما سبق في باب الإستغاثة بالصالحين بعد وفاتهم وبعلمهم بالمغيبات ، وهي أيضاً من أخطر معتقدات الديوبندية.

□ **قال الشيخ أشرف علي التانوي في كتابه :**

« إن أهل التصرف يقدرون على العناصر ، فيركّبون الأجساد ويتشكلون في الأشكال ، وذلك لأن الروح ذات انبساط ، فيوفقون بينها وبين عدد من الأجساد ، مما يسهّل عليهم التشكل في أشكال مختلفة». (١)

□ **وقال الشيخ القاري محمد طيب :**

«إنه حصل نزاع بين كبار المدرسين في دارالعلوم، ودخل في هذا النزاع مدير الدار الشيخ رفيع الدين ورئيس المدرسين الشيخ محمود الحسن ، وطال النزاع ، وبينهماهم كذلك إذ طلب الشيخ رفيع الدين من الشيخ محمود الحسن أن يحضر إلى حجرته - الواقعة في دار العلوم - وذلك بعد صلاة الفجر صباحاً ، فذهب الشيخ محمود الحسن ودخل عليه في حجرته ،وكان الجو بارداً جداً آنذاك ، فقال له الشيخ رفيع الدين : انظر أولاً إلى

---

(١) " مقالات حكمت " ص ٣١ .

شعاري وهو من القطن، فرأه الشيخ محمود الحسن فإذا هو مبلل يقطر، فقال الشيخ رفيع الدين : لقد جاءني الشيخ النانوتوي، رحمة الله عليه، بجسده العنصري آنفاً، مما عرقتُ له عرقاً شديداً، وأمرني أن أخبرك بأن لا تقع في هذا النزاع، وما دعوتك إلا لأبلغك هذا فقال الشيخ محمود الحسن : أتوب على يديك مما كان مني ، وأتعاهد بأنني لن أتكلم في هذا الأمر بشئ».[1]

هذا ، وقد صدّق الشيخ أشرف علي التانوي هذه القصة ووجّهها قائلاً :

« إن هذه الواقعة فيها تمثل للروح ،وله صورتان : الأولى : أن هذا الجسد كان مثالياً شبيهاً بالجسد العنصري . والثانية : أن الروح تصرفت في العناصر و هيأت لها جسداً عنصرياً ».[2]

هذا ، وقد ذكر الشيخ مسعود الدين العثماني في كتابه أن بعض الديوبندية يقولون : إن مدرسة ديوبند أسسها النبي ﷺ ، وأنه كان يأتي إلى هذه الدار أحياناً مع أصحابه وخلفائه لتدقيق حساب المدرسة».[3]

□ **كما ذكر الشيخ أشرف علي التانوي في** كتابه القصة التالية :

« يقول ديوان محمد ياسين - وكان من خدام

---

(١) " أرواح ثلاثة " ص ٢٦٢ .

(٢) " أرواح ثلاثة " ص ٢٦٢ .

(٣) انظر «أرواح ثلاثة ص ٤٣٤».

الشيخ النانوتوي رحمة الله عليه - كنت مشغولاً بالذكر تحت القبة الشمالية في مسجد "جهتّه" وكان الشيخ النانوتوي رحمة الله عليه، مراقباً في صحن المسجد في الجهة الشمالية نفسها، وكان متوجهاً إلى قلبي، إذطرأت عليّ حالة خاصة، ورأيت وأنا في حالة الذكر، أن غاب سقف المسجد وقبته، مع بقاء جدرانه، وأن نوراً عظيماً في الفضاء ممتد إلى السماء، إذ رأيت عرشاً ينزل من السماء، وعليه الرسول ﷺ، والخلفاء الأربعة على الزوايا الأربعة، نزل العرش حتى استقر قريباً مني في المسجد، فقال الرسول ﷺ لأحد خلفاءه: اذهب وآت بالشيخ محمد قاسم، فذهب وأتى به، فطلب الرسول ﷺ من الشيخ محمد قاسم حساب المدرسة، فقدم الشيخ حساب المدرسة بكل دقة، ففرح الرسول ﷺ بهذا فرحاً شديداً وأذن له بالذهاب، ثم صعد العرش إلى السماء وغاب عن الأنظار».

ثم قال الشيخ التانوي معلقاً على هذه القصة:

«إن هذه الواقعة كانت نوعاً من الكشف، والذي يحتمل أن يكون قد حصل بتوجه الشيخ، ولعل تعبير هذه الواقعة هو أن يرى صاحبها ما رأى فيها من تدقيقه ﷺ لحساب المدرسة، حتى يطمئن الذين كان في قلوبهم شك حول ذلك، وأما المعاندون فمن دأبهم التشكيك حتى في الوحي»[1].

---

(١) "أرواح ثلاثة" ص ٤٣٤.

● رأي علماء السنة في هذه المسألة ●

يقول الشيخ حمود التويجري رداً على ما قاله التبليغيون من مجئ الرسول ﷺ إلى دار العلوم بديوبند لتدقيق حساب المدرسة :

« قلت : ما جاء في هذه القصة الخرافية فهو من أعظم الافتراء على رسول الله ﷺ وعلى خلفائه وأصحابه ، وقد تواتر عن النبي ﷺ أنه قال : «من كذب عليَّ متعمداً ؛ فيتبوأ مقعده من النار».

فلا يأمن الذين افتروا على رسول الله ﷺ وعلى خلفائه وأصحابه أن يكون لهم نصيب وافر من هذا الوعيد الشديد ، وكذلك الذين يعتقدون صحة هذه الخرافة من التبليغيين وغيرهم لا يأمنوا أن يكون لهم نصيب وافر من الجزاء على هذه الفرية العظيمة».(1)

كما يقول الدكتور تقي الدين الهلالي بعد ذكره لهذه القصة معلقاً عليها أخطائهم :

«اقرؤوا أيها الناس ، واعجبوا كيف يؤسس النبي ﷺ مدرسة تحارب سنته وتنبذ هديه ، فهي ماتريدية في العقائد ، حنفية في المذهب ، أسست على معصية الرسول والتفرق في الدين ، لا يرضاها رسول الله ﷺ ولا الخلفاء الراشدون المهديون ولا أبو حنيفة رحمه الله. لأن عقيدة أبي حنيفة التي رواها عنه الثقات بعيدة كل البعد من الماتريدية والتقليد والتفرق ، ولكن ؛

---

(1) " القول البليغ " ص ٧٢ ، ٧٣ .

إذا لم تستحِ ؛ فاصنع ما شئت ، وقل ما شئت».

وقال أيضاً :

ولماذا يحضر النبي ﷺ لتدقيق الحساب ؟! هل نزلوا بالنبي ﷺ حتى جعلوه حاسباً لهم نفقات المدرسة؟؛ وكفى بهذا سوء أدب مع النبي ﷺ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ما ذا يبلغ الجهل والتقليد والتعصب بأهله ؟؛». (١)

ولا شك أن القول بتمثل الأرواح في الأجساد من خرافات المتصوفة التي ابتليت به الأمة ، فإذا كان الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ولايتحرك في قبره بمدِّ يَدٍ أو غيرها ، فكيف بمن هو دونه ، وكيف يمكن لهؤلآء الصوفية - أصحاب ديوبند - أن يتشكلوا في الأشكال بعد مماتهم ويأتو إلى الدنيا لحل نزاع أصحابهم ؟

☐ **يقول علماء اللجنة الدائمة :**

« الأصل في الميت نبياً أو غيره أنه لا يتحرك في قبره بمد يد أو غيرها ، فما قيل من أن النبي ﷺ أخرج يده لبعض من سلم عليه غير صحيح بل هو وهم وخيال لا أساس له من الصحة». (٢)

وجاء أيضاً في فتاوى اللجنة الدائمة إجابة على سؤالٍ حول رد الأرواح إلى الأجساد :

---

(١) ملخصاً من " السراج المنير " ص ١٧ .
(٢) انظر تفصيل السؤال والجواب في " فتاوى اللجنة الدائمة " ٣/١٧٠ ، ١٧١ .

«. . . ثانياً : رد روح شخص معين إلى جسده بعد قبض الله لها ممكن بقدرة الله عز وجل لكن إثبات وقوعه يحتاج إلى دليل.

ثالثاً : ورد في القرآن أدلة تدل على رد أرواح بعض المخلوقات لحكم أرادها الله تعالى ومن ذلك ما جاء في قصة قتيل بني إسرائيل ، قال تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفساً فادارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون، فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ﴾ الآية، ومن ذلك رد روح عزير وحماره بعد مائة سنة ، قال تعالى : ﴿ كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوه لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾. ومن ذلك رده جلّ وعلا أرواح الطيور في قوله تعالى : ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾.[1]

(١) راجع للتفصيل " فتاوى اللجنة الدائمة " ٨٦/٣ ، ٨٧ .

« طـيّ الزمـان »(*)
(مشايخ ديوبند يطوون مسافات بعيدة خلال لحظات)

إن الرسول ﷺ لما خرج مهاجراً إلى المدينة قال مخاطباً لمكة المكرمة:

« ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ ، ولو لا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك »(١).

(*) لا يخفى على القاري الكريم مدى خطورة هذا المعتقد الباطل ، كما يتضح ذلك من خلال قراءة القصص والحكايات التي ذكرناها في هذا الباب ، ولمعرفة موقف علماء أهل السنة من مثل هذه الكرامات الزائفة نكتفي على ذكر فتوى للشيخ عبد العزيز بن باز – حفظه الله – وفيما يلي نص السؤال والجواب :

السؤال : يقال إن هناك رجالاً من رجال الحظوة وهم يحجون بدون وسيلة مواصلات ، ويقال إنهم يحضرون الجنازة في مكة وهم أصلاً موجودون في منطقة بعيدة جداً ، فهل سخرت لهم الريح مثلاً في تنقلاتهم ؟ نرجو التوجيه .

الجواب : هذه الأمور لا أصل لها في الشرع المطهر ، وهي من خرافات بعض الناس الباطلة ، وقد يدعيها بعض الصوفية الذين يزعمون أن لهم كرامات يستطيعون بها أن يصلوا إلى مكة من دون سيارات ولا طائرات ولاغير ذلك ، وهذا من خرافاتهم وكذبهم ، وقد يكون لبعضهم اتصال بالجن وعبادة الجن ، فتحمله الجن إلى مكة وغيرها ، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله وغيره من أهل العلم، فالخلاصة أن هذه الأخبار إما أن تكون من قبيل الخرافات التي يقولها بعض الصوفية وأشباههم من الذين يزعمون أنهم أولياء ولهم كرامات ، وهم كاذبون في ذلك ، وإما أن يكون من أولياء الشيطان فتحمله الشياطين وتنقله من مكان إلى مكان ، لأنه عبدها وأطاعها فلما خدمها وعبدها خدمته في النقل من مكان إلى مكان .

[انظر " مجموع فتاوى ابن باز " ٦/٤٠٨ ، ٤٠٩] .

(١) جامع الترمذي ، باب فضل مكة ، عن ابن عباس مرفوعاً.

فلم يكن بإمكان الرسول ﷺ أن يسكن بمكة ، أو يطوف حول الكعبة المشرفة بعد ما خرج منها ؛ كما أن المشركين حالوا بين الرسول ﷺ وأصحابه وبين أن يطوفوا بالكعبة عام الحديبية ، حتى اضطر الرسول ﷺ وأصحابه إلى الرجوع بعد وصولهم إلى الحديبية ، ولم يتمكنوا من الدخول في المسجد الحرام .

ولكن طائفة الديوبندية ترى وتعتقد في مشايخهم أنهم كانوا يطوون مسافات بعيدة خلال لحظات ، وكانوا يزورون المسجد الحرام كل يوم ، حال كونهم مقيمين بالهند ، أو بأي مكان آخر بعيد من مكة المكرمة.

□ حكى مؤلف " **تذكرة الرشيد** " عن الشيخ محمود حسن النكينوي قال :

« أخبرتني حماتي (أي أمّ زوجتي) وقد أقامت بمكة إثنا عشر عاماً مع أبيها، وكانت تقية عابدةً صالحةً، وكانت تحفظ مئات الأحاديث عن ظهر القلب، فقالت: إن الشيخ الكنكوهي تلاميذه كثرٌ ، ولكنه للأسف أنهم لم يعرفوه على كثرتهم ، ففي الأيام التي أقمت بمكة كنت أرى الشيخ الكنكوهي يصلى الفجر كل يوم في الحرم الشريف ، وأيضاً سمعت الناس يقولون : هذا الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ،يأتي كل يوم من قرية " كنكوه " (في الهند) »[1].

□ وهناك قصة أخرى رواه **الشيخ أشرف علي التانوي** عن الشيخ

---

(١) انظر " تذكرة الرشيد " للشيخ عاشق إلهي الميرتي ، ٢١٢/٢ .

محمد إسماعيل عن الشيخ أحمد حسين قال :

« وصلت إلى بيت الله ، فلقيت رجلاً حكى لي عن نفسه فقال : ذهبت إلى المدينة وأقمت بها أياماً ، فرأيت محمداً ﷺ في الطواف ، وأمرني أن أبايع على أيدي الأسرة الصابرية ، فرجعت إلى مكة المكرمة وبايعت أحد المشايخ ، امتثالاً لأمر الرسول ﷺ ، وكنتُ أحضر إلى حضرة الحاج رضي الله عنه[1] ، فقلت له يوماً : سمعت من بعض المشايخ أن هناك طريقاً لو سلكه أحد بعد صلاة الظهر يصلي العصر بالمدينة الطيبة ، ثم يعود ويصلى المغرب بمكة ، فقال الشيخ إمداد الله : أما أنا فلا أعرف هذا الطريق ، فقلت له : إن كنت لاتعرف ذلك فما حاجة البقاء في مكة ؟، ثم رجعتُ ، وبعد أيام قال لي حضرة الحاج رضي الله عنه : هيأ بنا نخرج للتنزه ،وأخذ بيدي في يده المباركة، وصعد بي فوق جبل ونزلنا منه فإذانحن بالمدينة ،فصلينا هناك ، ثم رجعنا وصلينا الصلوٰة الثالثة في مكة المكرمة»[2].

وسوف تتضح هذه المسألة أكثر بعد الإطلاع على ما قاله الشيخ أنور شاه الكشميري في شرحه لصحيح البخاري وهو يفسر قوله تعالى :

---

(١) يريد به الحاج إمداد الله المهاجر المكي .

(٢) انظر " كرامات إمدادية " ص ٤٠ .

﴿وآتينا داود زبوراً﴾ وإليك النص بكامله ، فلعلك تجد فيه بعض العجائب الأخرى :

« باب "قوله : ﴿وآتينا داود زبوراً﴾" - قوله : [فكان يقرأ قبل أن يفرغ] أي معجزة ،وفي رواية : أنه كان يفرغ من قراءته فيما بين أن يضع قدميه في الركابين ، وذكر السيوطي عن بعض الأولياء أنه كان يختم القرآن تسع مرات في يوم وليلة ، وكان الشيخ السهروردي يفعله ستين مرة في يوم ، ويحكى عن ثقة أن الشاه إسماعيل ختمه بعد العصر إلى الغروب مع ترتيل ، وهو بين أيدي الناس ، وعند الترمذي : ص ١٨٣ في "كتاب الدعوات" أن عمر بن هانئ كان يصلى ألف سجدة كل يوم ، ويسبح مائة ألف تسبيحة، وصنف ابن كثير رسالة في متعلقات القرآن ، ووضع فيها فصلاً جمع فيه أسماء الذين ختموا القرآن في يوم وليلة ، أو دونه ، فالحكاية في مثله قد تواترت ، بحيث لا يسوغ منها الإنكار ، ولكن من يحرم عن الخير يجعل رزقه أنه يكذب بالكرامات ، والبركات ، ويزعمه مستحيلاً ، ثم هذه المسألة تسمى عند الصوفية بطيّ الزمان ، أما طي المكان ، فهو مسلّم بلانكير ، ففي "الفتوحات" أن الجوهري أجنب مرة ، فذهب إلى نهر ليغتسل ، فنعس فيه ، فاذا هو يرى في المنام أنه دخل بغداد ، وتزوج فيها امرأة ، وولدت منه أولاداً ، فإذا

هب من نومه ، رجع إلى بيته ، ولم يمض بعد ذلك مدة، إذ جاءته امرأة من بغداد ، تدعي أنه نكحها ، وهؤلاء صبيان منه ، ومر عليه العارف الجامي في "النفخات "، وأغمض عنه ، وأنكره الشيخ المجدد ، قلت: لا استحالة فيه ، فهو من باب طيّ الزمان عندي». [١]

والعجب أن الشيخ الكشميري يحمل سفره ﷺ في ليلة المعراج على ما عرف عند الصوفية بـ "طيّ الزمان " كما ذكر ذلك تلميذه فقال معلقاً على كلمة " طيّ الزمان " ما نصه :

« وعليه حمل الشيخ سفره ﷺ في ليلة المعراج.

فيقول في قصيدته في الإسراء :

وأبدى له طيّ الزمان فعاقه　　رويداً عن الأحوال حتاه ما أجرى [٢]



---

(١) انظر " فيض الباري " ١٩٨/٤ ، ١٩٩ .

(٢) هامش " فيض الباري " ١٩٩/٤ .

« التصرف في الكون »
(مشايخ ديوبند يملكون الموت والحياة)

الموت والحياة أمرهما بيد الله تعالى ، لا يملك أحد لنفسه ولا لغيره الموت أو الحياة ، يقول سبحانه : ﴿ وأنه هو أمات وأحيى ﴾ [1] ويقول : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ، كتاباً مؤجلاً ﴾ .[2]

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، مالا يترك للمسلم مجالاً لأدنى شك في هذا الموضوع ، ولكن نقرأ فيما يلي بعض القصص لأكابر ومشايخ ديوبند ،والتي تدل - زعماً منهم - على أنهم كانوا يملكون الموت والحياة عن طريق الكرامة أو باستخدام قوة التصرف التي يملكونها.

□ **ذكر الخواجة عزيز الحسن المجذوب** في كتابه :

« إن الشيخ أحمد حسين - أحد تلاميذ الشيخ التانوي - دعا على رجل ، فمات ذلك المدعو عليه من فوره ، فلم يفرح أحمد حسين بهذه الكرامة ، بل فزع للأمر ، وكتب إلى شيخه التانوي يسأله هل عليَّ من إثم في ذلك ؟ فأجابه الشيخ التانوي بقوله : إن كنت تملك قوة التصرف ، واستخدمت هذه القوة في الدعاء على الشخص المذكور ، كنت آثماً».[3]

---

(١) سورة النجم ، الآية : ٤٤ .

(٢) سورة آل عمران ، : ١٤٥ .

(٣) انظر " أشرف السوانح " ١٢٧/١ .

□ وهناك قصة أخرى قريبة من القصة المذكورة حصلت من الشيخ محمد قاسم النانوتوي. وقد ذكرها الشيخ مناظر أحسن الكيلاني في كتابه حيث قال :

« عُقد للشيخ محمد قاسم مجلس للوعظ في مدينة لكناؤ ، فتآمر الروافض لإفشال هذا المجلس ، ودعوا أربعة من مجتهديهم ، ورتبوا لكل واحد منهم عشرة أسئلة ، يوردونها على الشيخ واحداً تلو آخر ، وأجلسوهم في الزوايا الأربعة في المجلس ،كل واحد في زاوية ، فأجاب الشيخ محمد قاسم النانوتوي على جميع أسئلتهم مرتبة قبل أن يعرضوها عليه ، فبهت الروافض وندموا على خيبة مؤامرتهم ، ثم دبروا مكيدة أخرى للإستهزاء بالشيخ والضحك عليه ، - يقول راوي القصة - فجاءت الروافض يطلبون من الشيخ أن يصلى على شاب منهم مات ، فاعتذر الشيخ وقال : نحن من أهل السنة ، وأنتم الشيعة ، والخلاف قائم بيننا في الأصول والفروع ، فكيف تجوّزن الإقتداء بمثلي ؟ قالوا : نحن نحترمك ونرجو من حضرتك أن تصلي عليه ، وكانوا قد دبروا مكيدة ، والجنازة كانت مزورة ، وكانوا قد قرروا فيما بينهم أن الشاب المتماوت سوف يقوم بعد التكبيرة الثانية ، حتى يضحكوا على الشيخ ، فذهب الشيخ إلى المصلى ، وقام يُرى عليه آثار الغضب، فتقدم وكبّر ثم كبّر ، ولما لم يتحرك الشاب بعد التكبيرة

الثانية، كما قرروا فيما بينهم ، قلقوا عليه ، ونادوه ، ولكنه لم يكن ليقوم ، فأتم الشيخ أربع تكبيرات وسلّم ، ثم قال : إنه لن يقوم إلّا يوم القيامة ، فكشفوا عنه ، فإذا هو قد مات ، فجعلت الروافض يبكون ويدعون بالويلات ويضربون صدورهم ندماً وحسرة».(١)

□ **وقال الشيخ أنور شاه الكشميري** وهو يبين معتقده في إحياء الميت من الولي هل يمكن ذلك أم لا ؟ ونصه :

« وهل يمكن إحياء الميت من الولي أولا ؟ فكنت متردداً في ذلك حتى رأيت حكاية نقلها الشيخ عبدالغني النابلسي عن العارف الجامي رحمه الله تعالى أن رجلاً من الأغنياء اتخذ له طعاماً وطبخ دجاجة ميتة اختياراً له ، ثم دعاه فجاء العارف الجامي وقال قم بإذن الله ، فكان كما قال ، إلا اني لا أعرف سنده ، وهكذا نقل الشنطوفي ووثقه المحدثون عن الشيخ عبد القادر حبلى رحمه الله أنه كان يذكر الناس إذ جاءت حدياً تصيح حتى شوشت على الشيخ كلامه فدعا عليها وقال : مالك قطع الله عنقك ، فسقطت على الأرض ميتة من ساعتها ، ثم إذا فرغ الشيخ عن الوعظ قام ورآها ميتة في فناء المسجد فسأل عنها فأخبر بها فقال بها قم بإذن الله فطارت ، وهكذا جاء رجل في

---

(١) "سوانح قاسمي" ٧١/٢ .

«بجنور» فقطع عنق طائر حتى فصلها بين أعين الناس ثم ضمها فكانت كما كانت قبله».[1]

□ **ويقول الشيخ بدر عالم الميرتي**[2] - تلميذ الشيخ الكشميري - في تعليقه على "فيض الباري" بصدد القصة التي نقلها الكشميري عن الشنطوفي عن الشيخ عبد القادر ، وفيما يلي نصه :

« وسمعت من حضرة الشيخ صاحب هذه الأمالي رحمه الله حكاية لطيفة أخرى أيضاً في هذا الصدد ، وهي أن صبياً كان يشتغل بالاستفادة والتعلم عند بعض العرفاء ، فزارته يوما أمه وبيده خبز شعير يأكله ، ودخلت على الشيخ فرأت عنده دجاجة مشوية، فشكت إليه وقالت : تطعم ابني خبز الشعير وأنت تأكل هذه ، فأشار الشيخ إلى الدجاج وقال قم بإذن الله، فقام حياً فتحيرت ، فقال الشيخ : إذا وصل ابنك إلى هذه المنزلة فيأكل الدجاج ، وأنا أيضاً كنت قبل ذلك آكل خبز الشعير كما هو يأكله الآن »[3].

---

(١) " فيض الباري " ٦١/٢ .

(٢) الشيخ بدر عالم أحد تلامذة الشيخ محمد أنور شاه الكشميري والشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، اشتغل بالتدريس في مدارس «دابهيل» و «بهاولفور» وضبط أمالي الشيخ الكشميري على صحيح البخاري ونشرها مع تعليقه عليها وأسماها «فيض الباري» توفي الشيخ بدر عالم عام ١٣٨٥هـ [انظر "جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة " للدكتور عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي ص ٢٤١، ٢٤٢] .

(٣) انظر " فيض الباري " ٦١/٢ ، في الهامش.

□ **ويقول الشيخ محمد قاسم النانوتوي – مؤسس جامعة ديوبند – :**

« إن خواجة أحمد جام كان مشهوراً مستجاب الدعوات ، فجاءته امرأة بابن لها أعمى فقالت : امسح بوجهه وردَّ عليه بصره. قالت ذلك ثلاث مرات أو أربعاً.

وكان هذا الولي يقول لها : «أنا لست أهلاً لذلك». فلما ألحت المرأة وأصرّت على طلبها – قام هذا الولي من مجلسه قائلاً : إن هذا الفعل يليق بعيسى عليه السلام ، ولست أهلاً لذلك .

فجاءه إلهام من اللّه تعالى وقال اللّه تعالى له :

« من أنت ؟ ومن عيسى ؟ ومن موسى ؟ ارجع وامسح وجه ابن هذه المرأة ».

وقال اللّه تعالى له أيضاً باللغة الفارسية : « ما ميكنم »[1]. فلما سمع هذا الولي قول اللّه تعالى : « ما ميكنم ». [بالفارسية بحرف وصوت]. رجع قائلاً : « ما ميكنم ، ما ميكنم » ويكرره ، ومسح على وجه ابن تلك المرأة فبرأ ورجع بصره !!.”

ثم علق الشيخ النانوتوي على هذه القصة بما يلي :

« إن الحمقى من الناس يزعمون أن كلمة « ما ميكنم» كلام هذا الولي نفسه ، كلا بل هو قول الحق

(١) كلمة فارسية ، معناها ” أنا أفعل ”

تعالى ، فكان هذا الولي يردد قول الحق تعالى مراراً وتكراراً بلذة هذا الإلهام. كما أن أحداً من الناس يردد شعر أحد من الشعراء يتلذذ به ».[1]

□ **ويذكر مؤلف " البصائر "** في كتابه :

« وقد تواتر عن كثير من الأولياء أنهم .ينصرون أولياءهم ويدمرون أعداءهم».[2]

□ ومما يتعلق بمعتقدات الديوبندية في موضوع التصرف هو ما قاله **الشيخ شبير أحمد العثماني** في " بلعم بن باعوراء " وذلك تفسيراً لقوله تعالى : **﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا . . .﴾.**

حيث قال :

« ذهب معظم المفسرين إلى أن هذه الآيات نزلت في بلعم بن باعوراء الذي كان رجلاً عالماً درويشاً صاحب التصرف ، ثم انسلخ من آيات الله . . . إلخ».[3]

● رأي كبار علماءالسنة في هذه المسألة ●

لقد وجّه إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء سؤال ما يلى نصه ، مع إجابة اللجنة عليه :

السؤال : إنني أسمع وأرى بعيني يقولون بأن

(١) انظر " أرواح ثلاثة " ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) " **البصائر** " للداجوي ، ص ١٢ ، ١٦ .

(٣) انظر: تفسيره لسورة الأعراف، الآيات : ١٧٥ ، ١٧٦، ص٢٣٠ ، هامش ، (١).

الأولياء عندهم التصرف في الدنيا في العبد ويقولون بأنهم عندهم أربعين وجهاً تراه رجلاً وتراه ثعباناً وأسداً وغير ذلك، ويذهبون عند المقابر وينامون هناك ويدلجون هناك ، ويقولون بأنه يقف عندهم في المنام ويقول لهم اذهبوا فإنك شفيت فهل هذا الكلام صحيح أم لا ؟

الجواب : ليس للأولياء تصرف في أحد ، وما آتاهم اللّه من الأسباب العادية التي يؤتيها اللّه لغيرهم من البشر ، فلا يملكون خرق العادات ، ولا يمكنهم أن يتمثلوا في غير صور البشر من ثعابين أو أسود أو قرود أو نحو ذلك من الحيوان ، إنما ذلك أعطاه اللّه للملائكة والجن وخصهم به ،ويشرع الذهاب إلى القبور لزيارتها والدعاء بالمغفرة والرحمة لأهلها ولا يجوز الذهاب إليها لطلب البركة والشفاء من أهلها والاستغاثة بهم في تفريج الكربات وقضاء الحاجات ، بل هذا شرك أكبر ، كما أن الذبح لغير اللّه شرك أكبر سواء كان عند قبور الأولياء أم غيرهم ، فما حكيته عنهم مخالف للشرع بل من البدع المنكرة والعقائد الشركية وصلى اللّه على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.[1]

هذا ، ومما قال سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز - حفظه اللّه - إجابة على سؤال وجّه إليه :

« وأما دعاؤهم غير اللّه ، واستغاثتهم بغير اللّه ،أو زعمهم أن آباءهم وأسلافهم يتصرفون في الكون ، أو

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٥٣/١ .

يشفون المرضى أو يجيبون الدعاء مع موتهم أو غيبتهم ، فهذا كله من الكفر بالله عز وجلّ ، وكله من أعمال المشركين».[1]

كما وجه إلى اللجنة الدائمة سؤال يقول : ما معنى قول المنتسبين للتصوف: إن فلاناً صاحب الوقت وإنه من أهل التعريف . . . الخ».

فأجابت اللجنة عليه بما يلي :

« معنى أن فلاناً صاحب الوقت . . .الخ : أن هناك من إليه شؤون الخلق من البشر ، ولديه قدرة على التصرف في أمورهم، يفرج شدتهم ويفكهم ويخلصهم مما أحاط بهم من البلاء ، ويسوق إليهم ما شاء من الخيرات في نظرهم ، ومن اعتقد ذلك فهو مشرك مع الله غيره في الربوبية وتدبير شؤون الخلق ، ولا تصح الصلاة وراءه ، ولا يجوز توليته أمر المسلمين ولا أن يجعل إماما لهم في الصلاة لكفره الصريح وشركه البين وهو أشر من شرك الجاهلية الأولى ، قال الله تعالى : **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ، فذلك الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾**. إلى غير ذلك من الآيات.[2]

---

(١) الفتاوى الإسلامية ٧٧/١ .

(٢) انظر التفصيل في "فتاوى اللجنة الدائمة " ١٨٦/٢.

شفاء المرضى والمصابين

هذا الموضوع له ارتباط قوي بالموضوع السابق ، حيث أن علماء ديوبند يعتقدون في أكابرهم انهم يقدرون على شفاء المرضى والمصابين ، وذلك بقوة التصرف التي يملكونها .

ولا يخفى على القارئ الكريم أن شفاء الخلق من مرض أو ضر أن نحوه هو من الأمور التي لا يقدر عليها إلا اللّه عز وجل .قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام قوله : ﴿ **وإذا مرضت فهو يشفين** ﴾.[1] الآية.

وقال حكاية عن أيوب عليه السلام ، أنه مرض فدعا اللّه تعالى فشفاه ، قال تعالى : ﴿ **وأيوب إذ نادى ربه أني مسّني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ** ﴾.[2] الآية .

وكان الرسول ﷺ يضع يده على المريض ويقول : « اللّهم رب الناس أذهب البأس ، إشف ، أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاءك ، شفاءً لايغادر سقماً »[3] الحديث.

ومع هذه النصوص - المذكورة سابقاً وغير المذكورة - فإن علماء ديوبند يحكون عن أكابرهم أنهم يقدرون على الشفاء ورفع البلاء عن الخلق بقوة التصرف التي يملكونها ، ولنقرأ فيما يلي بعض القصص المروية عنهم ، والتي تبين معتقداتهم في هذه المسألة .

---

(١) سورة الشعراء ، الآية : ٨٠ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٨٣ ، ٨٤ .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

□ يقول الشيخ محمد قاسم النانوتوي :

« إن خواجه أحمد جام كان مشهوراً مستجاب الدعوات فجاءته امرأة بابن لها أعمى فقالت : امسح بوجهه وردَّ عليه بصره. قالت ذلك ثلاث مرات أو أربعاً. وكان هذا الولي يقول لها : « أنا لست أهلاً لذلك ».

فلما ألحت المرأة وأصرّت على طلبها - قام هذا الولي من مجلسه قائلاً : إن هذا الفعل يليق بعيسى عليه السلام ، ولست أهلاً لذلك.

فجاءه إلهام من الله وقال تعالى له : « من أنت ؟ ومن عيسى ؟ ومن موسى ؟ ارجع وامسح وجه ابن هذه المرأة ».

وقال الله تعالى له أيضاً باللغة الفارسية : « ما ميكنم »[1] فلما سمع هذا الولي قول الله تعالى : « ما ميكنم » [بالفارسية بحرف وصوت] . رجع قائلاً : «ما ميكنم ، ما ميكنم » ويكرره ، ومسح على وجه ابن تلك المرأة فبرأ ورجع بصره ».

□ ثم علق الشيخ النانوتوي عل هذه القصة بما يلي :

« إن الحمقى من الناس يزعمون أن كلمة « ما

---

(١) جملة فارسية ، معناها « أنا أفعل ».

ميكنم » كلام هذا الولي نفسه ، كلا ، بل هو قول الحق تعالى ، فكان هذا الولي يردد قول الحق تعالى مراراً وتكراراً بلذة هذا الإلهام ، كما أن أحداً من الناس يردد شعر أحد من الشعراء يتلذذ به ».[1]

□ هذا ، ويحكى **الشيخ نجيب الديوبندي** القصة التالية :

« . . . وكان الشيخ النانوتوي أيضاً قد أصابت رصاصة في إحدى صدغيه ، التي هي من أشد الأعضاء خطراً ، حتى أن شعرات من لحيته كانت قد احترقت بسبب هذه الرصاصة ، وظن الناس أنه قد استشهد ، ولكنه قام بجرأة ومسح يده على وجهه فكأنه لم يصبه شئ ».[2]

□ ونفس هذه القصة يذكرها **الشيخ عاشق إلهي** فيقول :

« أنه ذات مرة جلس الشيخ قاسم العلوم ممسكاً رأسه بيده ، وقد شاهد بعض الناس أنه أصابته رصاصة في إحدى صدغيه وخرجت من الجانب الآخر مروراً بالدماغ ، فأقبل عليه حضرة الشيخ الكنكوهي وقال له : ما بك ؟ ثم وضع عمامته عن رأسه ونظر إلى الرأس فما كان هناك أثر للرصاصة ، والعجب أن الملابس كلها كانت مبلّلة بالدم ».[3]

---

(١) انظر : " أرواح ثلاثة " ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(٢) انظر : " سوانح قاسمي " ١٦٠/٢ .
(٣) " سوانح قاسمي " ١٦٠/٢ .

□ وهذه القصة نفسها يحكيها **الشيخ محمد يعقوب** فيقول :

« إن الشيخ النانوتوي لما أصابته الرصاصة قال[1] له : ما بك ؟ فقال : أصابتني رصاصة ، فوضع العمامة عن رأسه ونظر إليه فما كان هناك أثر للرصاصة ، والعجب أن الملابس كلها كانت مبلَّلة بالدم ».[2]

فهذه الروايات الثلاثة للقصة المذكورة متفقة على أن الرصاصة أصابت في رأس الشيخ النانوتوي ، وأنه ما كان هناك أي أثر للرصاصة في رأسه ، وأن ملابسه كلها كانت مبلَّلة بالدم.

□ **يقول الشيخ مناظر أحسن الكيلاني** في توجيهه لهذه القصة متعددة الروايات :

« فالحاصل أنه ما كان هناك أثر للرصاصة ، كان لا بد منه عادة إثر إصابة الرصاصة ، كما شاهد الناس ذلك ، سواء قلنا في توجيهه أنه كان نتيجة التصرف الباطني لسيدنا الإمام الكبير[3] كما يبدو ذلك من رواية الشيخ محمد طيب ، أم قلنا أنه كان ذلك بسبب تدخل توجه الشيخ الكنكوهي نفسه ، كما أشار إلى ذلك الشيخ عاشق إلهي ».[4]

---

(١) الظاهر أن القائل هو الشيخ الكنكوهي.
(٢) " سوانح قاسمي " ١٦٠/٢ .
(٣) يريد به الشيخ النانوتوي.
(٤) " سوانح قاسمي " ١٦٢/٢ .

ثم يقول الكيلاني :

«ولو أرادوا لفعلوا مثل ذلك[١] بالحافظ الشهيد»[٢]

□ هذا ، **ويقول الشيخ محمد طيب** معلقاً على القصة المذكورة :

« يبدو من كلام المصنف الإمام يعقوب أن عدم تأثير الرصاصة كانت كرامة لحضرة الشيخ نفسه ».[٣]

ثم يقول :

«وقد سمعت عدداً من المشايخ يقولون بأن الحاج إمداد الله – قدس سره – كان أعطاه تميمةً وأمره بأن يضعها في عمامته ، وقد سمعنا من بعض الثقات أيضاً أن حضرة الحافظ الشهيد كان قد دلك من لعاب فيه على ناصيته ، وأما الشيخ عاشق إلهي فإنه أشار في ذلك إلى تصرف الشيخ الكنكوهي ».[٤]

★ ★ ★

---

(١) أي لأنقذوه من الموت باستخدام قوة التصرف الباطني .
(٢) " سوانح قاسمي " ص/١٦٢ .
(٣) " سوانح قاسمي " ١٦١/٢ .
(٤) "سوانح قاسمي " ١٦١/٢ .

نداء "يا رسول الله أو "يا جيلاني" أو غيره
لتفريج الكربات وقضاء الحاجات

☐ **يقول الشيخ أشرف علي التانوي :**

« أحلف بالله أنه ما ذهب أحد إلى قبره الشريف – ﷺ – إلا جبر كسره ، وتلافي نقصانه ، و ما لاذ به لائذ مضطر إلا رجع آمناً وما خاب رجاءه .

وما حضر عند قبره الشريف عائل فقير إلا قضيت حوائجه ، وما دعاه محزون عند حادثة نزلت به إلا أجابه العون والتيسير منه ﷺ».(١)

☐ **ويقول الشيخ الحاج إمداد الله في قصيدة له يمدح بها شيخه ، ما معناه :**

« أنت يا سيدي ؛ نور محمد – ﷺ – و خاصته ونائبه في الهند ،وأنت المعين ،فلا ينبغي لإمداد الله أن يخاف شيئاً بعد هذا ، وهذه الأحاديث المليئة بالحب ، التي ترتجف لها الأطراف . ويا سيدي ؛ نور محمد – ﷺ – هذا أوان الإغاثة وليس في الدنيا من نعتمد عليه سواك ، ولامن نلتجي إليه غيرك ، وحتى يوم القيامة أقول على ملأ من الناس آخذاً بأذيالك : يا

---

(١) انظر " نشر الطيب " للتانوي ، ص ١٤٢ .

سيدي نور محمد - ﷺ - هذا أوان إغاثتك إيانا»[1]

□ هذا ، وفي مقالات الكوثري :

« يجوز النداء للرسول ﷺ بعد وفاته لتفريج الكربات ، وأنه عمل متوارث بين الصحابة رضي الله عنهم».[2] كما يجوز النداء له ﷺ في غيبته.[3]

□ ويقول الشيخ حسين أحمد المدني وهو يرد على أتباع الشيخ محمد ابن عبدالوهاب :

« الوهابية النجدية يعتقدون وينادون على مرأى و مسمع إن القول : "يا رسول الله" استعانة بغير الله وهذا شرك ».[4]

---

(١) انظر : " شمائم إمدادية " للتانوي ، ٨٤/٣ .
(٢) انظر " مقالات الكوثري " ص ٣٩١ .
(٣) " مقالات الكوثري " ص ٣٨٩ .
(٤) " الشهاب الثاقب " ص ٦٥ - هذا ، وقد رد على هذه الجملة الشيخ حمود التويجري فقال :
« والجواب أن يُقال : إن كلام حسين أحمد في هذه الجملة يدل على أنه كان لا يرى بأساً بدعاء النبي ﷺ ، وينكر أن يكون دعاؤه والاستعانة به شركاً ، وهذا من جهله بالتوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ ، وأمره أن يدعو الناس إليه وإلى إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى ، وينهاهم عن الشرك والالتجاء إلى غير الله ، ومن الشرك دعاء الأموات ؛ كقول القائل : يا رسول الله ! أغثني. أو : أنا في حسبك . . ونحو هذا من العبارات التي يستعملها كثير من المفتونين بالموتى وإشراكهم مع الله في الدعاء وغيره من أنواع العبادة. وقد أمر الله عباده بتوحيدهم ونهاهم عن الشرك به ، في آيات كثيرة من القرآن ، وأخبر تبارك وتعالى أن دعاء غيره ضلال ، وأن الذين=

● رأي علماء أهل السنة في هذه المسألة ●

لقد وجه إلى اللجنة الدائمة سوال ، فيما يلى نصه وجواب اللجنة الدائمة :

السؤال : نداء ودعاء النبي ﷺ في كل حاجة والاستعانة به في المصائب والنوائب من قريب أعني عند قبره الشريف أو من بعيد أشركٌ قبيح أم لا؟

الجواب : دعاء النبي ﷺ ونداؤه والاستعانة به بعد موته في قضاء الحاجات وكشف الكربات شرك أكبر يخرج من ملة الإسلام سواء كان ذلك عند قبره أم بعيداً عنه ، كأن يقول يا رسول اللّه اشفني أو رد غائبي أو نحو ذلك ، لعموم قوله تعالى : ﴿**وأن المساجد للّه فلا تدعوا مع اللّه أحداً**﴾ وقوله عز وجل : ﴿**ومن يدعو مع اللّه إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون**﴾ وقوله عز وجلّ : ﴿**ذلكم اللّه ربكم**

=يدعونهم من دون اللّه لا يستجيبون لهم بشيء ، ولا يملكون لهم ضرّاً ولا نفعاً ، والآيات في هذا كثيرة جداً :

ومنها قول اللّه تعالى : ﴿وأن المساجد للّه فلا تدعوا مع اللّه أحداً﴾.

فنهى تبارك وتعالى أن يُدعى معه أحد ، وهذا يعمُّ الملائكة والأنبياء وغيرهم من سائر الخلائق [القول البليغ ص ٨٨ ، ٨٩] .

كما رد الدكتور محمد تقي الدين الهلالي على الشيخ حسين أحمد فقال :

« ويلك يا مشرك! فإذا لم يكن : (يا رسول اللّه!) عبادة ؛ فأين العبادة؟! فإذا قلت : يا اللّه! فقد عبدت اللّه ، وإذا قلت : يا رسول اللّه ! أغثني ! فقد عبدت الرسول وكفرت باللّه ، والرسول بريء منك» [السراج المنير ص ٢٧ ، ٢٨] .

له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾.[1]

كما قالت اللجنة إجابة على سؤال آخر وجّه إليها:

« نداء الإنسان رسول الله ﷺ أو غيره كعبد القادر الجيلاني أو أحمد التيجاني عند القيام أو القعود والاستعانة بهم في ذلك أو نحوه لجلب نفع أو دفع ضر نوع من أنواع الشرك الأكبر الذي كان منتشراً في الجاهلية الأولى، وبعث الله رسله عليهم الصلاة والسلام ليقضوا عليه وينقذوا الناس منه ويرشدوهم إلى توحيد الله سبحانه وإفراده بالعبادة والدعاء ، وذلك أن الاستعانة فيما وراء الأسباب العادية لا تكون إلا بالله تعالى ؛ لأنها عبادة فمن صرفها لغيره تعالى فهو مشرك، وقد أرشد الله عباده إلى ذلك فعلّمهم أن يقولوا : **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾** وقال : **﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾**. وبين لهم أنه وحده بيده دفع الضر وكشفه وإسباغ النعمة وإفاضة الخير على عباده وحفظ ذلك عليهم ، ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى وهو على كل شئ قدير ، قال

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٣١٥/١ .

تعالى : ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين . وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾.[1]

وقال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين وهو يجيب على سؤال وجّه إليه :

« ومن استغاث برسول الله ﷺ ، معتقداً أنه يملك النفع والضر فهو كافر مكذب لله تعالى مشرك به لقوله تعالى : ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ وقوله تعالى : ﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً﴾. وقوله ، ﷺ ، لأقاربه لا أغني عنكم من الله شيئاً كما قال ذلك لفاطمة وصفية عمة رسول الله ، ﷺ .

ولا تجوز الصلاة خلف هذا الرجل ومن كان على شاكلته ولا تصح الصلاة خلفه ولا يحل أن يجعل إماما للمسلمين».[2]

وقال فضيلته إجابة على سؤال وجّه إليه ، وهو يذكر أقسام المديح للنبي ﷺ :

---

(١) انظر تفصيل السؤال والجواب بكامله في فتاوى اللجنة الدائمة ١/٩٧ ، ٩٨.
(٢) انظر تفصيل السؤال والجواب في " فتاوى ابن عثيمين " ١/٣٣٣ ، ٣٣٤.

« **والقسم الثاني** : من مديح الرسول ، ﷺ ، قسم يخرج بالمادح إلى الغلو الذي نهى عنه النبي ، ﷺ، وقال : «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله » . فمن مدح النبي ، ﷺ ، بأنه غياث المستغيثين ومجيب دعوة المضطرين ، وأنه مالك الدنيا والآخرة ، وأنه يعلم الغيب وما شابه ذلك من ألفاظ المديح فإن هذا القسم محرم بل قد يصل إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة ، فلا يجوز أن يمدح الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، بما يصل إلى درجة الغلو لنهي النبي ، ﷺ ، عن ذلك.»[1]

كما سئل فضيلته عن أنواع الشرك فقال :

« . . . والشرك نوعان : شرك أكبر مخرج عن الملة ، وشرك دون ذلك.

النوع الأول : الشرك الأكبر وهو : «كل شرك أطلقه الشارع وهو يتضمن خروج الإنسان عن دينه» مثل أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة لله – عزوجل – لغير الله ، كأن يصلي لغير الله ، أو يصوم لغير الله ، أو يذبح لغير الله ، وكذلك من الشرك الأكبر أن يدعو غير الله – عز وجلّ – مثل أن يدعو صاحب قبر ، أو يدعو غائباً ليغيثه من أمر لا يقدر عليه إلا الله – عز وجل –

---

(١) انظر التفصيل في " فتاوى ابن عثيمين " ٣١٩/١ ، ٣٢٠ .

وأنواع الشرك معلومة فيما كتبه أهل العلم».[1]

ومن إجابته - حفظه الله - عن حكم البناء على القبور :

« البناء على القبور محرَّم وقد نهى عنه النبي ﷺ لما فيه من تعظيم أهل القبور وكونه وسيلة وذريعة إلى أن تعبد هذه القبور وتتخذ آلهة مع الله كما هو الشأن في كثير من الأبنية التي بنيت على القبور فأصبح الناس يشركون بأصحاب هذه القبور ، ويدعونها مع الله - تعالى - ودعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم لكشف الكربات شرك أكبر وردّة عن الإسلام . والله المستعان».[2]

وقال فضيلته فيمن يزور القبور ويدعو الأموات ويستغيث بهم ويستعين بهم :

« . . .أما من زارهم ونذر لهم وذبح لهم أو استغاث بهم ، فإن هذا شرك أكبر مخرج عن الملة يكون صاحبه به كافراً مخلداً في النار».[3]

كما سئل فضيلته عما يقوله بعض الناس عند الشدة " **يامحمد** ، أو **يا علي** ، أو **يا جيلاني** " فأجاب بقوله :

« إذا كان يريـد دعاء هؤلاء والاستغاثـة بهم

---

(١) انظر التفصيل في " فتاوى ابن عثيمين " ٢٠٢/٢ ، ٢٠٣ .
(٢) " فتاوى ابن عثيمين " ٢٣٣/٢ .
(٣) راجع للتفصيل " فتاوى ابن عثيمين " ٢٤٦/٢ ، ٢٤٧ .

فهو مشرك شركاً أكبر مخرجاً عن الملة ، فعليه أن يتوب إلى الله - عز وجل - وأن يدعو الله وحده ، كما قال - تعالى - : ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أ إله مع الله﴾، وهو مع كونه مشركاً سفيه مضيع لنفسه، قال الله - تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ وقال ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾». (١)

وسئل أيضاً عن رجل محافظ على الصلاة والصيام ، وظاهر حاله الاستقامة ، إلا أن له حلقات يدعو فيها الرسول ﷺ ، وعبد القادر ، فما حكم عمله هذا ؟ فأجاب بقوله :

« ما ذكره السائل يحزن القلب ، فإن هذا الرجل الذي وصفه بأنه يحافظ على الصلاة ، والصيام ، وأن ظاهر حاله الاستقامة قد لعب به الشيطان وجعله يخرج من الإسلام بالشرك وهو يعلم أو لا يعلم ، فدعاؤه غير الله - عز وجل - شرك أكبر مخرج عن الملة ، سواء دعا الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، أو دعا غيره ، وغيره أقل منه شأناً وأقل منه وجاهة عند الله - عز وجل - فإذا كان دعاء رسول الله ، ﷺ ، شركاً فدعاء غيره أقبح وأقبح من عبدالقادر أو غير عبدالقادر ، والرسول

---

(٢) انظر "فتاوى ابن عثيمين" ١٦٣/٢ ، ١٦٤ .

عليه الصلاة والسلام ، نفسه لا يملك لأحد نفعاً ولا ضرّاً قال الله - تعالى - آمراً له : ﴿**قل إني لا أملك لكم ضرّاً ولا رشداً**﴾. وقال آمراً له : ﴿**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي**﴾ ، وقال - تعالى - آمراً له : ﴿**قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون**﴾. بل قال الله - تعالى - آمراً له : ﴿**قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً**﴾. فإذا كان الرسول ، ﷺ ، نفسه لا يجيره أحد من الله فكيف بغيره؟! فدعاء غير الله شرك مخرج عن الملة ، والشرك لا يغفره الله - عز وجل - إلا بتوبة من العبد لقوله - تعالى - : ﴿**إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآء**﴾ وصاحبه في النار لقوله - تعالى - : ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**﴾.

ونصيحتي لهذا الرجل أن يتوب إلى الله من هذا الأمر المحبط للعمل فإن الشرك يحبط العمل قال الله - تعالى - : ﴿**ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**﴾.

فليتُب إلى الله من هذا ، وليتعبد لله بما شرع من

الأذكار والعبادات ، ولا يتجاوز ذلك إلى هذه الأمور الشركية وليتفكر دائماً في قوله - تعالى - ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾.[1]

★ ★ ★

---

(١) " فتاوى ابن عثيمين " ٢/١٦٠ - ١٦٢ .

المراقبة عند القبور

□ ذكر الشيخ عاشق إلهي الميرتي الديوبندي فقال :

« كنت أنا والشيخ حكيم الأمة أشرف علي التانوي رحمه الله يوماً مع الشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، فحضرنا قبر شيخ الطائفة الصوفية "الخواجه الأجميري" وكان الزائرون يطوفون حول القبر ويسجدون له، ولما وصل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري إلى قبره جلس مراقباً ، واستغرق في المراقبة إلى حدٍّ لم يعلم ما جرى وما يجري ، مع أن الجلوس أمام القبر كان يعتبر سوء أدب عند العاكفين المطوفين القائمين على هذا القبر . ولذلك رموه بأنظارهم غضباً عليه من النواحي الأربعة ، و كاد أن تكون فتنة ، والشيخُ لم يعلم ذلك لاستغراقه في المراقبة . فقيل للشيخ حكيم الأمة التانوي : لو نبّهتَ الشيخ ليقوم ، فقال : ما عندى جرأة في هذه الحالة ، لأن أكون مخلاً بينه وبين مراقبته .

ثم أفاق الشيخُ السهارنفوري من المراقبة وقام ، وذهبنا جميعاً ، ثم قصصنا عليه قصة الفتنة وغضب هؤلاء العاكفين القائمين علىالقبر . فقال الشيخُ السهارنفوري : لم أعلم بشيء من ذلك ، هلا

أخبرتموني لو كان الأمر كذلك.[١]

□ **وذكر الشيخ محمد الثاني الحسني في كتابه** " سيرة محمد يوسف ":

« إن الشيخ محمد إلياس كان يجلس في أكثر الأحيان خلف قبر عبد القدوس الكنكوهي - رئيس الطريقة الجشتية الصابرية - وكان يجلس في الخلوة قرب قبر نور سعيد البدايوني ، ويصلي بالجماعة هناك».[٢]

□ **كما ذكر محمد أسلم الباكستاني** عن سردار محمد الباكستاني أنه قال :

« ضللت في جماعة التبليغ عشر سنوات تقريباً ، وكثيراً ما ذهبت مع الشيخ محمد يوسف الدهلوي أمير جماعة التبليغ في ذلك الوقت قريباً من نصف الليل إلى قبر محمد إلياس في محلة نظام الدين مقر الجماعة بدهلي ، فكنا نجلس حول قبره وقتاً طويلاً في حالة المراقبة ،ساتري الرؤوس » .

قال : « وكان الشيخ محمد يوسف يقول : إن صاحب هذا القبر شيخنا محمد إلياس يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط

---

(١) " تذكرة الخليل " للشيخ عاشق إلهي الميرتي ص ٣٧١ ، ٣٧٢ .
(٢) " سيرة محمد يوسف " ص ١٣٥ .

والتعلق به .

وكذلك كنا نجلس أيضاً على قبر الشيخ عبدالرحيم رأي فوري في هيئة المراقبة .

وكان الشيخ محمد يوسف يجلس مراقباً عند قبر النبي ﷺ عدة ساعات خلال إقامته في المدينة المنورة ».[1]

● رأي علماء السنة في هذه المسألة ●

لمعرفة الغرض من المراقبة عند القبور والمرابطة عليها ومعرفة مدى خطورة هذه العقيدة نقرأ ما كتبه العلامة تقي الدين الهلالي رداً على ما قاله الشيخ محمد يوسف ، يقول الدكتور الهلالي :

« قول محمد يوسف : " إن صاحب هذا القبر - يعني : أباه محمد إلياس - يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به" : هذا يسمى في اصطلاح غيرهم من أهل طرائق التصوف استمداداً.

وقد تقدّم أن الشيخ عبدالكريم المنصوري السلجماسي لما أعطاني الطريقة التجانية ؛ أمرني إذا جلست لذكر الله تعالى أن أتصور صورة الشيخ أحمد التجاني أمامي وعمود من نور يخرج من قلبه ويدخل

(١) نقلاً من " القول البليغ " ص ٦٥ ، ٦٦ .

في قلبي ؛ يعني أنه ينوّر قلبي ويشرح صدري ويؤهّله للفيوض .

وهذا كفر صريح .

وقد أخبرني الثقات أن عليّاً أبا الحسن الندوي كان يجلس في مسجد النبي ﷺ مستقبلاً الحجرة الشريفة في غاية الخشوع ، لا يتكلم ساعتين وأكثر ، فاستغربت هذا الأمر ، وفهمت أنه استمداد ، ولم أكن أعلم أن هذا شائع عندهم في طريقتهم ، إلى أن كشفه محمد أسلم جزاه الله خيراً.

فهذا شرك بالله تعالى ، واتخاذ وسائط بين العبد وبين ربّه ، وقد رأيت في كتاب "كشّاف القناع في شرح الإقناع" – من أشهر كتب فقه الحنابلة – مانصه :

قال الشيخ رحمه الله : من اتخذ وسائط بينه وبين الله ؛ كفر إجماعاً . والمراد بالشيخ هنا هو شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

ومن المعلوم أن الله تعالى هو الذي يمد عباده بالأرزاق الحسية كالطعام والشراب وقوة البدن ، وبالأرزاق المعنوية ؛ كهداية القلوب وتنويرها وشرح الصدور والتجليات لها ، ولكن الله تعالى لا يحتاج إلى واسطة يتوسط بينه وبين خلقه في منحهم تلك الأرزاق؛ لا من الملائكة ، ولا من الأنبياء ، ولا من الصالحين.

فالملائكة يستغفرون للمؤمنين ، ويسألون الله لهم الرحمة ، ولا يستطيعون أن يعطوهم مثقال ذرة من ذلك ولا أقل .

والأنبياء يعلمون أممهم ، ويبلغونهم رسالة ربهم ، ولا يستطيعون أن يعطوا أحداً منهم مثقال ذرة من الهداية ولا أقل من ذلك ؛ لأن الهداية بيد الله وحده . قال الله تعالى لسيد الأنبياء : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾ .

وطرائق المتصوفة يشبه بعضها بعضاً في ضلالاتها وشركها ، وقول محمد يوسف : إن أباه محمد إلياس يوزع النور الذي ينزل عليه من الله تعالى على حسب ارتباط المريدين به وقوة إخلاصهم واستمدادهم أدهى وأمرّ مما تقدّم وزيادة وضوح لهذا النوع من الكفر»[1]

ويقول الشيخ حمود التويجري في كتابه :

« ومن الشركيات التي ذكرت عن بعض مشايخ التبليغيين أنهم كانوا يرابطون على القبور ، وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور ، ويقرون بمسألة حياة النبي ﷺ وحياة الأولياء حياة دنيوية لا برزخية » .

---

(١) انظر "السراج المنير" للهلالي ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

وقال :

« وإذا كان النبي ﷺ قد أنكر على الرجل الذي أشركه مع الله في المشيئة ؛ فكيف بمن صرف للنبي ﷺ أشياء كثيرة من خصائص الألوهية ، فجعل النبي ﷺ معتمداً له في الاضطرار ، وملجأ ومستغاثاً من الضر والشدائد، وسنداً ومدداً وملتحداً وساتراً للذنوب والفند، وعافياً ومقيلاً للعثار؟! » .

وقال أيضاً :

« فلينتبه المفتونون بالقبور والتمائم والتعاويذ الشركية والشعوذة والأحوال الشيطانية من التبليغيين وغيرهم لهذا الوعيد الشديد لمن أشرك بالله ، ولا يستهينوا به ، ولا يأمن الواقعون في أي نوع من الشرك أن يكون لهم نصيب وافر من الوعيد الشديد للمشركين ».[1]

★ ★ ★

(١) انظر التفصيل في " القول البليغ " ص ٦٣ - ٦٥ .

قراءة الفاتحة على القبر

إن قراءة سورة الفاتحة على القبر عند زيارته من المسائل المعمول بها لدى طائفة ديوبند ، فقد ذكر الشيخ عبدالفتاح أبو غدة الكوثري(١) قصة رحلته إلى الهند ، و زيارته لقبر العلامة عبدالحئي اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ) و ذكر أن أسرة هذا الإمام أحسنوا في ضيافته ، كما ذكر أنه مدفون في بستان الأنوار ، وبجانبه مسجد تقام فيه الصلوات. ثم قال :

«ورأيت قبر الشيخ عبدالحي رحمه الله منحوتاً من المرمر الرخام الأبيض ومكتوباً عليه قول تلميذه "عبدالعلي المدراسي"(٢).

من قصيدة له في رثائه . . .، :

أيها الزوار قف واقرأ على هذا المزار   سورة الإخلاص والسبع المثاني والقنوت.(٣)

---

(١) عبد الفتاح أبو غدة من ألد أعداء الدعوة السلفية والسلفيين. كما يدل على ذلك كتاباته وأسلوبه الجارح الذي تعوّد عليه لذكر رجال الحديث ، إضافة إلى ذلك فإنه يتمتع بمهارة فائقة في تحريف النصوص ؛ نصوص الحديث ونصوص الأئمة الكبار، وتوجيه الكلام بما لا يرضى به قائله ، وذلك من أجل خدمة الطائفة الكوثرية ومعتقداتهم الصوفية [انظر للتفصيل في هذا الموضوع كتاب « تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الإستدلال " للدكتور بكر بن عبدالله أبي زيد] .

(٢) هو الشيخ عبد العلي بن مصطفى المدراسي الحنفي ،من كبار علماء الهند ، توفي عام ١٣٢٧هـ ، [انظر تفصيل ترجمته في "نزهة الخواطر" ٢٦٦/٨] .

(٣) انظر مقدمة أبي غدة على كتاب " الرفع والتكميل" ص ١٤ ، ١٥ . ط الثانية، عام ١٤٠٧هـ ، ولا يخفى على القارئ الأمور المؤدية إلى الشرك فيما ذكره أبو غدة عبد الفتاح عن قبر الشيخ عبد الحئ ، من البناء عليه وتشييده وتزيينه=

● رأي كبار علماء السنة في هذه المسألة ●

لقد وجّه إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء سؤال يقول :

هل يجوز قراءة الفاتحة أو شئ من القرآن للميت عند زيارة قبره ، وهل ينفعه ذلك ؟

فأجابت اللجنة عليه بما يلي :

الجواب : ثبت عن النبي ، ﷺ ، أنه كان يزور القبور، ويدعو للأموات بأدعية علّمها أصحابه وتعلموها عنه ، من ذلك : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ،وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ،نسأل الله لنا ولكم العافية ، ولم يثبت عنه ﷺ ، أنه قرأ سورة من القرآن أو آيات منه للأموات مع تكرار زيارته لقبوره ، ولو كان ذلك مشروعاً لفعله ،وبيّنه لأصحابه ، رغبة في الثواب ورحمة بالأمة ، وأداءً لواجب البلاغ ، فإنه كما وصفه تعالى بقوله : ﴿**لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيمٌ**﴾. فلما لم يفعل ذلك مع وجود أسبابه ، دل على أنه غير مشروع.

وقد عرف ذلك أصحابه ، رضي الله عنهم،فاقتفوا

=ثم ما في البيت المذكور من المخالفات الشرعية ، من قراءة سورة الفاتحة وسورة الإخلاص ، والقنوت على قبر الشيخ وقت زيارته ، بدلاً من قراءة الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ وقت زيارة القبور.

أثره ، واكتفوا بالعبرة والدعاء للأموات عند زيارتهم ، ولم يثبت عنهم أنهم قرءوا قرآناً للأموات ، فكانت القراءة لهم بدعة محدثة ، وقد ثبت عنه ﷺ ، أنه قال **« من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو ردّ »** .[1]

هذا ، وسئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - حفظه الله - عن حكم زيارة المقابر ، وحكم قراءة الفاتحة عند زيارتها ، وحكم زيارة النساء للقبور ، فكان جوابه عما يتعلق بقراءة الفاتحة :

« وينبغي لمن زار المقبـرة أن يدعو بما كان النبـي ، ﷺ ، يدعو به وعلمه أمته : **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ،نسأل الله لنا ولكم العافية اللّهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم»**. يقول هذا الدعاء » .

ولم يرد عن النبي ، ﷺ ، أنه كان يقرأ الفاتحة عند زيارة القبور وعلى هذا فقراءة الفاتحة عند زيارة القبور خلاف المشروع عن النبي ، ﷺ ،».[2]

كما قال فضيلته إجابةً على سؤال وجّه إليه :

« وينبغي للزائر أن يفعل ما كان يفعله النبي ، ﷺ

---

(١) الفتاوى الإسلامية ٣٦/١ . وانظر أيضاً كلاماً شافياً في هذا الموضوع لسماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز ، في فتاواه ، ٣٤٥/٥ - ٣٤٨ .

(٢) انظر التفصيل في " فتاوى ابن عثيمين " ٢٤٤/٢ - ٢٤٦ .

من السلام عليهم دون القراءة فقد كان مما يقوله،عليه الصلاة والسلام :«السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون وإنا إن شاء اللّه بكم للاحقون يرحم اللّه المستقدمين منكم والمستأخرين ،نسأل اللّه لنا ولكم العافية ، اللّهم لا تحرمنا أجرهم ،ولا تفتنا بعدهم ، واغفرلنا ولهم». ولا تنبغي القراءة على القبر لأن ذلك لم يرد عن النبي ، ﷺ ، وما لم يرد عنه فإنه لا ينبغي للمؤمن أن يعمله ».[1]

★ ★ ★

(١) " فتاوى ابن عثيمين " ٢٤٣/٢ .

كشف القبور[1]

إن مسألة كشف القبور ومخاطبة الأرواح من المسائل المهمة لدى الصوفية ،والتي تميّز الديوبندية عن غيرها ، فهم يؤمنون بها إيماناً لايترك لهم مجال الشك فيها .

□ **قال " الله يار " الديوبندي :**

« كان شيخنا[2] قد أعطي حظاً وافراً من كشف القلوب وكشف القبور ».[3]

□ **وقال الشيخ نجم الدين الديوبندي :**

« وهل قال أحد من علماء ديوبند أنه لاترتفع الحجب أمام الصالحين ».[4]

□ **وقال مؤلف "انكشاف" :**

« أولئك الصالحون يشاهدون عالم المثال والأنوار والتجليات بأعينهم ، لصفاء قلوبهم ».[5]

---

(١) لمعرفة آراء علماء أهل السنة وأدلتهم وردهم على مثل هذه المعتقدات الباطلة ، راجع ما ذكرناه في أبواب "الاستفادة من المقبورين" و "علم الغيب " و "الاستغاثة بالصالحين بعد مماتهم" وغيرها.

(٢) يريد به " الشيخ حسين أحمد المدني ".

(٣) انظر " عقائد وكمالات علماء ديوبند " ص ٦٩ .

(٤) "زلزله در زلزله " ص ٩٣ .

(٥) "انكشاف" ص ٢٤ نقلاً عن الكتاب «زيروزبر» للأرشد القادري.

ولنقرأ فيما يلي قصة تزيد هذه العقيدة أيضاحاً :

◻ **ذكر الشيخ حسين أحمد المدني في** كتابه :

« إن شيخاً نقشبندياً زار قرية ديوبند أيام حركة الخلافة ، وقام مراقباً على قبر الشيخ النانوتوي ، وأطرق طويلاً ، ثم رفع رأسه وقال : عرضتُ على الشيخ ما نعاني من الحكام الإنجليز ، فأشار إلى الشيخ محمود الحسن وقال : هذا آخذ بقائمة العرش يناشد ربه أن يطرد الإنجليز من الهند »[1].

◻ **ويقول مؤلف " انكشاف"** عن هذه القصة :

« هذا ما حكاه الشيخ حسين أحمد المدني ، ويدل على عدة أمور، منها مخاطبة الأرواح، وكشف القبور ، وكون الأرواح موجودة في القبور ، وأنها خبيرة بأحوال الدنيا ، وأنها تدعو لأهل الدنيا أو عليهم ، والاستفادة من الأرواح »[2].

★ ★ ★

---

(١) انظر " نقش حياة " للشيخ حسين أحمد المدني ص ٤٧٢ .
(٢) " انكشاف "نقلاً عن الكتاب «زيروزبر» للأرشد القادري.

كشف القلوب[1]

إن عقيدة الديوبندية في كشف القلوب لا تختلف كثيراً عن عقيدتهم في مسألة علم الغيب والعلم بما في الصدور ، كما يتضح ذلك من خلال النقول التالية :

□ **قال الشيخ أخلاق حسين القاسمي :**

« إن الشيخ المدني أحس بما خطر على قلب الحاج، بقوة إيمانه ، وهذا ما يسمى في اصطلاح الصوفية بكشف القلوب ».[2]

ولما اعترض أحد البريلوية على مثل هذ القصة أجابه مؤلف "انكشاف" قائلاً :

« لو سلمنا أن الشيخ المدني اطلع على ما تخفي القلوب ، بواسطة الكرامة ، فأي غرابة في ذلك ».[3]

وقال في موضع آخر :

« والذي لايفرق بين الكشف وبين علم الغيب ،

---

(١) هذه المسألة في غنى عن ذكر أقوال علماء أهل السنة فيها ، ويمكن للقارئ مراجعة ما ذكرناه في موضوع "علم الغيب" وغيره ، من أقوال علماء أهل السنة.

(٢) انظر صحيفة " الجمعية " الصادرة في دلهي ، عدد خاص عن شيخ الإسلام حسين أحمد المدني ، ص ٣٢٢ .

(٣) " انكشاف " ص ١٣٦ نقلاً عن الكتاب «زيروزبر» للأرشد القادري.

ويجعلها شيئاً واحداً ، فهو جاهل لا يعرف لطائف الشريعة الإسلامية ».[1]

□ **وذكر الشيخ عبد الماجد الدريا آبادي[2] فقال :**

« شهد قلبي أن شيخي متنور القلب ، تظهر عليه خفايا الأمور ، ولا يسبقه أحد في الكشف والكرامة ، فما قمت من مجلسي ذلك حتى أيقنت أن للشيخ قدماً راسخة في علم الغيب وكشف القلوب ».[3]

□ **وقال الشيخ حبيب الرحمن[4] :**

« إن "ديوان جي" - وكان من أخص خدام الشيخ النانوتوي - كان قد بلغ أمره في الكشف بحيث أنه كان يبصر المارين على الشارع من عقر داره ، ولا تحول الجدران دون ذلك عند اشتغاله بالذكر ».[5]

□ **وذكر مؤلف "أرواح ثلاثة" :**

«كان الشيخ "فضل حق " يقرأ الحديث على الشاه عبد القادر ، وكان الشاه عبدالقادر من كبار

---

(١) " انكشاف " ص ١٣٦ نقلاً عن الكتاب «زيروزبر» للأرشد القادري.

(٢) هو أحد الصحفيين البازرين في الهند ، له مؤلفات عديدة ، منها ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره إلى اللغة الأردية ، وكان ممن بايعوا الشيخ حسين أحمدالمدني والشيخ أشرف علي التانوي.

(٣) انظر "حكيم الأمة" للشيخ عبدالماجد الدريا آبادي ص ٣٣ .

(٤) هو أحد كبار العلماء ، ومن أهم خدام دار العلوم بديوبند . [سوانح قاسمي ٧٣/٢] .

(٥) انظر " سوانح قاسمي " ٧٣/٢ .

أصحاب الكشف ، حتى فاق جميع أسرته في هذه الصفة ، فكان يعرف عن طريق الكشف هل جاء فضل حق يحمل كتبه بنفسه أم حملها خادمه ، فكان لا يدرّسه إلا إذا جاء يحمل كتبه بنفسه ».(١)

□ **وقال الشيخ شبير أحمد العثماني في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ويقوم إني أخاف عليكم يوم التناد﴾.** الآية :

« ذهب عامة المفسرين إلى أن المراد بيوم التناد هو يوم القيامة ، ولكن ذهب حضرة الشاه إلى أن المراد بيوم التناد هو اليوم الذي جاء فيه العذاب إلى قوم فرعون – إلى أن قال – فلعل هذا الرجل المؤمن علم عن طريق الكشف أو عن طريق القياس أنه هكذا يأتي العذاب على كل قوم ».(٢)

★ ★ ★

(١) انظر " أرواح ثلاثة " ص ٦٩.

(٢) انظر : تفسيره لسورة المؤمن ، الآية : ٣٢ ، ص ٦٢٦ ، هامش (٢).

العلم بالآجال[1]

إن العلم بالآجال من الأشياء التي استأثر اللّه بعلمها ، قال تعالى :

﴿وما تدري نفس ما ذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾.[2]

ولكن الديوبندية تزعم أنه ليس من خصائص اللّه سبحانه وتعالى بل يمكن الاطلاع عليه من خلال الكشف والمراقبة ، كما أن مؤلفي هذه الطائفة يحكون قصصاً وروايات تدل على ما ذكرناه ، وهذه القصص كثيرة وكثيرة ، نكتفي على ذكر بعض منها دون أي تعليق عليها.

□ ذكر مؤلف " أرواح ثلاثة " :

« إنه خرج الشيخ مظفر حسين حاجاً إلى مكة في ٢٣ جمادي الثانية عام ١٢٨٢هـ ، وأصيب بمرض الإسهال قبل وصوله إلى مكة ، وذات مرة قال للشيخ إمداد اللّه وهو في مكة : أتمنى أن أموت بالمدينة المنورة ولكنه يبدو أن أجلى قد قرُب ، فلو راقبت ، فراقب الشيخ ، ثم رفع رأسه وقال : لا ، وسوف تصل إلى المدينة ، وبعد أيام برئ مظفر حسين من مرضه ، وتوجه إلى المدينة في اليوم التالي ،ولما كان على مسافة يوم من

---

(١) إن العلم بالآجال من الأمور الغيبية التي استأثر اللّه بعلمها ، ولذا فما رأينا الحاجة ماسة إلى ذكر آراء علماء أهل السنة في هذه المسألة لوضوحها لدى القارئ.

(٢) سورة لقمان ، الآية : ٣٤ .

المدينة عاد مرضه ، فمات بالمدينة في ١٠محرم عام ١٢٨٣هـ ودفن بالبقيع قريباً من قبر عثمان رضي الله عنه ».[1]

□ **وذكر الشيخ رياض أحمد** - رئيس جمعية علماء ميوات - لقاءه الأخير مع الشيخ حسين أحمد المدني ، قال :

«قلت للشيخ : يا سيدي ! سوف أحضر إليكم في نهاية هذه السنة ، إن شاء الله . فقال الشيخ المدني : لن نجتمع في هذه الدنيا مرة أخرى ، بل نلتقي يوم القيامة ، إن شاء الله ، فذرفت عيون الحاضرين في المجلس».[2]

هذا ، وقد اعترض أحد البريلوية على هذه القصة المذكورة فأجابه مؤلف "إنكشاف" قائلاً :

« لو سلمنا أن الشيخ المدني علم بموعد وفاته قبل أوانه فأي غرابة في ذلك ؟ فإن مثل هذا لايستبعد من ذكاء وفراسة الصالحين ».[3]

□ **وقال مؤلف " تذكرة الرشيد " ما ملخصه :**

---

(١) انظر "أرواح ثلاثة " ص ٢٢٢ - وانظر القصة أيضاً في كتاب "قصص الأكابر" لمؤلفه الشيخ أشرف علي التانوي ، ص ١٠٣ ، وقد صرح فيه الشيخ إمداد الله المكي بأن المذكور يموت بالمدينة المنورة.

(٢) انظر : صحيفة "الجمعية" الصادرة في دلهي ، ص ٣٠٧ .

(٣) انظر " انكشاف " ص ٢٣٤ نقلاً عن الكتاب «زيروزبر» للأرشد القادري.

« مرض النواب "تشاري" مرضاً شديداً ، يئس الناس من حياته ، فأرسلوا رجلاً إلى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي يطلب منه الدعاء للمريض المذكور، فقال الشيخ لمن معه في المجلس : ادعوا لفلان، فحزن الناس بذلك ، حيث أن الشيخ ما وعد له بالدعاء ، فطلبوا منه الدعاء له مرة أخرى ،فقال : إن الأمر قد قدّر ، وأنه لم يبق إلا أيام قليلة من حياته ، فلما سمعوا منه ذلك لم يكن لهم مجال للكلام فيه ، ويئسوا من حياة النواب، ولكن الرسول طلب منه وقال : ادع الله له أن يفيق ويصحو من غمته ، حتى يوصى ويقول ما شاء في أمور الدولة ، فقال الشيخ : لاحرج في ذلك. فدعاله وقال : سيفيق من مرضه ، إن شاء الله ؛ فكان الأمر كما أخبر به الشيخ ، وأفاق النواب من مرضه إفاقة طارت الأصوات بخبر صحته وشفاءه إلى الأماكن البعيدة ، . . . وفجاءة اشتد به المرض وانتقل إلى عالم الآخرة».[1]

وهذا غيض من فيض وقليل من كثير ، ومن أراد المزيد فعليه أن يرجع إلى مؤلفات أكابر هذه الطائفة ، يجد فيها الكثير والكثير من مثل هذه القصص والحكايات.

---

(١) انظر "تذكرة الرشيد" ٢٥٩/٢ . - وانظر أيضاً قصة أخرى قريبة من القصة المذكورة أعلاه ، في "تذكرة الرشيد " ٢٠٩/٢ ؛ كما أن هناك قصة أخرى تدل على أن الشيخ الكنكوهي - رحمه الله - كان على علم سابق بموعد وفاته قبل ستة أيام ، انظر تفصيلها في الكتاب المذكور في ٣٣١/٢ .

العلم بما في الصدور[1]

إن العلم بما في الصدور من الأمور الغيبية التي استأثر اللّه تعالى بعلمها ، وقد دلت على ذلك نصوص من الكتاب والسنة ، منها قوله تعالى : ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾.[2] وقوله تعالى : ﴿**واللّه يعلم ماتسرون وما تعلنون**﴾.[3] وقوله تعالى : ﴿**ربكم أعلم بما في نفوسكم**﴾.[4]

وفي الحديث : « **إن اللّه تعالى يقول لعبده يوم القيامة سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم** ».[5]

وبعد هذه النصوص الصريحة نقرأ فيما يلي أقوالاً وقصصاً لعلماء ديوبند حتى نعرف معتقدهم في هذه المسألة.

☐ **ذكر مؤلف " تذكرة الرشيد "** قصة حصلت لـ"ولي محمد" مع شيخه الكنكوهي ، ثم قال "ولي محمد".

« أنا أخاف كثيراً من مقابلة الشيخ – أي الكنكوهي – فإنه يطلع على وساوس القلب ،ونحن

---

(١) لايخفى على القارئ بأن العلم بما في الصدور من الأمور الغيبية التي لا يعلمها أحد إلا اللّه ، ومن هنا فلا داعي لذكر أقوال علماء أهل السنة في هذه المسألة. وقد ذكرنا بعض نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب.

(٢) سورة الغافر ، الآية : ١٩ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ١٩ .

(٤) سورة الاسراء ، الآية : ٢٥ .

(٥) الحديث أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

لانملك دفعها».[1]

□ وقال الشيخ نذر محمد – وكان من أصحاب الشيخ الكنكوهي–:

«كنت شديد الغيرة وكنت لا أسمح لزوجتي أن تخرج من البيت أو أن يسمع صوتها أحد ليس بمحرم لها ، فلما خرجت لمبايعة الشيخ خطر ببالي أن الشيخ ليسمع صوتها ، فاطلع الشيخ عن طريق الكرامة على ماوسوست به نفسي ، وأمرني أن أجلسها في الغرفة وأغلق عليها الباب».[2]

□ وقال الشيخ أشرف علي التانوي :

« إن قلب الشاه عبد الرحيم الرايفوري كان نورانّياً جداً فكنت أخاف أن أجلس عنده خشية أن تنكشف عيوبي[3]».

---

(١) تذكرة الرشيد ٢/٢٢٧ .
(٢) تذكرة الرشيد ٢/٥٩ .
(٣) " أرواح ثلاثة " ص ٤٢٢ .
وقد علق الشيخ حمود التويجري على هذه القصة فقال :
« قلت : ما ذكره التانوي من الخوف من انكشاف عيوبه عند الرايفوري إذا جلس عنده جلس عنده ظاهر في دعواه أن الرايفوري كان يعلم ما يخفيه عنه من عييوبه ، وهذه دعوى باطلة مردودة بقول الله تعالى : ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾.
وإن كان الرايفوري قد أخبر التانوي أو غيره بشيء مما كانوا يخفونه عنه من أحوالهم وعيوبهم ؛ فلا شك أنه كان له قرين من الجن يخبره بما أطّلع عليه من أحوال الناس وعيوبهم ، فإذا أخبرهم الرايفوري بذلك؛ ظنوا أن ذلك من المكاشفة ، وهو في الحقيقة من الأحوال الشيطانية. =

□ **وقال الشيخ محمد قاسم النانوتوي** في الشيخ محمد يعقوب الديوبندي :

« إن الشيخ جدّ خبير بخفايا النفس وأسرارها الدقيقة»[1].

□ **وقال مؤلف " انكشاف "** :

« حسبك أن تطلع على ما قاله سلطان الأولياء محي الدين ابن عربي في الفتوحات المكية ، مما يسهل لك الحكم في مسألة إمكان الإطلاع على هواجس النفس وخطرات القلب عن طريق الكرامة ، فإنه قال فيه: الكرامة على نوعين ؛ حسية ومعنوية ، فالعامة لا تعرف إلا الحسية كالإطلاع على ما تخفي الصدور ، والإخبار عن المغيبات وإعلام الناس بالأخبار الحالية والمستقبلية».

□ ثم قال :

«فعلى القارئ المنصف أن يحكم دون أن يتعصب لرأي هل في ذلك ما يخالف الشرع ، ولكن قبل الإجابة بنفي أو إثبات لابد من أن تجعل نصوص شيخ الإسلام العلامة ابن عربي صاحب الفتوحات المكية أمامك ».[2]

= والقصص في إخبار الجن لأوليائهم من الإنس بما اطلعوا عليه من أحوال الناس وعيوبهم كثيرة جداً ومشهورة». [القول البليغ ص ١٤٨] .

(١) " أرواح ثلاثة " ص ١٤٠ .

(٢) " انكشاف " ص ١٦٢ نقلاً عن الكتاب «زيروزبر» للأرشد القادري.

وفي هذا المقام يجدر بنا أن نشير إلى نقطة مهمة ، وهي أن الكشف من معجزات الرسول ﷺ ، فرفع له بيت المقدس وهو في مكة ، كما أنه رأى ما كان يجري في "مؤتة" وهو بالمدينة ، ولكنه لم يكن ذلك بصفة دائمة مستمرة ، فلم يطلع - ﷺ - على عقد ضاع لعائشة رضي الله عنها في موقعة بني المصطلق ، كما هو معروف في كتب التاريخ والسير والتفسير والحديث.

وبعد معرفة هذه الحقيقة نقرأ ما قاله مؤلف "انكشاف" في علماء الصوفية والديوبندية :

« الكشف هو الإطلاع على الأسرار والأخبار الخفية ، وهو على نوعين : الأصغر والأكبر ، فالأصغر ، ويقال له الكشف الكوني أيضاً ، يطلع به السالك على أحوال الملائكة والأرواح والعرش والكرسي واللوح المحفوظ وما يحدث في السموات والأرض ، وينكشف له أحوال أهل القبور ، وأما الكشف الأكبر فهو مشاهدة الذات الإلهية ، فعلماء ديوبند الكبار هدفهم الأول هو الكشف الأكبر ، وأما الكشف الأصغر فيرونه مفيداً ومساعداً في السلوك». [1]

هذا ، ولمزيد من المعرفة في هذا الموضوع من القصص والأقوال يراجع الكتب والمؤلفات لعلماء هذه الطائفة ، ومن تلك المراجع الكتب المذكورة في الهوامش». [2]

---

(١) " انكشاف " ص ٣٦ نقلاً عن الكتاب «زيروزبر» للأرشد القادري.

(٢) وراجع أيضاً لبعض القصص والأقوال " تذكرة الرشيد " ٢/٢٢٠، و" أرواح ثلاثة " ص ٢٥٨ ، ٢٧٥ ، ٣٠٢ ، ٤١٨ ، و "انكشاف " ص ٢٤ ، ١٧٤ وغيرها.

العلم بموعد نزول الغيث[1]
(أو القدرة على حبس المطر)

□ ذكرت مجلة " **نقيب** " قصة من مذكرات السيدة "ثامنة خاتون" تقول :

« لما أردنا بناء المنزل بدأنا بالمرحاض نظراً لأمر الوالد الكريم بذلك ، وكانت الأيام أيام مطر ، إلا أنه ما كان ينزل المطر في تلك الأيام ، وكان الفلاحون في قلق شديد ، فقلت للوالد : ادع اللّه أن يسقى الناس ، فقال : كيف ينزل المطر ومرحاضنا لم يكتمل بناءه بعد؛ قلت : ومتى سيكتمل بناءه ؟ قال : قد اكتملت الجدران ولم يبق إلا السقف ، وسوف يتم الليلة.

تقول السيدة المذكورة :

وبعد يومين نزل مطر غزير ، فسألت الوالد وكان في البيت : ألا يضر المطر مرحاضنا ؟ قال : لا ، بل يشيده ، فقلت : هل كان المطر حبس من أجل مرحاضنا ؟ فلم يزد على أن تبسّم ولم يقل شيئاً ».[2]

---

(١) راجع في هذا الموضوع ما ذكرناه في موضوع " علم الغيب " و " العلم بما في الأرحام " من أقوال علماء أهل السنة وأدلتهم ، فإن مسألة " العلم بموعد نزول الغيث" أيضاً من الأمور الغيبية التي لايعلمها أحد إلا اللّه تعالى .

(٢) انظر : مجلة " نقيب " عدد خاص عن " مصلح الأمة " ص ٤ نقلاً من "زلزله" ص ١٥٤ .

يا للعجب ؛ هل بلغ من نفوذ هؤلاء في قضاء الله وقدره إلى هذا الحد ، فيحبس المطر عن عامة الناس لمصلحة شخصية تافهة ، والأرض تحترق والحقول تتجفف ، وصاحب المرحاض يقول لبنته في تدلل وعدم مبالاة : كيف يمكن أن ينزل المطر ومرحاضنا لم يكتمل بناءه بعد.

هذا ، وقد حكى الشيخ جميل الرحمن قصة عن مؤتمر لحزب الكانغرس الذي كان الشيخ حسين أحمد المدني موجوداً فيه ، يقول :

« قبل بدء المؤتمر بقليل تغيمت السماء فجأة ، وتحير المسئولون عن عقد المؤتمر ، إذ جاءني شخص مجذوب الهيئة غير معروف ، وذهب بي إلى مكان منعزل وقال : أخبر الشيخ حسين أحمد بأنني خادم هذه المنطقة ، فإن كان يريد أن يُحبس المطر فهذا يكون عن طريقي وتوسطي ، فتوجهت إلى المخيم الذي كان فيه حضرة الشيخ ، فلما سمع ذلك مني قال في لهجة عجيبة و وقورة ، وهو على سريره : قل له : إن المطر لا ينزل ، فخرجت من عنده لأبلغ هذا الجواب ذلك الرجل ، وبحثت عنه كثيراً فلم أجده ؛ وبعد قليل بدأ يزول الغمام ، وصحت السماء خلال دقائق معدودة ، وما نزل المطر حتى انتهينا من المؤتمر ».(١)

★ ★ ★



(١) راجع لتفصيل القصة : صحيفة " الجمعية " (دلهي) عدد خاص عن شيخ الإسلام حسين أحمد المدني ، ص ٣٢٠ .

العلم بما في الأرحام

إن مما يعتقده أهل السنة اعتقاداً جازماً هو الاعتقاد بأن الله تعالى قد استأثر بعلم ما في الأرحام ، وأنه لا يعلم ذلك أحد سواه ، وما ذلك إلا إيماناً بقوله تعالى : ﴿ **الله يعلم ماتحمل كل أنثى** ﴾.(١)

وبقوله سبحانه : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ما ذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾.(٢)

وقوله : ﴿ **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** ﴾.(٣)

ومع هذه النصوص الصريحة فإن الديوبندية تزعم أن هناك من يعلم ما في الأرحام ، غير الله سبحانه وتعالى ، كما أن هذه الطائفة تحكى عن أكابرها ومشايخها روايات وقصصاً تدل على أنهم كانوا يعرفون المولود قبل ولادته هل هو ذكر أم أنثى ، نكتفي على ذكر بعض منها :

□ **قال مؤلف " أرواح ثلاثة "** :

« كان من قبيلة راجبوت رجل يسمى عبد الله خان ، وكان من أخص أصحاب الشاه عبد الرحيم الولائتي ، وكان قد بلغ من أمره أنه كلما جاءه أحد

---

(١) سورة الرعد ، الآية : ٨ .
(٢) سورة لقمان ، الآية : ٣٤ .
(٣) سورة فصلت ، الآية : ٤٧ .

يطلب منه التعويذ وزوجته حامل ، كتب له التعويذ وأخبره بما تضعه زوجته من ذكر أو أنثى ،وفعلاً فكانت المرأة تضع حسبما أخبر به ».[1]

وذكر المؤلف أيضاً قصة أخرى فقال :

« ذكر الشيخ حبيب الرحمن أن "راؤ عبدالرحمن" خليفة الشاه عبد العزيز - كان من أصحاب الكشف ، وكان قد بلغ من كشفه أنه كلما جاءه من يطلب منه التعويذ للولد ، قال له دون أن يتردد: إذهب ، وأخبره بما ستضعه زوجته من ذكر أو أنثى ؛ فقيل له : كيف تخبر بهذا ؟ فقال : ما ذا أفعل ، يعرض عليّ المولود فأراه ولا أشك ».[2]

□ وقال الشيخ **نجم الدين الديوبندي** ، وقد اعترض على الديوبندية أحد البريلوية بقوله : إنكم تكفّروننا وتبدعوننا لمثل هذه المعتقدات مع أنكم تعتقدون في مشايخكم وكبار علماءكم مثل عقائدنا ؟ فأجابه نجم الدين الديوبندي قائلاً :

«إنه لم يقل أحد من علمائنا قط أن الحجب لا ترفع أمام الصلحاء والأولياء ».[3]

وقال أيضاً وهو يردّ على مثل الإعتراض السابق :

---

(١) " أرواح ثلاثة " ، ص ١٨٥ .

(٢) " أرواح ثلاثة " ، ص ٢٧١ .

(٣) انظر كتابه " زلزلة در زلزلة " ، ص ٩٢ .

«إنه كان القاضي عبد الغني - مرشد والد الشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادي - قد اطلع بإلهام من الله على أنه سيولد لوالد الشيخ سعيد الأكبر آبادي ولد ذكر، وذلك قبل ميلاده، فأية غرابة في ذلك».[1]

● رأي علماء أهل السنة في هذه المسالة ●

لا شك أن مسألة العلم بما في الأرحام من الأمور الغيبية التي لا يعلمها أحد إلا الله سبحانه وتعالى. ونكتفي في هذا الباب على تقديم فتوى اللجنة الدائمة إلى القاري، وفيما يلي نص السؤال والجواب :

السؤال : في عدد العربي ٢٠٥ ص ٤٥ التاريخ ديسمبر ١٩٧٥م في سؤال وجواب أثبت أن الرجل هو الذي يحدد نوع الجنين فما موقف الدين من هذا ؟ وهل يعلم الغيب أحد غير الله ؟.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . وبعد :

الجواب : أولاً : إن الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يصور الحمل في الأرحام كيف يشاء فيجعله ذكراً أو أنثى كاملاً أو ناقصاً، إلى غير ذلك من أحوال الجنين، وليس ذلك إلى أحد سوى الله سبحانه ؛ قال تعالى : ﴿**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف**

---

(١) " زلزلة در زلزلة "، ص ١١٠.

يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ ، وقال تعالى : ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير﴾ فأخبر سبحانه أنه وحده الذي له ملك السموات والأرض ، وأنه الذي يخلق ما يشاء فيصور الحمل في الارحام كيف يشاء من ذكورة أو أنوثة ، وعلى أي حال شاء من نقصان أو تمام ومن حسن وجمال أو قبح ودمامة إلى غير ذلك من أحوال الجنين ليس ذلك إلى غيره ولا إلى شريك معه ، ودعوى أن زوجاً أو دكتوراً أو فيلسوفاً يقوى على أن يحدد نوع الجنين دعوى كاذبة، وليس إلى الزوج ومن في حكمه أكثر من أي يتحرى بجماعه زمن الإخصاب رجاء الحمل ، وقد يتم له ما أراد بتقدير اللّه وقد يتخلف ما أراد ، إما لنقص في السبب أو لوجود مانع من صديد أو عقم أو ابتلاء من اللّه لعبده ، وذلك أن الأسباب لا تؤثر بنفسها وإنما توثر بتقدير اللّه أن يرتب عليها مسبباتها ، والتقليح أمر كوني ليس إلى المكلف منه أكثر من فعله بإذن اللّه ،وأما تصريفه وتكييفه وتسخيره وتدبيره بترتيب المسببات عليه فهو إلى اللّه وحده لا شريك له ، ومن تدبر أحوال الناس وأقوالهم وأعمالهم تبين منهم المبالغة في الدعاوى والكذب والافتراء في الأقوال والأفعال جهلاً منهم وغلواً في اعتبارالعلوم

الحديثة وتجاوزاً للحد في الاعتداد بالأسباب ، ومن قدر الأمور قدرها ميز بينما هو من اختصاص الله منها وما جعله الله إلى المخلوق بتقدير منه لذلك سبحانه».[1]

وجاء أيضاً في " فتاوى اللجنة الدائمة "السؤال والجواب التالي :

السؤال : يقول الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿**إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير**﴾ ، من ضمن الآية الكريمة أن الله يقول : ﴿**ويعلم ما في الأرحام**﴾ لقد صار بيني وبين أحد الأصدقاء نقاش كبير حول هذه الآية ، فلقد قال لي إن العلم الحديث والأطباء قد توصلوا لمعرفة ما في رحم المرأة هل هو ذكر أم أنثى بواسطة الأشعة ، وقلت له : الله سبحانه يقول : ﴿**ويعلم ما في الأرحام**﴾ ، هل معنى الآية أن العلم لم يكتشف ما في الأرحام أم أن الآية تفسيرها غير ذلك ؟

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . وبعد :

الجواب : ثبت في الأحاديث الصحيحة أن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ، وأنها المذكورة

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ، ٢/١١٤ ، ١١٥ .

في الآية المسؤول عنها ، من ذلك ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمهن إلا الله ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ » . وفي رواية له عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول ﷺ : «مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ : ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾ » رواه الإمام أحمد عنه وعن ابن مسعود بمعناه ، وروي من طرق أخرى تؤيد ما دلت عليه الآية ، ومعنى الآية أن الله تعالى استأثر بعلم الساعة فلا يجليها لوقتها إلا هو ، فلا يعلمها لميقاتها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وقد أعلمهم الله بأماراتها ولا يعلم متى ينزل الغيث ولا في أي مكان ينزل إلا الله ، وقد يعرف ذلك أهل الخبرة عند وجود الأمارات وانعقاد الأسباب علماً تقريبياً إجمالياً يشوبه شيء من التخمين وقد يتخلف ، واختص سبحانه أيضاً بعلم ما في الأرحام تفصيلاً من جهة تخلقه وعدم تخلقه ونموه وبقائه لتمام مدته وسقوطه قبلها حياً أو ميتاً وسلامته وما قد يطرأ عليه من آفات دون أن يكسب علمه بذلك من غيره أو يتوقف على أسباب أو تجارب بل يعلم ما سيكون عليه قبل أن يكون

وقبل أن تكون الأسباب ، فإن مقدر الأسباب وموجدها عليم لا يتخلف ولا يختلف عنه الواقع وهو الله سبحانه، وقد يطلع المخلوق على شيء من أحوال ما في الأرحام من ذكورة أو أنوثة أو سلامة أو إصابته بآفة أو قرب ولادة أو توقع سقوط الحمل قبل التمام ، لكن ذلك بتوفيق من الله إلى أسباب ذلك من كشف بأشعة لا من نفسه ولا بدون اسباب وذلك بعد ما يأمر الله الملك بتصوير الجنين ، ولا يكون شاملاً لكل أحوال ما في الرحم بل إجمالاً في بعضه مع احتمال الخطأ أحياناً، ولا تدري نفس ماذا تكسب غداً من شؤون دينها ودنياها ، فهذا أيضاً مما استأثر الله بعلمه تفصيلاً ، وقد يتوقع الناس كسباً أو خسارة على وجه الإجمال مما يبعث فيهم أملاً وإقداماً على السعي أو خوفاً وإحجاماً بناء على أمارات وظروف محيطة بهم فكل هذا لا يسمى علماً ، وكذا لاتدري نفس بأي أرض تموت في بر أو بحر في بلدها أو بلد آخر إنما يعلم تفصيل ذلك الله وحده فإن سبحانه له كمال العلم والإحاطة بجميع الشؤون علنها وغيبها ، ظاهرها وباطنها.

وجملة القول : إن علم الله من نفسه غير مكتسب من غيره ولا متوقف على أسباب وتجارب وأنه يعلم ما كان وما سيكون ، وأنه لا يشوب علمه غموض

ولا يتخلف وأنه عام شامل لجميع الكائنات تفصيلاً جليلها ودقيقها بخلاف غيره سبحانه والله المستعان ».[1]

★ ★ ★

(١) " فتاوى اللجنة الدائمة " ٢/١١٥ - ١١٧ .

علم الغيب
(علم النبي ﷺ)

□ سئل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

« هل تقولون ان علم النبي عليه السلام مقتصر على أحكام الشريعة فقط أم أعطى علوماً متعلقة بالذات والصفات والأفعال للباري عز اسمه والأسرار الخفية والحكم الإلهية وغير ذلك مما لم يصل إلى سرادقات علمه أحد من الخلائق كائناً من كان»؟.[1]

فأجاب عليه بقوله :

«نقول باللسان ونعتقد بالجنان أن سيدنا رسول الله ﷺ أعلم الخلق قاطبة بالعلوم المتعلقة بالذات والصفات والتشريعات من الأحكام العملية والحكم النظرية والحقائق الحقة والأسرار الخفية وغيرها من العلوم، مالم يصل إلى سرادقات ساحته أحد من الخلائق، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولقد أعطى علم الأولين والآخرين ، وكان فضل الله عليه عظيماً ».[2]

□ ويقول الشيخ حسين أحمد المدني في كتابه وهو يذم الوهابية ويطعن فيهم :

---

(١) هذا هو السؤال الثامن عشر من كتاب " المهند ".
(٢) انظر " المهند " ، ص ٥٠ .

« يعتقد الوهابية أن النبي ﷺ علمه مقتصر على أحكام الشريعة فقط ، وليس له أي نصيب من العلوم الباطنية والأسرار الحقيقية[1] ، وأما أكابرنا فيرون أنه ﷺ أعلم الخلق قاطبة بعلوم الأحكام والشرائع وبالعلوم المتعلقة بالذات والصفات والأفعال للباري عز اسمه ،وبالأسرار الكونية الحقة وغيرها من العلوم ، بحيث لم يصل إلى سرادقات ساحته أحد من الخلائق ، ولقد أعطى علوم الأولين والآخرين ، لايساويه في ذلك أحد، لابشر ولا ملك مقرب فضلاً عن أن يكون أفضل منه ...».[2]

---

(١) يقول الدكتور الهلالي رداً على هذه المقولة :
« ماذا تريد يا هذا بـ (العلوم الباطنية) و (الأسرار الحقيقية)؟! أتريد شطحات المتصوّفة وكفرهم وأكاذيبهم ؛ كقول الحلاج : «ما في الجبة إلا اللّه»؛ وقول الزنديق ابن عربي الحاتمي:

«الرب عبد والعبد رب   يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك حق   أو قلت رب أنى يكلف»!

وقول أبي يزيد البسطامي :«خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله»؛ وقول التيجانيين عن شيخهم في «جواهر معانيهم» : إنه قال : «إن القطب الفرد الغوث هو الخليفة عن اللّه في جميع مملكته ، فلا تتحرك ذرة في العالم إلا بإذنه»؛ فقد جعلوا هذا القطيب المكذوب لا تأخذه سنة ولا نوم ؛ لأن الذي يأخذه النوم والتعب والغفلة والمرض لا يستطيع أن يمسك قارورة ماء دون أن تسقط من يده وتتكسر ، واللّه تعالى لا يحتاج إلى خليفة ولا نائب؛ لأنه لا يمرض ولا يغيب ولايشغله شأن عن شأن ، والنبي ﷺ قد أغناه اللّه عن هذه الأباطيل ، ونزهه عن خيالات المتصوفة وضلالهم»
[السراج المنير ص ٣٢ - ٣٤ ، ملخصاً] .

(٢) " الشهاب الثاقب " ص ٦٧ .

□ وقال الشيخ شبير أحمد العثماني في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾. الآية ، ما معناه :

« . . . وكما جاء في الأحاديث أن الكفّار من الأمم السابقة حينما يكذبون رسلهم ويقولون بأنه ماجاءنا في الدنيا رسول يهدينا إلى الصراط المستقيم ، فحينئذ تقوم أمة محمد ﷺ وتشهد على صدق الأنبياء ، ويكون الرسـول ﷺ شهيداً على صدق أمته وعدالتهم ، الذي هو مطلع على أحوال أمته جميعاً . . . »[1].

ومما يدخل في هذا الموضوع هو موضوع علم الأنبياء والأولياء للغيب، وهو معروف لدى علماء أهل السنة وعامتهم ، فهم يعتقدون اعتقاداً جازماً بأنه لا يعلم الغيب أحد إلا الله سبحانه وتعالى ، وقد نطق به القرآن الكريم في مواضع عدة ، منها قوله تعالى : ﴿**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾.[2] وقال تعالى : ﴿**فقل إنما الغيب لله**﴾.[3] وقال تعالى : ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب** ﴾.[4]

---

(١) انظر تفسيره لسورة البقرة ، الآية : ١٤٣ ، ص ٢٧ ، هامش (٣) ولمزيد من الإطلاع في الموضوع انظر أيضاً : تفسيره لسورة النساء ، الآية : ٤١ ، ص ١١٠ ، هامش (١) و سورة النحل ، الآية : ٨٩ ، ص ٣٦٦ ، هامش (٨،٧) وسورة السجدة ، الآية : ٣٤ ، ص ٥٥٢ ، هامش (١) .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٦٥ .

(٣) سورة يونس ، الآية : ٢٠ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٥٠ .

وقال تعالى : ﴿ **قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء** ﴾.[1] - وما إلى ذلك من الآيات القرآنية الدالة دلالة صارخة على أن علم الغيب من اختصاص الله سبحانه وتعالى ، وأنه لا يعلم الغيب أحد سواه ، كائناً من كان ، ولكن علماء ديوبند يدّعون في أكابرهم ومشايخهم علمهم بالمغيبات ، ويذكرون عنهم قصصاً نذكر بعضاً منها في السطور القادمة ، إن شاء الله تعالى.

□ **يقول الشيخ إمداد الله المهاجر المكي :**

« وقد زعم بعض الناس أن الأنبياء والأولياء لا يعلمون الغيب ، وأما أنا فأقول إنه بإمكان أهل الحق أن يبصروا المغيبات ويدركوها إذا ما التفتوا إليها ».[2]

□ وجاء في حاشية " **فيض الباري** " للشيخ أنور شاه الكشميري بصدد شرح حديث « **إلّا أخبرتكم في مقامي هذا** » ما نصه :

« قلت ولو كان النبي ﷺ عالماً للغيب مطلقاً ظاهراً عليه بمفاتيحه كما فهمه بعض الجهلاء ، لما كان لهذا التقييد معنى ، بل هو من نحو تجلي عليه إذ ذاك على نحو ما يطرأ على الأولياء من بعض تلك الأحوال ، فتارة يخبرون عن العرش وأخرى يغفلون عن الفرش ، وأحوال الأنبياء أرفع . . .».[3]

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٨ .

(٢) انظر " شمائم إمدادية " ص ٦١ .

(٣) " فيض الباري " ٢/١١٠ .

وجاء أيضاً في حاشية " فيض الباري " ما نصه:

« . . . أن الأولياء يرون في كشوفهم أشياء بعين الباصرة لا نراها ، كذلك الأنبياء عليهم السلام يرون المغيبات بعين الباصرة في اليقظة . . . »[1]

□ **ويقول الشيخ نجم الدين الديوبندي في كتابه :**

« إن علماء ديوبند لا يقولون أبداً أنه لا يطلع أحدٌ غير اللّه على شئ من الغيب ، كما أنهم لا يقولون إن الإنسان لا يستطيع التصرف البتة ، في حياته أو بعد مماته »[2].

وقال أيضاً :

« بل إنهم ذهبوا إلى أن من المغيبات ما يعلمها عامة الناس ، بله الأصفياء من الأولياء والأنبياء المقربين».()

وقال :

« ثم وجد في كل زمان وفي كل عصر مَن منَّ اللّه عليه واطلعه على كثير من الغيب »[4].

---

(١) انظر " فيض الباري " ١/١٧ .
(٢) " زلزلة در زلزلة " ص ١٠١ .
(٣) " زلزلة در زلزلة " ص ٩٨ .
(٤) " زلزلة در زلزلة " ص ١١٤ .

□ وقال صاحب " انكشاف " :

« أما اطلاع أولياء الله وخاصته على بعض المغيبات فليس من علم الغيب في شئ ، ومن حمله على العلم بالغيب فهو جاهل لايعقل ».[1]

□ وقال الشيخ محمد يسين الديوبندي :

« لا يخبر الشيخ إلا بما شاهده وعاينه ».[2]

□ وقال الشيخ أنوار الحسن الهاشمي ـــ أحد دعاة دار العلوم بديوبند:

« إن أولياء الله الكاملين الذين قضوا معظم حياتهم في تزكية النفوس وترويضها تحصل لهم ملكة راسخة تكشف عليهم في المنام واليقظة أموراً خفيت على عامة الناس ».[3]

□ وقال الشيخ المفتي عزيز الرحمن الديوبندي :

« قد حدث عدة مرات أن الليلة التي قرأ فيها الشيخ حسين أحمد المدني سورة القدر في صلاة الوتر من شهر رمضان ، كانت هي ليلة القدر ، كما جربنا عليه مراراً أنه كان يستعد للعيد منذ الصباح قبل ليلة الهلال ، ويختم القرآن قبلها بيوم ، حتى ولو كان الشهر

(١) انظر كتابه " انكشاف " ص ٩٢ .
(٢) تذكرة الرشيد ، ١٢٢/٣ .
(٣) انظر " مبشرات ديوبند " ص ١٢ .

ناقصاً (تسعاً وعشرين يوماً) وبناءً على عادته فقد كان يعرف كل من في " الخانقاه " بأن الليلة ليلة العيد ».[1]

□ **وقال مؤلف " أرواح ثلاثة "** :

« إن الشاه عبد القادر كان يعرف تمام شهر رمضان ونقصانه عند مستهله ، فإذا عرف تمامه وأنه لا يرى هلال العيد إلا بعد ثلاثين قرأ في صلاة التراويح في الليلة الأولى جزءاً واحداً ، وإذا كان الشهر ناقصاً قرأ جزءين ، وبما أن هذا الأمر كان قد أصبح مجرّباً فكان الشاه عبد العزيز يبعث شخصاً يستعلم عن القدر الذي قرأه الشاه عبد القادر. فإن أخبره بأنه قرأ جزءين قال الشاه عبدالعزيز لأصحابه : ما يكون الشهر إلا ناقصاً ».

هذا ، وقد علق عليه شيخ الديوبندية الشيخ محمود حسن فقال :

« وقد اشتهر هذا الأمر في دلهي بحيث أصبح التجار وأصحاب السوق يعتمدون عليه في مواعيدهم».[2]

□ كما ذكر المؤلف قصة أخرى فقال :

« كان الطبيب " خادم علي " جالساً في مسجده في رمضان ، وجاء وقت الإفطار فأفطر ، إذ دخل عليه نفر من الروافض وقالوا : قسماً بالحسين ، أفطرت ولم

---

(١) " أنفاس قدسية " ص ١٨٥ .

(٢) انظر " أرواح ثلاثة " ص ٥٨ .

تغرب الشمس ؛ قال خادم علي : كذبتم ، ما أفطرت إلا بعد غروبها ؛ فألحوا على اعتراضهم ، فقال خادم علي: إن قلوبنا عامرة بالإيمان والدين ، فهي لا تخطئ في الشهادة ، وإن كنتم في شك مما أقول فاحبسوني في غرفة وأغلقوا عليّ الأبواب ، وراقبوا الشمس ،ولسوف أخبركم عند غروبها ، وسوف تصدّقوني ، وقد استغربت الروافض هذه الدعوى ، وعزموا على تجربتها ، ففي اليوم التالي أحبسوه في غرفة ، وصعدوا فوق السطح ينتظرون غروب الشمس ، فلما غربت ناداهم "خادم علي" من الغرفة بأن الشمس قد غربت ، فعرفوا صدق دعواه ».[1]

● موقف علماء أهل السنة من هذا المعتقد ●

وبعد هذه الأقوال والحكايات التي توضح معتقدات علماء ديوبند في مسألة علم الغيب ، والتي لا تحتاج إلى أي بيان أو تعليق عليها ، نقدم فيما يلي بعض ما يتعلق بهذا الموضوع من فتاوى كبار علماء أهل السنة ، يقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين إجابة على سؤال وجّه إليه ، وإليك نص السؤال والجواب :

سئل فضيلة الشيخ : عن حكم من يدّعي علم الغيب ؟

« فأجاب بقوله : الحكم فيمن يدعي علم الغيب أنه كافر؛ لأنه مكذّب لله عزّ وجلّ - قال الله -

---

(١) انظر "أرواح ثلاثة" ص ١٧٩ .

تعالى -: ﴿**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا اللّه وما يشعرون أيان يبعثون**﴾ ، وإذا كان اللّه - عز وجل - يأمر نبيه محمداً ، ﷺ ، أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا اللّه ، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب اللّه - عزوجل - في هذا الخبر . ونقول لهؤلاء كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبي ، ﷺ لا يعلم الغيب ؟؛ هل أنتم أشرف أم الرسول ، ﷺ ؟! فإن قالوا نحن أشرف من الرسول . كفروا بهذا القول ، وإن قالوا هو أشرف فنقول لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه ؟! وقد قال اللّه - عزوجل - عن نفسه : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً**﴾. وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب ، وقد أمر اللّه - تعالى - نبيه ، ﷺ، أن يعلن للملأ بقوله : ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن اللّه ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليّ** ﴾.[1]

هذا ، وسئل فضيلة الشيخ عبد اللّه بن عبدالرحمن الجبرين - حفظه اللّه - عن حكم من ادعى الغيب ، وما هي أنواع الغيب ، التي يتشوق الإنسان إلى معرفتها ؟ فأجاب :

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ١/٦٧ .

« من ادعى علم الغيب فهو كاهن أو ساحر أو طاغوت ، فإن الغيب لا يعلمه إلا الله ، لقوله تعالى : ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ والمراد بالغيب علم ما يكون في الأزمنة القادمة وعلم الآجال والأعمار، ونحو ذلك ».[1]

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة الأسئلة والأجوبة التالية :

السؤال : هل النبي ﷺ حاضر وناظر «أي يعلم الغيب فالحاضر عنده والغائب سواء »؟

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . وبعد :

الجواب : الأصل في الأمور الغيبية اختصاص الله بعلمها ، قال الله تعالى : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ،ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾. آية ٥٩ من سورة الأنعام ، وقال تعالى : ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون** ﴾ آية ٦٥ من سورة النمل ، لكن الله تعالى يطلع من ارتضى من رسله على شيء من الغيب قال الله

---

(١) الفتاوى الإسلامية ١٠٤/١ .

تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي ، وما أنا إلا نذير مبين** ﴾ آية ٩ من سورة الأحقاف ، وثبت في حديث طويل من طريق أم العلاء أنها قالت : « لما توفي عثمان بن مظعون أدرجناه في أثوابه فدخل علينا رسول الله ﷺ ، فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله عزوجل ، فقال رسول الله ﷺ : « **وما يدريك أن الله أكرمه** » فقلت لا أدري بأبي أنت وأمي ، فقال رسول الله ﷺ « **أما فهو فقد جاءه اليقين من ربه ، وإني لأرجو له الخير ، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي** » وقلت : والله لا أزكي بعده أحداً أبداً » رواه أحمد وأخرجه البخاري في كتاب الجنائز من صحيحه، وفي رواية له « **ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به** » وقد ثبت في أحاديث كثيرة أن النبي ﷺ قد أعلمه الله بعواقب بعض أصحابه فبشرهم بالجنة ، وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند البخاري ومسلم أن جبريل سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن الساعة فقال: « **ما المسؤول عنها بأعلم من السائل** » ثم لم يزد

على أن أخبره بأماراتها فدل على أنه علم من الغيب ما أعلمه الله به دونما سواه من المغيبات وأخبر به عند الحاجة ».[1]

ومما جاء في فتاوى اللجنة :

« **السؤال** : أقسام الغيب ، وهل كان النبي ﷺ يعلم الغيب ،وهل كان علمه له كلياً أو جزئياً .

الجواب : من الغيب ما استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً كتحديد الوقت الذي يقوم فيه الخلق لله رب العالمين للحساب ، فإنه لايعلم متى تقوم الساعة إلا الله ، قال تعالى : ﴿**يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ سورة الأعراف ، وقال تعالى : ﴿ **يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً** ﴾ سورة الأحزاب ، وقال تعالى : ﴿**يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها ، إلى ربك منتهاها ، إنما أنت منذر من يخشاها**﴾ النازعات ، وروى البخاري ومسلم في

---

(١) " فتاوى اللجنة الدائمة " ١١٢/٢ ، ١١٣ .

صحيحيهما الحديث الطويل المشهور أن جبريل سأل رسول اللّه ﷺ « متى الساعة »؟ قال : « **ماالمسؤول عنها بأعلم من السائل** » ثم أخبره بأماراته .

ومن الغيب ما أعلمه اللّه بعض عباده كالأمور المستقبلة التي أخبر بها النبي ﷺ فكانت معجزة له وآية من آيات اللّه خص اللّه بها رسوله وهي داخلة في قوله تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول** ﴾ سورة الجن ، وفي قوله : ﴿**وما كان اللّه ليطلعكم على الغيب ولكن اللّه يجتبي من رسله من يشاء** ﴾ سورة آل عمران ، وبهذا يتبين أن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب علماً كلياً وإنما كان يعلمه علماً جزئياً في حدود ما أطلعه اللّه عليه ، شأنه في ذلك شأن إخوانه النبيين ، والمقصود الإيضاح بالمثال لا للاستقصاء ».[1]

وجاء في الفتاوى أيضاً :

« **السؤال** : إذا قلنا لإخواننا هنا إن علم الغيب خاص باللّه تعالى فلا يعلم الغيب رسول ولا ملك قالوا لنا إن الرسول ﷺ يعلم الغيب وهذا القرآن الذي جاء به هو غيب و . . . و . . . و . . . . ويستدلون أيضاً بقوله تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا**

(١) " فتاوى اللجنة الدائمة " ١١٣/٢ .

من ارتضى من رسول . . . ﴾ والرسول ممن ارتضاه الله يعلم الغيب . فما رد فضيلتكم في هذا وهل يجوز القول بأن الرسول يعلم الغيب استناداً إلى هذه الآية. الرجاء من معاليكم الرد على هذا السؤال.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . وبعد :

الجواب : علم الغيب خاص بالله تعالى لقوله تعالى : ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ وقوله : ﴿ **قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء** ﴾ لكنه سبحانه يطلع من يشاء من عباده كالملائكة والأنبياء والمرسلين على ما شاء من غيبه لقوله تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً** ﴾ ومن ذلك ما أنزله الله على رسوله محمد ﷺ من الوحي ومنه القرآن ، وكذلك شأن الله مع أنبيائه ورسله السابقين غير أن علمهم ذلك ليس لهم من أنفسهم بل بإعلام الله إياهم ثم إن هذه النصوص لا تدل على أن الله تعالى علمهم كل غيب وإنما تدل على أنه علمهم ما شاء منه».[1]

---

(١) " فتاوى اللجنة الدائمة " ١١٧/٢ .

وجاء أيضاً :

« **السؤال** : ماحكم زيارة المرابطين الذين يزعمون علم الغيب ما حكم الشرع فيهم ومن سكت عنهم ومن زارهم ؟.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه . . وبعد :

الجواب : علم الغيب من اختصاص الله جل وعلا ، ومن ادعى علم الغيب من الناس فقد ادعى لنفسه ما هو من اختصاص الله جل وعلا وجعل نفسه شريكاً له في ذلك وقد يظهر الله ما شاء من الغيب لمن ارتضاه من رسله ، قال تعالى : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ وقال تعالى ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ وقال تعالى : ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً**﴾ فقد دلت هذه الآيات على أنه جل وعلا منفرد بالغيب دون خلقه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على ثبوتهم ، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب الحصى وينظر في الكتب ويزجر الطير ويدعي علم الغيب ممن ارتضاه من الرسل فيطلعه على ما

يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه .

وبهذا يعلم أن زيارتهم محرمة وأنهم كفار ولا يجوز السكوت عنهم ولا عمن زارهم بل الواجب بيان الحق للكل أداء للأمانة وبراءة للذمة ونصحاً للأمة».[1]

وجاء أيضاً في الفتاوى إجابة على سؤال ما يلي :

« إن الله سبحانه حكم بأن علم الأمور الغيبية خاص به فقال : ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ ولم يستثن من ذلك إلا من ارتضى من رسله فيظهره على ما شاء من الغيب قال تعالى : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً** ﴾.

فمن ادعى من أمم الأنبياء والمرسلين أنه يعلم الغيب فهو كاذب ، ومن زعم أن أحداً من الأولياء والصالحين أتباع الرسل عقيدة وعملاً يعلم الغيب فهو مخطىء كاذب لمخالفته ما نزل من آيات القرآن وما ثبت عن النبي ﷺ من الأحاديث الدالة على اختصاص الله تعالى بعلم المغيبات ».[2]

---

(١) " فتاوى اللجنة الدائمة " ١١٨/٢ ، ١١٩.

(٢) " فتاوى اللجنة الدائمة " ١٢٠/٢ ، ١٢١ .

"أشرف علي" رسول الله (١)

ذكر أحد مريدي الشيخ أشرف علي التانوي قصة حصلت له حيث كتب إلى شيخه التانوي :

« إني رأيت نفسي في المنام أني كلما أحاول أن أنطق كلمة الشهادة على وجهها الصحيح يجري على لساني بعد لا إله إلا الله : أشرف علي رسول الله »

وقد أجاب الشيخ التانوي على ذلك فقال :

« إنك تحبني إلى غاية الدرجة ، وهذا ثمرة هذا الحب ونتيجته ».(٢)

وقد حكى هذا المريد في خطاب له وجّهه إلى مرشده التانوي هذه القصة ، فقال بعد ذكر الرؤيا :

« فاستيقظت من الرؤيا ، فلما خطر ببالي خطأ كلمة الشهادة أردت أن أطرح هذا من قلبي ، فجلست ثم اضطجعت على الشق الآخر وبدأت أقول : الصلاة والسلام على رسول ﷺ ، لأتدارك هذا الخطأ ، ولكني أقول : اللّهم صلِّ على سيدنا ونبينا ومولانا أشرف علي

---

(١) لا يخفى على القارئ مدى خطورة هذه الكلمة ، ولم نعقد عنواناً مستقلاً لذكر موقف علماء السنة في هذه المسألة ، وإنما اكتفينا على ذكر بعض الأقوال في الهامش .

(٢) انظر رسالة " برهان " (دلهي) ص ٧ ، عدد : فبرائر ١٩٥٢م .

والحال أنني مستيقظ ولست في رؤيا ، لكني مع هذا أنا مضطر ومجبور ولا أقدر على لساني ».[1]

فأجاب الشيخ التانوي على ذلك بقوله:

« في هذا تسلية لك بأن الشخص الذي ترجع إليه هو بعون الله تعالى متبع للسنة ».[2]

□ وذكر مؤلف تذكرة الرشيد :

« إنه سمع من الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي عدة مرات يقول : « اسمعوا ؛ الحق هو الذي يقوله رشيد أحمد وأقسم بالله أني لست بشيء إلا أن الهداية والنجاة موقوفة على اتباعي في هذا الزمن ».[3]

---

(١) ملخصاً من رسالة " الإمداد " (تهانه بهون) ص ٣٥ ، عدد : شوال ١٣٣٥.

(٢) انظر رسالة "الإمداد" العدد المذكور ص ٣٥ .
يقول علامة المغرب الدكتور تقي الدين الهلالي رحمه الله في كتابه "السراج المنير"، ص ٦٥ :
« هذا كفر من المريد الذي ينبغي أن يسمى مريداً - بفتح الميم - ، وشيخه شر منه ؛ لأنه أقرّه على الكفر ، وكان الواجب على الشيخ - لو كان مهتدياً سالكاً محجة الصواب- أن يقول لمريده - بل مريده-: تب إلى الله من هذا الكفر ؛ فقد أضلك الشيطان ؛ فإن رسول الله لهذه الأمة المحمدية واحد ، وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلوات الله وسلامه عليه ، وأعوذ بالله أن أرضى بما جرى على لسانك من نزغات الشيطان ».

(٣) "تذكرة الرشيد" ١٧/٢ - وقد رد على هذا الكلام الشيخ حمود التويجري فقال: « قلت : قد تحجر الكنكوهي واسعاً من الهداية والنجاة لمن أراد الله هدايته ونجاته من سائر أصناف الناس فجعل ذلك موقوفاً على اتباعه=

□ وذكر الأستاذ محمد أسلم نقلاً عن بعض مؤلفات التبليغيين :

« أنه لما توفي الحاج إمداد الله ، كان الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي – وهو من تلاميذ الحاج إمداد الله – يذكره دائماً ويقول : آه رحمة للعالمين ، آه رحمة للعالمين ».[1]

□ وقال الشيخ مناظر أحسن الكيلاني :

« إن الشيخ محمد قاسم النانوتوي شكا إلى مرشده حاجي إمداد الله ، فقال : كلما وضعت السبحة في يدي ؛ ابتليت بمصيبة ، وبلغ الثقل بحيث كأنه وضع عليَّ أحد صخرات ، كأن وزن كل سخرة مئات

=دون غيرهم ، وهذا من أبطل الباطل وأقبح الكذب ، وهو يتضمن الكذب على الله تعالى ، والقول عليه بغير علم ، وذلك من أعظم المحرمات وأشدها تحريماً ». [انظر التفصيل في " القول البليغ " ص ١١٣ – ١١٥] .

(١) هذا ، وقد رد عليه الشيخ حمود التويجري في كتابه فقال :
« قلت : قد أخطأ الكنكوهي خطأً كبيراً فيوصف شيخه إمداد الله بالصفة التي وصف الله بها رسوله محمداً ﷺ وخصه بها دون غيره، فقال تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ؛ فهذه الصفة لا تصلح إلا للنبي ﷺ ، ولا تصلح لغيره ، إذ ليس أحد يدانيه في هذه الصفة ، فضلاً عن أن يكون مساوياً له فيها ؛ كما يفهم ذلك من كلام الكنكوهي الذي بلغ به الجهل والغلو في شيخه إمداد الله إلى أن وصفه بصفة النبي ﷺ ، وجعله مساوياً له في عموم الرحمة للعالمين».
[القول البليغ ص ١١٢] .

منٍّ ، ووقف اللسان والقلب؟ فقال الحاج إمداد اللّه : إنَّ هذا فيضان النبوة على قلبك ،وهذا هو الثقل الذي كان يحسه النبي ﷺ وقت الوحي ، فيستخدمك اللّه لعمل كان يفعله الأنبياء ».[1]

□ وذكر **الأستاذ محمد أسلم** عن الخواجة معين الدين الجشتي :

« أن رجلاً جاءه للمبايعة ، وقبّل رجليه ، فأجلسه الشيخ ، فقال : إني جئت لأكون مريدكم . فقال الخواجة معين الدين الجشتي : هل تفعل ما آمرك ؟ فإن تقبل هذا الشرط ؛ أجعلك مريدي . قال الرجل : أنا أعمل بكل ما تقول. فقال الخواجه : قد تعودت على قراءة كلمة الإسلام (لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه) ؛ فاقرأ مرة هكذا : (لا إله إلا اللّه ، جشتي رسول اللّه) ولأجل أنه كان راسخاً في عقيدته ؛ قرأ كما أمره الشيخ، فبايعه الخواجة ، وأعطاه الخلعة ،وأنعم عليه ، ثم قال: إنما اختبرتك لأعرف مدى حبّي وتقديري في قلبك ، ما كنت قاصداً منك قراءة كلمة الإسلام بهذا الطريق ، فيظهر من هذا صدق اعتقادك بي ، وصرت الآن مريداً لي صادقاً ، هكذا ينبغي للمريد أن يكون

---

(١) انظر "سوانح قاسمي" ٢٥٨/١ ، ٢٥٩ - وقد علق على هذه القصة الدكتور تقي الدين الهلالي بقوله : هذا الكلام خبيث ، بلغ في الضلال والكذب والاستخفاف بالأنبياء إلى حد لا يحتاج إلى تعليق. [السراج المنير ص ٢٠] .

صادقاً في جناب شيخه».[1]

□ وذكر الشيخ محمد الثاني الحسني في كتابه " سيرة محمد يوسف " (ص ١٩٦) ما يلي :

« إن الشيخ زكريا حرر شهادة الإجازة والخلافة التي أعطاها الشيخ إلياس لولده الشيخ محمد يوسف ، فقال فيه : أنا أجيز هؤلاء للبيعة ، فأضاف فيها الشيخ محمد إلياس وأملى : وأنا أجيزها نيابة عن الرسول ﷺ».[2]

---

(١) انظر : " فوائد فريدية " ص ٨٣ .
ويقول الشيخ التويجري بعد نقله لهذه القصة :
« قلت : ما ذكر في هذه القصة عن معين الدين الجشتي أنه قال : إنه رسول الله ؛ فهو صريح في الردة عن الإسلام ، وكذلك موافقة المريد له على القول بأنه رسول الله صريح في ردة المريد ، ولا ينفع الجشتي زعمه أنه فعل ذلك على سبيل الاختبار للمريد على مدى حبه وتقديره في قلبه !
وقد قال الدكتور محمد تقي الدين الهلالي في الرد على الجشتي ومريده : وقبح الله طريقة يتوقف الدخول فيها على الكفر بالله ، وقبح الله شيخاً يأمر بذلك ، ألم يجد ما يمتحن به إخلاصه إلا هذا ؟! كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ، ولما سمع ذلك الكفر رضي عنه وقال : هكذا ينبغي للمريد أن يكون مع شيخه ؛ يعني : إذا أمره بالكفر كفره » انتهى كلام الهلالي ، [القول البليغ ص ١١٠ ، ١١١].

(٢) يقول الشيخ التويجري في كتابه بعد ذكر هذه القصة :
" قلت : إن دعوى النيابة عن النبي ﷺ في إجازة البيعة والخلافة التي يستعملها الصوفية وأتباعهم من التبليغيين خطيرة جداً .
وقد ثبت عن النبي ﷺ : أنه قال : « إن مما أدرك الناس من كلام=

ولم يقف الديوبندية عند هذا الحد ، بل ذهبوا إلى أن الأمة يتفوقون على الأنبياء في العمل ، كما قال الشيخ محمد قاسم النانوتوي - مؤسس دار العلوم بديوبند - في كتابه "تحذير الناس" (ص ٥):

« إن الأنبياء يمتازون بين أمتهم بعلمهم ، وأما الأعمال ففي بعض الأحيان يساويهم أتباعهم في الظاهر بل يتفوقون عليهم في العمل».(١)

كما ذكر أيضاً عن الشيخ محمد إلياس - موسس جماعة التبليغ - أنه كتب في خطاب أرسله إلى أعضاء جماعته :

« إذا لم يرد الله أن يقوم أحد بعمل فلا يمكن

=النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

وهذا الحديث الصحيح مطابق لحال الذي ادعى النيابة عن النبي ﷺ في أثناء القرن الرابع عشر من الهجرة ، وليس له مستند فيما ادعاه سوى الكذب على رسول الله ﷺ ، وقد ادعى النيابة عن النبي ﷺ في إجازة البيعة التي هي من بدع الصوفية وأتباعهم من التبليغيين وشرعهم من الدين ما لم يأذن به الله ، ولم يبال بما يترتب على هذه الدعوى المكذوبة من المخالفة للأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في التحذير من المحدثات ، والأمر بردها ، والحث على التمسك بالسنة ». [انظر التفصيل في "القول البليغ" ص ١٢٤ ، ١٢٧] .

(١) قال الدكتور محمد تقي الدين الهلالي :

« أما زعمه أن أتباع الأنبياء يساوون الأنبياء في العمل ، بل يفوقونهم؛ فهو من الطوام الكبرى والضلالات العظمى ».

إلى أن قال : «من زعم أنه زاد على عمل النبي ﷺ ؛ فهو ضالٌ فاسد الاعتقاد ؛ لأن ما زاده يبعده من الله ، وهو في الحقيقة نقصان وخذلان ؛ فإن أقوال النبي ﷺ وأفعاله وكل حركاته عبادة لا تساويها عبادة ؛ فكلام هذا القائل ضلال وهوس أصيب به». [السراج المنير ص ١٩ ، ٢٠] .

حتى للأنبياء أن يبذلوا جهودهم فيقوموا بشيء ، وإذا أراد الله شيئاً ، يقوم أمثالكم الضعفاء بالعمل الذي لم يستطع الأنبياء ».[1]

★ ★ ★

---

(١) انظر " مكاتيب إلياس " ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، وقد ردّ على هذا الدكتور الهلالي فقال :

« هذا من تفضيل أصحابه على الأنبياء ، وقد أجمع المسلمون من الصحابة فمن بعدهم على أن الأنبياء أفضل من غيرهم من المؤمنين ، ولا يستطيع أحدٌ أن يساويهم ؛ فكيف يكون أفضل منهم ؟! وهذه جرأة عظيمة على الأنبياء ، وللمتصوفة طوام كثيرة مثل هذا ، وقد تقدم أنه روي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال في "شطحاته" : "خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله" » . [السراج المنير ص ٥٢] .

أول ما خلق الله نوري
و
لولاك لما خلقت الأفلاك

إن مسألة خلق الرسول ﷺ هل هو بشر أم خلق من نور الله ، من أكبر المسائل اختلافاً في شبه القارة الهندية بين أهل الحديث وبين القبوريين، وقد صرح الله تعالى في كتابه بأن محمداً ﷺ بشر من البشر ، فقال : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد ﴾.[1]

وفي الحديث « **إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني** ».[2]

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، لا داعي لذكرها ، فإن المسألة في غاية الوضوح لكل من له قلب وعقل سليم ، ولكن مشايخ الديوبندية يضاهئون قول البريلوية القبورية ، ويقولون إن رسول الله ﷺ خلق من نور الله سبحانه وتعالى وأنه أول الخلق ، مستدلين على ذلك بروايات موضوعة ، فقد أورد الشيخ أشرف علي التانوي في كتابه حديثاً موضوعاً عن جابر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ﷺ بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال : يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ، وليس في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١١٠ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب : " التوجه نحو القبلة حيث كان " ومسلم في كتاب المساجد باب : السهو في الصلاة والسجود له.

ولا نار ولاملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول السموات ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ».[1]

□ **ثم قال الشيخ التانوي** بعد ذكره لهذا الحديث الموضوع :

« ثبت بهذا الحديث أن النور المحمدي هو أول الخلق مطلقاً ، وتحققت له الأولية الحقيقية ».[2]

ثم ذكر الشيخ التانوي رواية أخرى ،ولعلها أوهى من الأولى ، ونصها :

« قال رسول الله ﷺ : « لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه إلى السماء فقال : أسألك بحق محمد إلا غفرت لي ، فأوحى الله إليه ومن محمد ، فقال : تبارك اسمك ، لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك ، فأوحى الله إليه يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك ، ولولا هو ما خلقتك ».[3]

---

(١) و(٢) انظر " نشر الطيب " للشيخ أشرف علي التانوي ، ص ٥ ، ٦ .
(٣) انظر " نشر الطيب " للتانوي ، ص ٩ .

□ **وقال الشيخ حسين أحمد المدني في كتابه :**

« إن الوهابية يسيئون الأدب بحضرة النبي ﷺ ويقولون ليس له علينا إلا فضيلة قليلة وليس له علينا حق ولا إحسان ولا يفيدنا شيئاً بعد موته ،وتقول أكابر الوهابية : إن عصاي هذا أنفع لنا منه ﷺ أذود بها الكلاب ، والنبي ﷺ لا ينفع شيئاً ».(١)

ثم ذكر المدني حب علماء ديوبند لرسول الله ﷺ واحترامهم له واعتراف فضله وإحسانه عليه الصلاة والسلام ، ثم قال :

---

(١) يقول الشيخ حمود التويجري في كتابه :

« قلت : قد سلك حسين أحمد مع أهل التوحيد من أهل نجد مسلك الرافضة مع الصحابة ؛ فقد ذكر عنهم من إساءة الأدب في حق النبي ﷺ ما لم يكن منهم أبداً ، وذكر عنهم من الأقوال السيئة في حق النبي ﷺ ما لم يقولوه أبداً ، بل هم في غاية البراءة منه . وهم بحمد الله على العكس مما رماهم به حسين أحمد ؛ فهم يحبون رسول الله ﷺ غاية المحبة ، ويعظمونه غاية التعظيم الذي يليق به ، وهو التعظيم الذي ليس فيه شرك ولا شيء من الغلو والإطراء الذي كان رسول الله ﷺ ينهى عنه ويحذّر منه ،وكانوا يعظمون أمره ونهيه، ويهتدون بهديه ، ويتبعون سنته وما كان عليه هو وأصحابه رضي الله عنهم ، ويدعون إلى ما دعا إليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله ، ويبالغون في نصرته وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه .

فهذه طريقة أهل التوحيد الذين يسميهم أعداؤهم الوهابية ، وهي موجودة في كتبهم ورسائلهم ، ولا يجهلها إلا من هو من أجهل الناس وأشدهم غباوة ، ولا يتجاهلها إلا أهل الزيغ والضلال ؛ مثل حسين أحمد ودحلان وأضرابهما من أهل الضلال الذين أعمى الله بصائرهم وصرف قلوبهم عن معرفة الحق وأهله . =

« هذا هو معنى « لولاك لما خلقت الأفلاك » و «أول ما خلق الله نوري » و « أنا نبي الأنبياء » وغيرها من الأحاديث» (١).

فذكر المدني لهذه الروايات الواهية الموضوعة يدل على أنه يرى ما يراه الآخرون من طائفته بأن النور المحمدي هو أول الخلق وأن الدنيا ماخلقت إلا لأجله ﷺ.

□ **ومما يتعلق بعقيدة الديوبندية في خلق الرسول ﷺ وأنه أول الخلق،** هو ما قاله الشيخ شبير أحمد العثماني في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾ وفيما يلي ترجمته:

« ذهب عامة المفسرين إلى أن المراد بهذه الآية هو أن الرسول ﷺ أول المسلمين نظراً إلى الأمة المحمدية ».

= فأما أهل العدل والإنصاف من علماء الأمصار؛ فإنهم يعرفون طريقة أهل التوحيد من أهل نجد غاية المعرفة، ويشهدون لهم بالعلم والفضل والهداية، وأنهم كانوا على المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، بل قد شهد لهم بذلك العقلاء من كتاب النصارى ومؤرخيهم، وقد ذكرتُ جملة من أقوال علماء المسلمين وكتاب النصارى في هذا الموضوع في كتابي المسمى "إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة"؛ فلتراجع أقوالهم؛ فإن فيها أبلغ ردّ على أكاذيب حسين أحمد على أهل التوحيد من أهل نجد ورميه إياهم بما هم برآء منه مما تقدم ذكره في كلامه.

وإنه ليخشى على حسين أحمد ومن وافقه على الكذب والافتراء على علماء أهل نجد أن يكون لهم نصيب وافر من الجزاء على الإثم والعدوان ». [القول البليغ ص ١٠٤، ١٠٥].

(١) ملخصاً من " الشهاب الثاقب " ص ٤٧.

ثم قال :

« ولكن لما كان الرسول ﷺ أول الأنبياء كما جاء عند الترمذي : «**كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد**» الحديث ، فما الريب في كونه ﷺ أول المسلمين ؟». [1]

وقال أيضاً في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح . .** ﴾ الآية ، ما يلي :

« قدّم الله تعالى ذكر نبينا محمد ﷺ على بقية أولى العزم من الرسل ، مع أنه آخر الأنبياء ظهوراً في عالم الشهادة ، وذلك لأنه أول الأنبياء منزلة ، كما أنه أقدمهم وجوداً في عالم الغيب ، كما ثبت في الحديث». [2][*]

● رأي كبار علماء السنة في هذه المسألة ●

لقد وجهت إلى كبار علماء السنة وإلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عدة أسئلة حول موضوع خلق الرسول ﷺ هل هو بشر أم خلق من النور ؟ وهل هو أول الخلق ؟ وما إلى ذلك من الأسئلة ، نقدم فيما يلي بعضاً منها مع ذكر إجابة العلماء عليها .

(١) انظر تفسيره لسورة الأعراف ، الآية : ١٦٣ ، ص ٢٠٠ ، هامش (٢).
(٢) انظر تفسيره لسورة الأحزاب ، الآية : ٧ ، ص ٥٥٧ ، هامش (١).
(*) لعله أراد بالحديث هنا هو الرواية المذكورة أعلاه.

السؤال : « إذا مات الشخص وهو يعتقد أن الرسول ﷺ ليس ببشر وأنه يعلم الغيب وأن التوسل بالأولياء والأموات والأحياء قربة إلى الله عز وجل فهل يدخل النار ويعتبر مشركاً ؟ علماً أنه لا يعلم غير هذا الاعتقاد وأنه عاش في منطقة علماؤها وأهلها كلهم يقرون بذلك ، فما حكمه ، وما حكم التصدق عنه والإحسان إليه بعد موته؟ » .

وأجاب عليه سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز - حفظه الله - بقوله:

« من مات على هذا الاعتقاد بأن يعتقد أن محمداً ﷺ ليس ببشر أي ليس من بني آدم أو يعتقد أنه يعلم الغيب فهذا اعتقاد كفري يعتبر صاحبه كافراً كفراً أكبر ، وهكذا إذا كان يدعوه ويستغيث به أو ينذر له أو لغيره من الأنبياء والصالحين أو الجن أو الملائكة أو الأصنام ؛ لأن هذا من جنس عمل المشركين الأولين كأبي جهل وأشباهه ، وهو شرك أكبر».[1]

كما أجاب فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين على مثل هذا السؤال بقوله :

« من اعتقد أن النبي ﷺ نور من الله وليس ببشر وأنه يعلم الغيب فهو كافر بالله ورسوله وهو من أعداء

---

(١) انظر تفصيل الجواب في " مجموع فتاوى ابن باز " ٣١٩/٥ .

اللّه ورسوله ، وليس من أولياء اللّه ورسوله ، لأن قوله هذا تكذيب للّه ورسوله ، ومن كذب اللّه ورسوله فهو كافر، والدليل على أن قوله هذا تكذيب للّه ورسوله قوله تعالى: ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم** ﴾ وقوله ﷺ : «**إنما أنا بشر مثلكم ، أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني** ».[(١)]

هذا وقد وجّه إلى اللجنة الدائمة السؤال التالي :

« هل النبي ﷺ نور من نور اللّه كما يقول بعض الناس ، وهل هو نور عرش اللّه سبحانه وتعالى »؟

فأجابت اللجنة عليه بما يلي :

« النبي ﷺ نور هدى ورشاد كما قال تعالى : ﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى اللّه بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾ الأحزاب . وليس بدنه نوراً وليس هو من نور اللّه الذي هو وصفه بل هو لحم وعظم وما خالطهما خلق من أب وأم كغيره كما مضت بذلك سنة اللّه تعالى في البشر وكان يأكل ويشرب ويقضي من شأنه وله ظل إذا مشى في شمس أو نحوها ، وأما قوله تعالى : ﴿ **قد جاءكم من اللّه نور وكتاب مبين يهدي به اللّه من اتبع رضوانه سبل السلام**﴾ الآية ، فالمراد بالنور في ذلك ما يبعثه اللّه به

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣٣٣/١ .

من الوحي ، من عطف الخاص على العام ولم يثبت في القرآن ولا في السنة الصحيحة أنه نور عرش اللّٰه فمن زعم ذلك فهو كاذب. وصلى اللّٰه على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم».[1]

كما وجّه إلى اللجنة السؤال التالي :

« إن جل الناس يعتقدون أن الأشياء خلقت من نور محمد ﷺ وأن نوره خلق من نور اللّٰه ويروون «أنا نور اللّٰه وكل شيء من نوري» ويروون أيضاً «أول ما خلق اللّٰه نور محمد ﷺ » فهل لذلك من أصل؟ويروون «أنا عرب بلا عين أي رب ، أنا أحمد بلاميم أي أحد» فهل لذلك من أصل؟

وأجابت اللجنة عليه بما يلي :

« سبق منا جواب مفصل بالفتوى رقم ٢٨٧١ هذا نصها : «وصف الرسول ﷺ بأنه نور من نور اللّٰه إن أريد به أنه نور ذاتي من نور اللّٰه فهو مخالف للقرآن الدال على بشريته ،وإن أريد بأنه نور باعتبار ما جاء به من الوحي الذي صار سبباً لهداية من شاء من الخلق فهذا صحيح وقد صدر من اللجنة فتوى في ذلك هذا نصها : للنبي ﷺ نور هو نور الرسالة والهداية التي هدى اللّٰه بها بصائر من شاء من عباده ، ولا شك أن

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٣٠٧/١ ، ٣٠٨ .

نور الرسالة والهداية من الله قال تعالى ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ آخر سورة الشورى . وليس هذا النور مكتسباً من خاتم الأولياء كما يزعمه بعض الملاحدة ، أما جسمه ﷺ فهو دم ولحم وعظم . . إلخ، خلق من أب وأم ولم يسبق له خلق قبل ولادته وما يروى أن أول ما خلق الله نور النبي ﷺ أو أن الله قبض قبضة من نور وجهه وأن هذه القبضة هي محمد ﷺ ونظر إليها فتقاطرت فيها قطرات فخلق من كل قطرة نبياً أو خلق الخلق كلهم من نوره ﷺ فهذا وأمثاله لم يصح منه شيء عن النبي ﷺ ، ومن خلال الفتوى السابقة يظهر أنه اعتقاد باطل. وأما ما يروى : أنا عرب بلا عين فلا أساس له من الصحة وهكذا أنا أحمد بلا ميم ، وصفة الربوبية والانفراد من الصفات المختصة بالله سبحانه وتعالى فلا يجوز أن يوصف أحد من الخلق بأنه الرب ولا أنه أحد على الإطلاق ، فهذه الصفات من اختصاص الله سبحانه ولا يوصف بها الرسل ولا غيرهم

من البشر».[1]

كما وجّه إلى اللجنة الدائمة سؤال حول «لولاك ما خلقت الأفلاك» أهذا حديث موضوع أو ضعيف»؟ فأجابت اللجنة عليه بما يلي:

« ذكره العجلوني في "كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس" وقال: قال الصغاني إنه موضوع، ثم قال: وأقول: لكنه معناه صحيح وإن لم يكن حديثاً. نقول بل هو باطل لفظاً ومعنى؛ فإن الله تعالى إنما خلق الخلق ليعبدوه كما قال سبحانه: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ ولم يثبت حديث عن النبي ﷺ يدل على أن الخلق خلقوا من أجله لا الأفلاك ولا غيرها من المخلوقات، وذكره محمد بن علي الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة وقال: قال الصغاني موضوع. ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً**﴾. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم».[2]

كما وجه إلى اللجنة السؤال: « هل سيدنا رسول الله ﷺ أول خلق

---

(1) فتاوى اللجنة الدائمة ١/٣١٠، ٣١١.
(2) فتاوى اللجنة الدائمة ١/٣٠٨، ٣٠٩.

الله أم سيدنا آدم »؟

فأجاب اللجنة عليه بما يلي :

« أول خلق الله من البشر آدم عليه الصلاة والسلام بإجماع المسلمين وبصريح القرآن ، ونبينا عليه الصلاة والسلام بشر من سلالة آدم ، وأما قول بعض الجهلة : إن نبينا أول خلق الله أو أنه مخلوق من نور الله أو من نور العرش فقوله باطل لا أساس له من الصحة».[1]

★ ★ ★

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٣٠٧/١ – وانظر أيضاً في هذا الموضوع فتاوى اللجنة الدائمة ٣٠٨/١ ، فتوىٰ رقم (٦٥٣٤) وص ٣٠٩ ، فتوى رقم (٦٧٩٣) وص ٣١٠ ، فتوى رقم (٧٣٢٥) وص ٣١٢ فتوى رقم (٩٨٨٦) وغيرها.

حياة النبي ﷺ

يرى أهل السنة – ولاخلاف بينهم في ذلك – أن النبي ﷺ حي في قبره حياة برزخية ، يحصل بها التنعم في القبر بما أعده الله له من النعيم، وأنه لم تعد إليه روحه ليصير حياً كما كان في الدنيا.

ويعتقد علماء ديوبند في هذه المسألة ما يخالف معتقد أهل السنة ، حيث يرون أن النبي ﷺ حي في قبره حياة دنيوية ، ويذكرون في هذا الصدد بعض القصص التي حصلت لأكابرهم عن طريق الكشف والكرامة.

□ **قال القاضي مظهر حسين الديوبندي :**

« إن الأنبياء عليهم السلام أحياء في قبورهم ، يسمعون تسليم الزوّار ، ولا يحول التراب والجدران دون السماع ، وقد أجمعت الأمة على هذه العقيدة». [1]

□ **وقال الشيخ خليل أحمد السهارنفوري** وهو يجيب على سؤال[2] في موضوع حياة النبي ﷺ في قبره ، وفيما يلي نصه :

« عندنا وعند مشائخنا حضرة الرسالة ﷺ حي

---

(١) انظر " المهند " ص ١٤٨ .

(٢) وهذا هوالسؤال الخامس وإجابته من كتاب " المهند على المفند " .

في قبره الشريف وحيوته ﷺ دنيوية من غير تكليف وهي مختصة به ﷺ وبجميع الأنبياء صلوات الله عليهم والشهداء ، لا برزخية ، كما هي حاصلة لسائر المؤمنين بل لجميع الناس ، كما نص عليه العلامة السيوطي في رسالته أنباء الأذكياء بحيوٰة الأنبياء حيث قال قال الشيخ تقي الدين السبكي حيوٰة الأنبياء والشهداء في القبر كحيوٰتهم في الدنيا ويشهد له صلوة موسى عليه السلام في قبره ، فإن الصلوة تستدعي جسداً حياً إلى آخر ما قال ، فثبت بهذا أن حيوٰته دنيوية برزخية لكونها في عالم البرزخ ، ولشيخنا شمس الإسلام والدين محمد قاسم العلوم على المستفيدين قدس الله سره العزيز في هذا المبحث رسالة مستقلة دقيقة الماخذ بديعة المسلك لم ير مثلها ، قد طبعت وشاعت في الناس واسمها " آب حيات " أي ماء الحيوٰة».[1]

وقال أيضاً :

« الرسول ﷺ حي في قبره ، يسمع تسليم من يسلّم عليه من داخل المسجد ، مهما خفض به صوته».[2]

---

(١) انظر " المهند على المفند " ص ٣٨ .

(٢) انظر "تذكرة الخليل " للشيخ محمد عاشق إلهي الميرتي ، ص ٢٠٦ .

□ **وقال الشيخ أشرف علي التانوي :**

« أما كون الرسول ﷺ يسمع سلام المسلّم من قريب ، وإبلاغ الملائكة إياه من بعيد ، بصفة دائمة مستمرة ، فهو أمر ثابت ».[1]

□ **وقال الشيخ أنور شاه الكشميري :**

« الأنبياء أحياء ، وإن كثيراً من الأعمال قد ثبت في القبور ،كالأذان عند الدارمي ، وقراءة القرآن عند الترمذي ».[2]

وقال أيضاً :

« والأحاديث في سمع الأموات قد بلغت مبلغ التواتر وفي حديث صححه أبو عمرو أن أحداً إذا سلّم على الميت فإنه يرد عليه ويعرفه إن كان يعرفه في الدنيا، . . . (إلى أن قال) ولذا قلت بالسماع في الجملة ، بقي القرآن فأمره صعب ، قال تعالى : ﴿**انك لا تسمع الموتى**﴾ وقال : ﴿**وما أنت بمسمع من في القبور**﴾ وهو بظاهره يدل على النفي مطلقاً ، فقيل بالفرق بين السماع والإسماع ، والمنفي هو الثاني دون الأول ، والمطلوب هو الأول دون الثاني ».[3]

---

(١) " نشر الطيب " للشيخ أشرف علي التانوي ، ص ١٤٢ .
(٢) " فيض الباري " ١/١٨٣ .
(٣) ملخصاً من " فيض الباري " ٢/٤٦٧ .

وفي موضع آخر فقد صرح الشيخ أنور شاه الكشميري والشيخ شبير أحمد العثماني بأن النبي ﷺ يصلي في قبره بأذان وإقامة.»[١]

كما احتج الشيخ محمد قاسم النانوتوي والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ أشرف علي التانوي لإثبات هذه العقيدة الباطلة بأن تركة النبي ﷺ لا تورث ، وأن أزواجه لا يحللن لأحد بعده ، فهذا دليل على أن النبي ﷺ حي في قبره حياة عنصرية ، لكنه انعزل عن الناس كما ينعزل المعتكف أربعين يوماً مثلاً . . . .»[٢]

□ هذا ، وقد ذكر **الشيخ أحمد حسين الديوبندي** قصة ٣للشيخ حسين أحمد المدني فقال :

« جلس الشيخ المدني يدرس في المسجد النبوي عند باب الرحمة ، مستقبلاً بوجهه إلى الشبابيك ، وكان في الطلاب من يشك في حياة النبي ﷺ فرفع هذا الطالب بصره نحو الحجـرة الشريفة فإذا رسول الله ﷺ جالس ، ولا قبة هناك ولا شبابيك ، فأراد الطالب أن يلفّت أنظار زملائه إليه فمنعه الشيخ من ذلك ، ثم رفع الطالب بصره مرة أخرى نحو الحجرة فإذا كل شئ قد رجع إلى حاله ».[٣]

---

(١) انظر " فيض الباري " ٨٣/١ ، و " فتح الملهم " ٤١٩/٣ ، .و " عقائد أهل السنة " للمفتي عبد الشكور الديوبندي ، ص ١٦١ .

(٢) "عقائد أهل السنة والجماعة" ص ١٦٢ - ١٦٥، وانظر أيضاً : " آب حيات" للنانوتوي ، ص ٢ .

(٣) انظر صحيفة " الجمعية " (دلهي) ، عدد خاص عن شيخ الإسلام حسين أحمد المدني ، ص ٧٧ .

□ **كما ذكر الشيخ محمد زكريا - شيخ جماعة التبليغ - القصة التالية:**

« إن الشيخ أحمد الرفاعي لما جاء إلى قبر النبي ﷺ قام مقابل القبر الأطهر وأنشد هذين البيتين :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد رسول الله ﷺ يده من قبره فقبّلها الرفاعي، وقد شاهد هذه القصة جمعاً يقارب (٩٠٠٠٠) شخص ، ومنهم المحبوب السبحاني القطب الرباني الشيخ عبدالقادر الجيلاني ، وكلهم شرفوا بزيارة يده ﷺ »[١]

ولم يقف علماء ديوبند عند هذا الحد ، بل ذهبوا إلى أن الشهداء أيضاً أحياء حياة دنيوية في قبورهم ، فقد حكى الشيخ أشرف علي التانوي قصة ما ملخصها :

« إن رجلاً من أصحاب القبر زار قبر الحافظ ، فلما انتهى من قراءة الفاتحة [٢] عليه ، قال : إن في صاحب القبر مداعبة ، فإني لما بدأت في قراءة الفاتحة

---

(١) انظر "فضائل حج" ص ١٣٠ ، ١٣١ ، و "فضائل درود" ضمن "تبليغي نصاب" ، ص ١٥١ .

(٢) المبتدعة في شبه القارة الهندية يقرؤن عند زيارة القبور سورة الفاتحة بدلاً من الأدعية المأثورة في ذلك ، ويرجون ثوابها للموتى ، وما لهم من مستند في ذلك إلا الروايات الواهية الموضوعة.

عليه قال لي : لماذا جئت تقرأ الفاتحة على الأحياء ، اذهب وأقرأها على ميت من الأموات ، فسأل الناس عن صاحب هذا القبر فأخبروه أنه مات شهيداً في سبيل الله». (١)

هذه نبذة مما يحكيه مشايخ الديوبندية وعلمائها ، ويعتقد به عامتهم اعتقاداً لا يترك لهم مجالاً حتى يسألوا مشايخهم كيف علم المقبور بمجئ أحد إلى قبره للزيارة وقراءة الفاتحة عليه ،والقرآن يقول : ﴿ **أموات غير أحياء و مايشعرون أيان يبعثون** ﴾. (٢)

ملحوظة مهمة :

ولا يخفى على القارئ أن مسألة حياة النبي ﷺ من أهم المسائل التي اختلف عليها علماء أهل الحديث وعلماء الطائفة الديوبندية في شبه القارة الهندية قديماً وحديثاً ، وهي التي أشار إليها الشيخ حسين أحمد المدني الملقب بشيخ الإسلام لدى طائفته ، بقوله :

« يعتقد النجدي وأتباعه أن حياة الأنبياء عليهم السلام كانت فقط إلى العصر الذي عاشوه في الدنيا ، وأما بعد مماتهم فهم وعامة المؤمنين سواء في الموت ، وأنه ليس لهم حياة بعد الموت إلا الحياة البرزخية التي ثبتت لجميع أفراد الأمة ، ويرى البعض منهم سلامة جسد النبي دون بقاء علاقته بالروح ، كما نسمع منهم كلمات شنيعة في حياة النبي عليه السلام لا يجوز أن

---

(١) " أرواح ثلاثة " ص ٣٣٣ .
(٢) سورة النحل ، الآية : ٢١ .

نتقل هذه الكلمات بلساننا ، وكتبوا ذلك في كتبهم ورسائلهم ، وأما أكابرنا فإن رسائلهم ومعتقداتهم تخالف كل ذلك ، فقد ألف حضرة الشيخ النانوتوي كتاباً ضخماً في هذا الموضوع ، والكتاب معروف لدى جميع الناس ، أثبت فيه حياة النبي وذكر أدلة قوية لمذهب أهل السنة والجماعة في فضائل النبوة ، كما أن الشيخ الكنكوهي ، قدس الله سره ، أيضاً أيد ذلك وصرح به في كتابه " هداية الشيعة " و "رسالة الحج " وغيرها ومن أراد الإطلاع على هذه المسألة فليراجع "آب حيات" و " هداية الشيعة "و أجوبة أربعين " و "اللطائف القاسمية " و زبدة المناسك " وغيرها من الرسائل، وهذه مسألة خاصة خالفت الوهابية فيها علماء الحرمين، مما أدى الأمر عدة مرات إلى الجدل والنزاع».(١)

وأما عقيدة أهل الحديث في هذه المسألة فهي نفس عقيدة السلف الصالح ، وقد أوضح علماء أهل الحديث هذه المسألة على ما يعتقده سلف هذه الأمة ، وبينوا ذلك للناس ، في كتبهم ومؤلفاتهم ».(٢)

---

(١) انظر " الشهاب الثاقب " للشيخ حسين أحمد المدني ، ص ٤٥ .

(٢) انظر على سبيل المثال " مسألة حياة النبي ﷺ " للعلامة الشيخ محمد إسماعيل السلفي رحمه الله - وقد طبع الكتاب ضمن مقالاته في كتاب مستقل وهو " حركة الإنطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد " وذلك بتعريب فضيلة الشيخ مقتدى حسن ياسين الأزهري ، رئيس تحرير مجلة " صوت الأمة " ووكيل الجامعة السلفية ببنارس ، الهند. والكتاب يستحق القراءة والمطالعة ، [انظر " حركة الانطلاق الفكري" ص ٣٦٧ - ٤٤٤] .

ولنقرأ فيما يلي فتاوى بعض كبار علماء أهل السنة ، حتى يتضح هذا الموضوع كل وضوح ولا يبقى فيه أي غموض .

● رأي كبار علماء أهل السنة في هذه المسألة ●

وجهت إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أسئلة عن حياة النبي ﷺ وعن سماعه كل دعاء ونداء ، فأجاب عليها كبار العلماء ، وفيما يلي نص الأسئلة والأجوبة :

السؤال : في حياة النبي ﷺ أكان النبي ﷺ حياً في قبره الشريف بإعادة الروح في الجسد والبدن (العنصرية) بحياة دنيوية حسية أو حياً في أعلى عليين بحياة أخروية برزخية بلا تكليف كما قال النبي ﷺ حين حضره الموت : « **اللّهم بالرفيق الأعلى** » وجسده المنور الآن كما وضع في قبر بلا روح والروح في أعلى عليين ، وإتصال الروح بالبدن والجسد المعطر عند يوم القيامة كما قال اللّه تعالى : ﴿**وإذا النفوس زوجت**﴾ .

الجواب : إن نبينا محمداً ﷺ حي في قبره حياة برزخية يحصل بها التنعم في قبره بما أعده اللّه له من النعيم جزاء له على أعماله العظيمة الطيبة التي قام بها في دنياه ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام ، ولم تعد إليه روحه ليصير حياً كما كان في دنياه ولم تتصل به وهو في قبره اتصالاً يجعله حياً كحياته يوم القيامة بل هي حياة برزخية وسط بين حياته في الدنيا وحياته في

الآخرة ، وبذلك يعلم أنه قد مات كما مات غيره ممن سبقه من الأنبياء وغيرهم ، قال الله تعالى : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ وقال : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذوالجلال والإكرام ﴾ وقال : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ إلى أمثال ذلك من الآيات الدالة على أن الله قد توفاه إليه ؛ ولأن الصحابة رضي الله عنهم قد غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه ، ولو كان حياً حياته الدنيوية ما فعلوه به ما يفعل بغيره من الأموات.

ولأن فاطمة رضي الله عنها قد طلبت إرثها من أبيها ﷺ لإعتقادها بموته ولم يخالفها في ذلك الاعتقاد أحد من الصحابة ، بل أجابها أبو بكر رضي الله عنه بأن الأنبياء لا يورثون .

ولأن الصحابة رضي الله عنهم قد اجتمعوا لاختيار خليفة للمسلمين يخلفه وتم ذلك بعقد الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه ، ولو كان حياً كحياته في دنياه لما فعلوا ذلك فهو إجماع منهم على موته .

ولأن الفتن والمشاكل لما كثرت في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما وقبل ذلك وبعده لم يذهبوا إلى قبره لاستشارته أو سؤاله في المخرج من تلك الفتن والمشاكل وطريقة حلها ، ولو كان حياً كحياته في دنياه

لما أهملوا ذلك وهم في ضرورة إلى من ينقذهم مما أحاط بهم من البلاء.

أما روحه فهي في أعلى عليين لكونه أفضل الخلق،وأعطاه اللّه الوسيلة وهي أعلى منزلة في الجنة عليه الصلاة والسلام ».(١)

ومن تلك الأسئلة أيضاً :

السؤال : هل يسمع النبي ﷺ كل دعاء ونداء عند قبره الشريف أو صلوات خاصة حين يصلى عليه كما في الحديث «**من صلى عليّ عند قبري سمعته...**» إلى آخر الحديث أهذا الحديث صحيح أو ضعيف أو موضوع على رسول اللّه ﷺ ؟

الجواب : الأصل أن الأموات عموماً لا يسمعون نداء الأحياء من بني آدم ولا دعاءهم كما قال تعالى : ﴿ **وما أنت بمسمع من في القبور** ﴾ ولم يثبت في الكتاب ولا في السنة الصحيحة ما يدل على أن النبي ﷺ يسمع كل دعاء أو نداء من البشر حتى يكون ذلك خصوصية له وإنما ثبت عنه ﷺ أنه يبلغه صلاة وسلام من يصلي ويسلم عليه فقط سواء كان من يصلي عليه عند قبره أو بعيداً عنه كلاهما سواء في ذلك ، لما ثبت عن علي بن الحسين بن علي رضي اللّه

---

(١) انظر " فتاوى اللجنة الدائمة " ١٦٨/٣ ، ١٦٩ .

عنهم أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم** ».

أما حديث : « **من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى علي بعيداً بلغته** » فهو حديث ضعيف عند أهل العلم ، وأما ما رواه أبو داود بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **ما من أحد يسلم علي إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام**» فليس بصريح أنه يسمع سلام المسلم بل يحتمل أنه يرد عليه إذا بلغته الملائكة ذلك ولو فرضنا سماعه سلام المسلم لم يلزم منه أن يلحق به غيره من الدعاء والنداء»[1]

هذا ، ويقول الشيخ حمود التويجري رداً على كلام حسين أحمد السابق :

« قلت : يلزم على قول حسين أحمد : « إن الأنبياء أحياء حياة حقيقية غير برزخية » لوازم باطلة :

منها : أن يكون الأنبياء يمشون على الأرض مثل غيرهم من الأحياء ، ويأكلون ، ويشربون ، ويحتاجون

---

(١) " فتاوى اللجنة الدائمة " ٣/ ١٦٩ ، ١٧٠ .

إلى قضاء الحاجة مثل غيرهم من الأحياء ، وأن يكونوا ظاهرين بين الناس يراهم الناس ويجالسونهم ويتعلمون منهم ،وكل من هذه الأمور باطل معلوم البطلان بالضرورة عند كل عاقل ، والقول بها أو بشيء منها هوس وهذيان لا يصدر من أحد له أدنى شيء من العقل.

ومن اللوازم الباطلة التي تلزم على قول حسين أحمد أيضاً : أن يكون قبر النبي ﷺ خالياً من جسده الشريف ، وكذلك قبور سائر الأنبياء ، وهذا معلوم البطلان بالضرورة عند كل عاقل ، ولا يقول به إلامن هو مصاب في عقله .

ومن اللوازم الباطلة أيضاً ما يترتب على هذا القول الباطل من تكذيب النصوص الدالة على موت النبي ﷺ وموت سائر البشر ،كقوله تعالى في سورة الزمر : ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾.

وقوله تعالى في سورة آل عمران : : ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**﴾.

وقوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون . كل نفس ذائقة الموت** ﴾.

وقوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون** ﴾.

وقوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة** ﴾.

وقوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾.

فإذا كان حسين أحمد وغيره من مشايخ جماعة التبليغ المخرفين يرون أن الأنبياء أحياء حياة حقيقية ، وأن لجماعتهم وأكابرهم حظ وصول في مجالس النبي ﷺ يقظة لا مناماً ، ويرون بطلان ما يعتقده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من أن حياة الأنبياء كانت في المدّةِ التي قضوها في الدنيا ، وبعد ذلك هم وأتباعهم سواء في الموت ؛ فماذا يجيبون به عن هذه النصوص الدالة علىأن الموت عام للأنبياء وغيرهم من سائر البشر؟! وما ذا يجيبون به عن الأحاديث الكثيرة التي جاءت في موت النبي ﷺ ودفنه ؟! وما ثبت عنه أنه قال : « **أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة** » ؟!.

وإذا لم يكن لهم جواب صحيح عن الآيات التي تقدم ذكرها ، وعن الأحاديث الدالة على موت النبي ﷺ ومكثه في قبره إلى يوم القيامة ؛ فالواجب

عليهم الرجوع إلى الحق الذي يدل عليه الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وهو اعتقاد موت الأنبياء وغيرهم من سائر البشر ، واعتقاد أن الأنبياء وغيرهم من الأموات لايزالون في قبورهم إلى يوم القيامة ، وأن أول من ينشق عنه القبر رسول الله ﷺ ؛ فهذا هو الاعتقاد الصحيح ، وما خالفه ، فهو من العقائد الفاسدة التي زينها الشيطان لأوليائه من الصوفية والتبليغيين .[1]



---

(١) " القول البليغ " ص ٨١ ، ٨٣ .

شد الرحال لزيارة قبر الرسول ﷺ

يرى علماء السلف بأنه لا يجوز شد الرحال إلى زيارة القبور أياً كانت هذه القبور ، وذلك عملاً بقوله ﷺ : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد** » الحديث .

ولكن علماء ديوبند يرون زيارة قبر الرسول ﷺ من أعظم القربات وقريبة من الواجب .

□ **يقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري** في كتابه إجابةً على أسئلة وجهت إليه ، وإليك نص السؤال والجواب :

«(١) ما قولكم في شد الرحال إلى زيارة سيد الكائنات عليه أفضل الصلوات والتحيات وعلى آله وصحبه (٢) أى الأمرين أحب إليكم وأفضل لدى أكابركم للزائر هل ينوى وقت الإرتحال للزيارة زيارته عليه السلام أو ينوى المسجد أيضاً وقد قال الوهابية إن المسافر إلى المدينة لا ينوى إلا المسجد النبوي؟».(١)

وأجاب عليه الشيخ السهارنفوري بما يلي :

« عندنا وعند مشائخنا زيارة قبر سيد المرسلين (روحي فداه) من أعظم القربات وأهم المثوبات ، أنجح لنيل الدرجات بل قريبة من الواجبات ، وإن كان

---

(١) هذا هو السؤال الأول والثاني من كتاب " المهند " .

حصوله بشد الرحال وبذل المهج والأموال، وينوى وقت الإرتحال زيارته عليه ألف ألف تحية وسلام وينوى معها زيارة مسجده ﷺ وغيره من البقاع والمشاهد الشريفة بل الأولى ما قاله العلامة الهمام ابن الهمام أن يجرد النية لزيارة قبره عليه الصلوة والسلام ثم يحصل له إذا قدم زيارة المسجد لأن في ذلك زيادة تعظيمه وإجلاله ﷺ ويوافقه قوله ﷺ : من جاءني زائراً لا تحمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليَّ أن أكون شفيعاً له يوم القيامة وكذا نقل عن العارف السامي الملا جامي أنه أفرد الزيارة عن الحج وهو أقرب لمذهب المحبين ، وأما ما قالت الوهابية من أن المسافر إلى المدينة المنورة على ساكنها ألف ألف تحية لا ينوى إلا المسجد الشريف استدلالاً بقوله عليه الصلوة والسلام : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد** » فمردود لأن الحديث لا يدل على المنع أصلاً بل لو تامله ذو فهم ثاقب لعلم أنه بدلالة النص يدل على الجواز ، فإن العلة التي استثنى بها المساجد الثلاثة من عموم المساجد والبقاع هو فضلها المختص بها، وهو مع الزيادة موجود في البقعة الشريفة ، فإن البقعة الشريفة والرحبة المنيفة التي تضم أعضائه ﷺ أفضل مطلقاً حتى من الكعبة ومن العرش والكرسي ، كما صرح به فقهائنا رضي الله عنهم ، لما استثنى المساجد لذلك الفضل الخاص فأولى ثم أولى أن يستثنى البقعة

المباركة لذلك الفضل العام ، وقد صرح بالمسألة كما ذكرناه بل بالبسط منها شيخنا العلامة شمس العاملين مولانا رشيد أحمد الجنجوهي قدس الله سره العزيز في رسالته " زبدة المناسك " في فضل زيارة المدينة المنورة وقد طبعت مراراً وأيضاً في هذا المبحث الشريف رسالة لشيخ مشائخنا مولانا المفتي صدر الدين الدهلوي قدس الله سره العزيز، أقام فيها الطامة الكبرى على الوهابية ومن وافقهم وأتى ببراهين قاطعة وحجج ساطعة سماها أحسن المقال في شرح حديث لا تشد الرحال ، طبعت واشتهرت ، فليرجع إليها والله تعالى أعلم ».[1]

---

(١) انظر " المهند على المفند " للشيخ خليل أحمد السهارنفوري ص ٣٤ - والجدير بالذكر بصدد كتاب " المهند " أنه قد شاع بين الناس عن هذا الكتاب وخاصة عما يتعلق بالشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه أن الشيخ السهارنفوري كتب ما كتب عنهم اعتماداً على بيان السائل الذي كان من علماء المدينة المنورة ،وأنه ليس ذلك رأي شخصي له - والحقيقة أن الكتاب المذكور بما فيه من الأسئلة والأجوبة ، تم تأليفه رداً على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته، كما نجد في بداية الكتاب العبارة التالية « أيها العلماء الكرام والجهابذة العظام قدنسب إلى سماحتكم الكريمة أناس عقائد الوهابية وأتوا بأوراق ورسائل لا نعرف معانيها لاختلاف اللسان ، فنرجو أن تخبرونا بحقيقة الحال ومرادات المقال ، ونحن نسألكم عن أمور اشتهر فيها خلاف الوهابية عن أهل السنة والجماعة ».

كما أن هذا الكتاب ليس مجرد رأى ومعتقدات السهارنفوري فحسب ، وإنما هو عبارة عن معتقدات كافة كبار علماء ديوبند أمثال الشيخ محمود الحسن شيخ الهند ، والشيخ أشرف علي التانوي ،والمفتي عزيز الرحمن الديوبندي والمفتي كفاية الله، والشيخ عاشق إلهي الميرتي وأمثالهم=

□ **ويقول الشيخ أنور شاه الكشميري في شرحه لصحيح البخاري** حول حديث « **لا تشد الرحال** » ما نصه :

« قوله : " لا تشد الرحال " الخ وقد افتتن الحافظ ابن تيمية رحمه الله تعالى لأجل هذا الحديث في الشام مرتين فحبس مرة مع تلميذه ابن القيم رحمه الله تعالى وأخرى وحده حتى توفي فيه ، وكان من مذهبه أن السفر إلى المدينة لا يجوز بنية زيارة قبره ﷺ لأجل هذا الحديث ، نعم يستحب له بنية زيارة المسجد النبوي وهي من أعظم القربات ، ثم إذا بلغ المدينة يستحب له زيارة قبره ﷺ أيضاً لأنه يصير حينئذ من حوالي البلدة

=الذين سجلوا توقيعاتهم على هذا الكتاب تصديقاً وتأييداً لما فيه ، قائلين بكل صراحة: أن جميع ما كتبه الشيخ السهارنفوري في هذا الكتاب حق وصواب، وأن هذه هي معتقداتنا ومعتقدات مشايخنا ، التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

وأن هذا الكتاب هو الذي أشار إليه الشيخ حسين أحمد المدني قائلاً : «وللمؤلف - دام مجده وعلاه - تصانيف عديدة في مهمات المسائل وفروعها، وتآليف جميلة في إحقاق العقائد الحقة وتوطينها ، وله ملكة في فنون الجدل والمناظرة وإقامة البراهين والحجج الباهرة ، فإنه داهية كبرى على الشيعة الشنيعة الفاجرة وطامة عظمى على المبتدعة الضالة العاجزة ، فمنها " المهند على المفند" ذكر فيها معتقداته ومعتقدات مشايخه الكرام أتباع الأسلاف العظام وأهل السنة الفخام ، رداً على ما افترى عليهم الخبثاء اللئام ، مما تقشعر منه الجلود وتفتت عنه العظام [مقدمة "بذل المجهود في حل أبي داود " للسهارنفوري ٣٢/١] . ولمزيد من الإطلاع على هذه النقطة راجع كتاب "دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها " لمؤلفه أبوالمكرم ابن عبد الجليل السلفي ، ص ١٤٨ - ١٥١ .

وزيارة قبورها مستحبة عنده ، وناظره في تلك المسألة سراج الدين الهندي الحنفي وكان حسن التقرير فلما شرع في المناظرة جعل الحافظ ابن تيمية رحمه اللّه تعالى يقطع كلام الهندي فقال له : ما أنت يا ابن تيمية إلا كالعصفور إلخ ،وقال الشيخ ابن الهمام رحمه اللّه تعالى إن زيارة قبره ﷺ مستحبة وقريب من الواجب ، ولعله قال قريباً من الواجب نظراً إلى هذا النزاع ، وهو الحق عندي فإن آلاف الألوف من السلف كانوا يشدون رحالهم لزيارة النبي ويزعمونها من أعظم القربات ، وتجريد نياتهم أنها كانت للمسجد دون الروضة المباركة باطل، بل كانوا ينوون زيارة قبر النبي ﷺ قطعاً ، وأحسن الأجوبة عندي أن الحديث لم يرد في مسألة القبور، لما في المسند لأحمد رحمه اللّه تعالى لاتشد الرحال إلى مسجد ليصلى فيه إلا إلى ثلاثة مساجد ، فدل على أن نهي شد الرحال يقتصر على المساجد فقط ولا تعلق له بمسألة زيارة القبور ، فجره إلى المقابر مع كونه في المساجد ليس بسديد ، قال الشافعي رحمه اللّه تعالى : بلغني أن الحافظ ابن تيمية رحمه اللّه تعالى كان ينهى عن شد الرحال لها أما لو ذهب بدون الشد جاز، قلت : مذهبه النهي عن السفر مطلقا سواء كان بشد الرحال أو بدونه ».[1]

---

(١) انظر " فيض الباري " ٤٣٣/٢ ، ٤٣٤ .

□ ويقول الشيخ حسين أحمد المدني في كتابه وهو يقارن بين أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه وبين علماء ديوبند في المتعقدات :

« وتعتقد هذه الطائفة – أي الوهابية – بأن زيارة الرسول ﷺ والحضور عند ضريحته الشريفة ومشاهدة روضته المطهرة بدعة محرمة ، وأن السفر إليها بهذه النية محظور ،ويستدلون على ذلك بـ (حديث) « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد** » ،وحتى يعتقد بعضهم – والعياذ بالله – أن سفر الزيارة بمنزلة الزنا.

وإذا جاء هؤلاء إلى المسجد النبوي فلا يصلون ولا يسلمون على صاحب النبوة عليه الصلاة والسلام ، ولا يدعون متوجهين إليه ، وأما أكابرنا (أي أكابر ديوبند) فيخالفون هذه الطائفة الباغية في هذه المسألة من كل ناحية ،ودائماً يسافرون لزيارته ﷺ ،خائفين من (حديث) «من حج ،ولم يزرني . . . .» وعاملين بـ (حديث) « من رآني . . . [1]

● رأي كبار علماء أهل السنة في هذه المسألة ●

يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز – حفظه الله – في جوابه لسؤال : ما حكم السفر لزيارة قبر النبي ﷺ وغيره من قبور الأولياء والصالحين وغيرهم ؟

---

(١) انظر " الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب " ص ٤٥ ، ٤٦ .

« لا يجوز السفر بقصد زيارة قبر النبي ، ﷺ ، أو قبر غيره من الناس في أصح قولي العلماء ، لقـول النبـي، ﷺ : «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**». متفق عليه .

والمشروع لمن أراد زيارة قبر النبي ، ﷺ ، وهو بعيد عن المدينة أن يقصد بالسفر زيارة المسجد النبوي فتدخل زيارة القبر الشريف وقبرَيْ أبي بكر وعمر والشهداء وأهل البقيع تبعاً لذلك.

وإن نواهما جاز لأنه يجوز تبعاً ما لا يجوز استقلالاً ، أما نية القبر بالزيارة فقط فلا تجوز مع شد الرحال ، أما إذا كان قريباً لا يحتاج إلى شد رحال ولا يسمى ذهابه إلى القبر سفراً فلا حرج في ذلك ، لأن زيارة قبره ﷺ ، وقبر صاحبيه من دون شد رحل سنة وقربة ، وهكذا زيارة قبور الشهداء وأهل البقيع وهكذا زيارة قبور المسلمين في كل مكان سنة وقربة لكن بدون شد الرحال ، لقول النبي ﷺ: « **زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة** ». أخرجـه مسلم فـي صحيحه . وكان ﷺ ، يُعلِّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء اللّه بكم لاحقون ، نسأل اللّه لنا ولكم العافية. أخرجه مسلم أيضاً في صحيحه».[١]

---

(١) انظر " الفتاوى الإسلامية " ٧٩/١ .

□ كما سئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن حكم السفر لزيارة قبر النبي ﷺ ، فأجاب بقوله :

« شد الرحال إلى زيارة القبور لايجوز ، لأن النبي، ﷺ ، يقول : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى** » والمقصود بهذا أنه لا تشد الرحال إلى أي مكان في الأرض لقصد العبادة بهذا الشد ، لأن الأمكنة التي تخصص بشد الرحال هي المساجد الثلاثة فقط وما عداها من الأمكنة لا تشد إليها الرحال ، فقبر النبي ، ﷺ ، لاتشد الرحال إليه وإنما تشد الرحال إلى مسجده فإذا وصل المسجد فإن الرجال يسن لهم زيارة قبر النبي ، ﷺ وأما النساء فلا يسن لهم زيارة قبر النبي، ﷺ ، والله الموفق ».[1]

هذا ، وقد وجّهت إلى اللجنة الدائمة عدة أسئلة في هذا الموضوع ، ومما أجابت اللجنة على تلك الأسئلة :

« لا يجوز شد الرحال لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وغيرهم بل هو بدعة ، والأصل في ذلك قوله ﷺ : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى** » وقال ﷺ : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** »

---

(١) انظر " مجموع فتاوى ابن عثيمين " ٢/٢٣٧ .

وأما زيارتهم دون شد رحال فسنة لقوله ﷺ زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة. خرجه مسلم في صحيحه».[1]

« السفر لزيارة قبر الرسول ﷺ لا يجوز ، والمشروع زيارة مسجده والصلاة فيه ، وليست بواجبةٍ ، ومن زار مسجده ﷺ شرع له أن يسلم عليه وعلى صاحبيه رضي اللّه عنهما .

وطاعته ﷺ وملازمة سنته وهديه ابتغاء ثواب اللّه في أي زمان أو مكان من أسباب السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة . وباللّه التوفيق ».[2]

« لا يلزم الحجاج رجالاً ونساء زيارة قبر الرسول ﷺ ولا البقيع ، بل يحرم شد الرحال إلى زيارة القبور مطلقاً ويحرم ذلك على النساء ولو بلا شد رحال، لقول النبي ﷺ « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى** » ولأنه ﷺ (لعن زائرات القبور) ويكفي النساء أن يصلين في المسجد النبوي ويكثرن من الصلاة والسلام على الرسول ﷺ في المسجد وغيره . وصلى اللّه على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ».[3]

---

(١) " فتاوى اللجنة الدائمة " ٢٨٦/١ ، ٢٨٧ .

(٢) " فتاوى اللجنة الدائمة " ٢٨٧/١ ، ٢٨٨ .

(٣) " فتاوى اللجنة الدائمة "٢٨٧/١ .

« شد الرحال لا يجوز إلا إلى المساجد الثلاثة لقوله ﷺ : « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد** » وهذا قول ابن القيم رحمه الله وشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية وجمع كثير من أهل العلم عملاً بالحديث المذكور وبذلك تعلم أنه لا يجوز في أصح قولي العلماء شد الرحال لقبر الخليل ولا غيره من القبور للحديث المذكور ».[1]



---

(١) انظر تفصيل السؤال والجواب في " فتاوى اللجنة الدائمة " ٢٨٩/١ .

التوسل بالنبي ﷺ
بعد وفاته وبالأنبياء والصالحين

التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته ، وكذلك بالأنبياء والصالحين من الأمور التي لا يخفى خطرها على الإنسان ، ويرى علماء السلف عدم جواز التوسل إلى اللّه تعالى في الدعاء بجاه النبي ﷺ أو ذاته أو منزلته ، فضلاً عن الأولياء والصالحين.

ولكن علماء ديوبند يرون جواز التوسل في الدعوات بالنبي ﷺ بعد وفاته ، وحتى بالأنبياء والصالحين بعد مماتهم.

□ **فيقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري** في كتابه إجابة على بعض الأسئلة ، وفيما يلي نص الأسئلة والأجوبة :

« هل للرجل أن يتوسل في دعواته بالنبي ﷺ بعد الوفاة أم لا ؟»

« أيجوز التوسل عندكم بالسلف الصالحين من الأنبياء والصديقين والشهداء وأولياء رب العالمين أم لا ». [1]

وأجاب عليه الشيخ السهارنفوري بقوله :

« عندنا وعند مشائخنا يجوز التوسل في الدعوات بالأنبياء والصالحين من الأولياء والشهداء والصديقين في حيواتهم وبعد وفاتهم بأن يقول في دعائه اللّهم إني

---

(١) هذا السؤال الثالث والرابع من كتاب " المهند على المفند " .

أتوسل إليك بفلان أن تجيب دعوتي وتقضى حاجتي إلى غير ذلك ، كما صرح به شيخنا ومولانا الشاه محمد إسحاق الدهلوي ثم المهاجر المكي ، ثم بينه في فتاواه شيخنا ومولانا رشيد أحمد الكنكوهي رحمة اللّه عليهما ،وفي هذا الزمان شائعة مستفيضة بأيدي الناس ، وهذه المسألة مذكورة على صفحة ٩٣ من المجلد الأول منها فليرجع إليها من شاء». [١]

□ **وقال محمد زاهد الكوثري** ، وهو يحرف ما ورد من نصوص التوسل والوسيلة في الكتاب والسنة إلى ما يلي :

« إن التوسل لغة وشرعاً هو التوسل بذات الولي وشخصه في حضوره وغيبته وبعد موته ، وبذلك جرت الأمة طبقة فطبقة ، رغم كل مفترّ أفّاك ». [٢]

□ ويوضح معتقد هذه الطائفة في هذه المسألة أيضاً ما قاله **الشيخ أنور شاه الكشميري** في شرحه لأثر " وأنّا نتوسل إليك بعم نبينا " ونصه :

« قوله : «وأنّا نتوسل إليك بعم نبينا ، فأسقنا فيسقون ؛ قلت : وهذا توسل فعلى ، لأنه كان يقول له بعد ذلك : قم يا عباس فاستسق ، فكان يستسقى لهم ، فلم يثبت منه التوسل القولي ، أي الاستسقاء بأسماء

---

(١) "المهند على المفند" ص ٣٧ .

(٢) انظر مقالات الكوثري ص ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦ ، وذلك نقلاً من "الماتريدية" للشمس السلفي الأفغاني ، ٢٦١/٣ .

الصالحين فقط ، بدون شركتهم . أقول : وعند الترمذي أن النبي ﷺ علم أعرابياً هذه الكلمات ،وكان أعمى ، اللّهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة . . . ، إلى قوله : اللّهم فشفعه في ، فثبت منه التوسل القولي أيضاً ، وحينئذ إنكار الحافظ ابن تيمية تطاول.(١)

□ وهذه المسألة هي التي أشار إليها **الشيخ حسين أحمد المدني** في كتاب " الشهاب الثاقب " بقوله :

« إن أكابرنا يتوسلون(٢) دائماً بالأنبياء الكرام والأولياء العظام ، ويأمرون أتباعهم بذلك ،والذي يحرّمه الوهابية كالشرك ، وقد كتب الشيخ النانوتوي - رحمة اللّه عليه - قصيدة طويلة في توسل مشايخ السلسلة الجشتية الصابرية ، وهي مطبوعة ضمن كتاب " إمداد

---

(١) انظر " فيض الباري " ٤/٦٨ .

(٢) وقد ردّ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي على هذه الجملة فقال : «المبتدعون يتوسلون بالذوات ، وتوسلهم فاسد ، والموحدون يتوسلون إلى اللّه تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وبمحبتهم واتباعهم لرسوله الكريم ، ونصرهم لشريعته ، وتمسكهم بسنته ، وهذا هو التوسل الصحيح الذي علمنا إياه رسول اللّه ﷺ حين حكى لنا قصة أصحاب الغار وتوسل كل واحد من الثلاثة بعمله، فالأول :توسل إلى اللّه ببر الوالدين ، والثاني : توسل إلى اللّه بالتعفُّف عن الزنا ، والثالث : توسل إلى اللّه بالإحسان إلى الأجير . وهذا الحديث ثابت في «الصحيحين» من رواية عبد اللّه بن عمر ، وشجرة التصوف لا وجود لها في الكتاب والسنة ولا في سير الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ؛ فهي شجرة الزقوم طعام الأثيم ، إلا من وحد اللّه منهم واتبع الرسول ﷺ ؛ فعسى أن يغفر له اختراع هذا الاسم المبتدع » . [السراج المنير ص ٢٦] .

السلوك " وغيره من الرسائل الأخرى ».

ثم ذكر الشيخ المدني أبياتاً من هذه القصيدة ، وقال :

« هل الوهابية يرون استعمال هذه الكلمات؟

ويتبين للذي يتمعن في هذه القصيدة أن هؤلاء الأكابر يخالفون ويعارضون عقائد الوهابية أشد المعارضة ، فالوهابية لايجوز عندهم التوسل بالأنبياء فضلاً عن الأولياء ،ومن ثم فإن استعمال كلمة " بحق فلان " أكره عندهم من ذلك ، بل لا يجوز عندهم مثل هذا المدح والثناء ».

وقال أيضاً :

« وقد طبعت الوهابية عدة رسائل في هذا الموضوع ، صرحوا فيها بمنع التوسل بالرسول عليه السلام وبالأولياء الكرام ، ومن أراد أن يتأكد من ذلك فله أن يتأكد ».[1]

□ **كما سئل الشيخ السهارنفوري :**

« هل للداعي في المسجد النبوي أن يجعل وجهه إلى القبر المنيف ويسئل من المولى الجليل متوسلاً بنبيه الفخيم النبيل »؟[2].

---

(١) ملخصاً من " الشهاب الثاقب " ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) هذا هو السؤال السادس من كتاب "المهند على المفند " ، وأما السؤال الخامس وجوابه ، فقد سبق ذكره في مسألة حياة النبي ﷺ .

فأجاب عليه بقوله :

« المختار أن يستقبل وقت الزيارة مما يلي وجهه الشريف ﷺ ، وهو المأخوذ به عندنا وعليه عملنا وعمل مشائخنا ، وهكـذا الحكم في الدعاء ، كما روى عن مالك رحمه الله تعـالى لمـا سأله بعض الخلفـاء، وقد صرح به مولانا الكنكوهي في رسالته زبدة المناسك ، وأما مسئلة التوسل فقد مرت في نمـرة نمبر ٣،٤». [١]

□ **ويقول الشيخ شبير أحمد العثماني** في تفسيره لقوله تعالى : **﴿ولو لا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسّكم في ما أَفَضْتُمْ فيه عذابٌ عظيم﴾** الآية ، ما معناه :

« أي إن الله تعالى نجّى هذه الأمة من عذاب الدنيا بطفيل الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإلا لكان هذا الأمر يستحق العذاب». [٢]

ويقول في تفسيره لقوله تعالى : **﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً ﴾** الآية ، ما يلي :

« . . . . إن الخزائن الحاصلة بطفيل محمد ﷺ لأتباعه لتحصل لهم وليجود بها الرسول وأتباعه على

(١) انظر " المهند على المفند " ص ٤١ .
(٢) انظر تفسيره لسورة النور ، الآية : ١٤ ، ص ٤٦٩ ، هامش (١)

البشر ، ولا يبخلون بها ».[1]

● رأي كبار علماء أهل السنة في هذه المسألة ●

يقول سماحة الشيخ ابن باز - حفظه الله - في جوابه على سؤال وجّه إليه في حكم التوسل بالنبي ﷺ ، ما نصه :

« التوسل بالنبي ﷺ فيه تفصيل ، فإن كان ذلك باتباعه ومحبته وطاعة أوامره وترك نواهيه والإخلاص لله في العبادة فهذا هو الإسلام وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه ، وهو الواجب عل كل مكلف . . وهو الوسيلة للسعادة في الدنيا والآخرة ، أما التوسل بدعائه والاستغاثة به وطلبه النصر على الأعداء والشفاء للمرضى - فهذا هو الشرك الأكبر وهو دين أبي جهل وأشباهه من عبدة الأوثان ،وهكذا فعل ذلك مع غيره من الأنبياء والأولياء أو الجن أو الملائكة أو الأشجار أو الأحجار أو الأصنام . وهناك نوع ثالث يسمى التوسل وهو التوسل بجاهه ﷺ أو بحقه أو بذاته مثل أن يقول الإنسان : أسألك يا الله بنبيك أو جاه نبيك أو حق

---

(١) انظر تفسيره لسورة بني اسرائيل ، الآية : ١٠٠ ، ص ٣٩٠ ، هامش (٥) ولمزيد من الإطلاع على أسلوبه هذا انظر أيضاً : سورة الأحزاب ، الآية : ٤٧، ص ٥٦٣ ، ٥٦٤ ،هامش (١١) و سورة الأحزاب ، الآية : ٦ ، ص ٥٥٦ ، هامش (٦) وسورة الحديد ، الآية : ١٢ ، ص ٧١٥ ، هامش (٥) وغيرها من المواضع .

نبيك أو جاه الأنبياء أو حق الأنبياء أو جاه الأولياء والصالحين وأمثال ذلك فهذا بدعة ومن وسائل الشرك ولا يجوز فعله معه ﷺ ولا مع غيره ؛ لأن اللّٰه سبحانه وتعالى لم يشرع ذلك ، والعبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما دل عليه الشرع المطهر ، وأما توسل الأعمى به في حياته ﷺ فهو توسل به ﷺ ليدعو له ويشفع له إلى اللّٰه في إعادة بصره إليه ، وليس توسلاً بالذات أو الجاه أو الحق كما يعلم ذلك من سياق الحديث وكما أوضح ذلك علماء السنة في شرح الحديث.

وقد بسط الكلام في ذلك شيخ الإسلام أبوالعباس ابن تيمية رحمه اللّٰه في كتبه الكثيرة المفيدة ، ومنها كتابه المسمى : القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة ، وهو كتاب مفيد جدير بالاطلاع عليه والاستفادة منه.

وهذا الحكم جائز مع غيره ﷺ من الأحياء كأن تقول لأخيك أو أبيك أو من تظن فيه الخير : ادع اللّٰه لي أن يشفيني من مرضي أو يرد عليّ بصري أو يرزقني الذرية الصالحة أو نحو ذلك بإجماع أهل العلم . واللّٰه ولي التوفيق». (1)

وقال الشيخ ابن عثيمين في جوابه على سؤال وجّه إليه :

« واعلم أن المقصود بالزيارة أمران :

---

(1) فتاوى ابن باز ٣٢٢/٥ ، ٣٢٣ .

أحدهما : انتفاع الزائر بتذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ ، فإن هؤلاء القوم الذين هم الآن في بطن الأرض ، كانوا بالأمس على ظهرها ، وسيجري لهذا الزائر ما جرى لهم ، فيعتبر ويغتنم الأوقات والفرص ، ويعمل لهذا اليوم الذي سيكون في هذا المثوى الذي كان عليه هؤلاء.

وثانيهما : الدعاء لأهل القبور بما كان الرسول، ﷺ يدعو به من السلام وسؤال الرحمة ، وأما أن يسأل الأموات ويتوسل بهم فإن هذا محرم ومن الشرك ؛ ولا فرق في هذا بين قبر النبي ، ﷺ وقبر غيره، فإنه لا يجوز أن يتوسل أحد بقبر النبي عليه الصلاة والسلام، أو بالنبي ﷺ بعد موته ، فإن هذا من الشرك لأنه لو كان هذا حقاً لكان أسبق الناس إليه الصحابة - رضي الله عنهم - ومع ذلك فإنهم لا يتوسلون به بعد موته فقد استسقى عمر - رضي الله عنه - ذات يوم فقال : « **اللّهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا** » ثم قام العباس - رضي الله عنه - فدعا ، وهذا دليل على أنه لا يتوسل بالميت مهما كانت درجته ومنزلته عند الله - تعالى - وإنما يتوسل بدعاء الحي الذي ترجى إجابة دعوته ؛ لصلاحه واستقامته في دين الله - عزّ وجلّ - فإذا كان الرجل ممن عرف بالدين والاستقامة وتوسل بدعائه ، فإن هذا

لا بأس به كما فعل أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - ، وأما الأموات فلا يتوسل بهم أبداً ، ودعاؤهم شرك أكبر مخرج عن الملة ، قال الله - تعالى - : ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾.[1]

وقال أيضاً :

« أما التوسل الممنوع فهو أن يتوسل الإنسان بالمخلوق ، فإن هذا لا يجوز ، فالتوسل بالمخلوق حرام ، يعني لا بدعائه ولكن بذاته ، مثل أن تقول (اللّهم إني أسألك بمحمد ﷺ كذا وكذا) فإن هذا لا يجوز ، وكذلك لو سألت بجاه الرسول ﷺ فإنه لا يجوز ، لأن هذا المسبب لم يجعله الله ورسوله سبباً».[2]

هذا ، وقد وجهت إلى اللجنة الدائمة أسئلة في هذا الموضوع ومما أجابت اللجنة عليها :

« التوسل إلى الله في الدعاء بجاه الرسول ﷺ أو ذاته أو منزلته غير مشروع لأنه ذريعة إلى الشرك ، فكان البحث فيه لبيان ما هو الحق من مباحث العقيدة ، وأما التوسل إلى الله بأسمائه جل شأنه وبصفاته وباتباع رسوله والعمل بما جاء به من عقيدة وأحكام فهذا

---

(١) " مجموع فتاوى ابن عثيمين " ٢٤٣/٢ ، ٢٤٤ .

(٢) انظر " مجموع دروس وفتاوى الحرم المكي " ١٥٠/١ .

مشروع . وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم».[1]

« **أولاً** : التوسل إلى الله ببركة القرآن مشروع وليس شركاً.

ثانياً : التوسل ببركة بعض المخلوقين مثل النبي ﷺ من البدع المنكرة ، لأن التوسل من العبادات التوقيفية ولم يثبت في الشرع المطهر ما يدل على جوازه في المخلوقين أو حقهم أو جاههم أو بركتهم ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** ».[2]

★ ★ ★

---

(١) انظر تفصيل السؤال والجواب في " فتاوى اللجنة الدائمة " ٣٤٧/١ .

(٢) انظر التفصيل في " فتاوى اللجنة الدائمة " ٣٤٨/١ ، وراجع أيضاً للتفصيل في هذا الموضوع المصدر السابق ص ٣٤٨ - ٣٥٤ .

رؤية الرسول ﷺ في اليقظة رأي العين

يرى علماء ديوبند أنه يمكن زيارة النبي ﷺ ورؤيته في اليقظة رأي العين ، ويذكرون في هذا الصدد قصصاً ووقائع حصلت لأكابرهم ومشايخهم ، ونقدم فميا يلى بعضاً منها :

□ **يقول الحاج إمداد الله المكي :**

« كان الشيخ قلندر يتشرف بزيارة رسول الله ﷺ كل يوم ، إذ لطم ولداً كان من الأشراف ، فانقطعت عنه هذه الزيارة ، فراجع مشايخ المدينة ، فأحالوه إلى إمرأة من المجاذيب وكانت من أولياء الله ، فلما دخلت هذه المرأة في المسجد النبوي وعرض عليها الشيخ قصته تحمست وأخذت بيده وقالت : شف هذا رسول الله ﷺ فرأى الشيخ قلندر رسول الله ﷺ في اليقظة رأي العين . . . »[1]

□ **ويقول الشيخ أشرف علي التانوي في كتابه :**

« تحدى الروافض مرة الشيخ النانوتوي وقالوا : لئن أريتنا رسول الله ﷺ في اليقظة ، وشهد لك الرسول ﷺ بالصدق ، اعتنقنا عقيدة أهل السنة والجماعة ، فقال الشيخ : أعطوني موثقاً من الله ،

---

(١) راجع للتفصيل " شمائم إمدادية " ٧٥/٢ .

ولأرينكم رسول الله ﷺ في اليقظـة ، فتردد الروافض».[1]

ثم قال الشيخ التانوي معلقاً على هذه القصة :

« قال الشيخ ذلك إما لكونه متمكناً من مثل هذا التصرف ، وإما لثقته بقوله عليه السلام (لو أقسم على الله لأبره) ».[2]

وذكر الشيخ التانوي أيضاً في كتابه قال :

« يقول ديوان محمد ياسين - وكان من خدام الشيخ النانوتوي رحمة الله عليه - كنت مشغولاً بالذكر تحت القبة الشمالية في مسجد " چهته " وكان الشيخ النانوتوي رحمة الله عليه ، مراقباً في صحن المسجد في الجهة الشمالية نفسها ، وكان متوجهاً إلى قلبي ، إذ طرأت عليّ حالة خاصة ، ورأيت وأنا في حالة الذكر ، أن غاب سقف المسجد وقبته ، مع بقاء جدرانه، وأن نوراً عظيماً في الفضاء ممتد إلى السماء ، إذ رأيت عرشاً ينزل من السماء ، وعليه الرسول ﷺ ، والخلفاء الأربعة على الزوايا الأربعة ، نزل العرش حتى استقر قريباً مني في المسجد ، فقال الرسول ﷺ لأحد خلفاءه : اذهب وآت بالشيخ محمد قاسم ، فذهب وأتى به ، فطلب الرسول ﷺ من الشيخ محمد قاسم

(١، ٢) " أرواح ثلاثة " ص ٢٨٤ .

حساب المدرسة ، فقدم الشيخ حساب المدرسة بكل دقة، ففرح الرسول ﷺ بهذا فرحاً شديداً وأذن له بالذهاب ، ثم صعد العرش إلى السماء وغاب عن الأنظار »[1]

ثم يقول الشيخ التانوي معلقاً على هذه القصة :

« إن هذه الواقعة كانت نوعاً من الكشف ، والذي يحتمل أن يكون قد حصل بتوجه الشيخ ، ولعل تعبير هذه الواقعة هو أن يرى صاحبها ما رأى فيها من تدقيقه ﷺ لحساب المدرسة حتى يطمئن الذين كان في قلوبهم شك حول ذلك ، وأما المعاندون فمن دأبهم التشكيك حتى في الوحي ».[2]

□ **ويقول الشيخ عاشق إلهي الميرتي في تذكرة حياة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ما معناه :**

« إن رجلاً بايع الشيخ (رشيد أحمد الكنكوهي) عن طريق الرسالة واشتغل بالذكر ، وخلال أيام حصل له اللقاء مع أرواح أولياء السلاسل الطيبة ، ثم اللقاء مع أرواح الأنبياء الطيبة - عليهم السلام - وبالتدرج بدأ يشعر كأن سائر أعضاء جسده حتى عروقه وشعراته مرتبطة بتلك الأرواح ، إذ طرأ عليه حال السكر ، التي

---

(١) انظر " أرواح ثلاثة " ص ٤٣٤ .
(٢) انظر " أرواح ثلاثة " ص ٤٣٤ .

انكشفت له فيها المغيبات ، وتشرف بحراسة مجلس الرسول ﷺ ».[1]

□ **هذا ، وقد ذكر الخواجه عزيز الحسن المجذوب** في تذكرة حياة الشيخ أشرف علي التانوي ما معناه :

« كان في مدينة " كانفور " درويشاً شهيراً ومعتمداً عليه ، يُدعىٰ بـ " حضرت شاه غلام رسول " ، ويلقب بـ " رسول نما "[2] ، لأنه بتصرفه كان يزور بالناس لرسول ﷺ وفي اليقظة ».[3]

والقصص في هذا الموضوع كثيرة ، رواها علماء ديوبند عن كبارهم ومشايخهم ، ومن أراد المزيد فعليه أن يراجع كتبهم ومؤلفاتهم ، مثلاً "شمائم إمدادية " و " أرواح ثلاثة " وغيرهما .

□ **ثم إن الشيخ أنور شاه الكشميري** قد فصّل في هذا الموضوع ، وصرح بإمكان رؤيته ﷺ في اليقظة ، وأنها رؤية متحققة ، وإنكارها جهل، وجآء لذلك بروايات وحكايات وتأويلات غريبة ، وفيما يلى النص بكامله :

« ثم التحقيق أن رؤيته ﷺ لايتعين في رؤية عين الذات المباركة فإن الأحوال في رؤية الشخص مختلفة فربما نرى شخصاً من الأحياء ولا يكون له علم برؤيتنا ولو كان في المنام عين ما في الخارج لكان عنده شعور

---

(١) " تذكرة الرشيد " ١٤٣/٢ .

(٢) (رسول نما) أي شبيه الرسول . [الناشر]

(٣) انظر : " أشرف السوانح " ١٢٩/١ .

بها ، فالمرئي إذا والله تعالى أعلم قد يكون صورة مخلوقة لله تعالى على مثال تلك الصورة أي أنه تعالى يخلق حقيقة على مثال صورته وروحانيته أرانا إياها وأوقع في نفسنا مخاطبتها إياها ، وقد تكون روحه المباركة بنفسها مع البدن المثالي. ثم قد تكون يقظة أيضاً كما أنها قد تكون مناماً ، ويمكن عندي رؤيته ﷺ يقظة لمن رزقه الله سبحانه كما نقل عن السيوطي رحمه الله تعالى (وكان زاهداً متشدداً في الكلام على بعض معاصريه ممن له شأن) أنه رآه ﷺ اثنين وعشرين مرة وسأله عن أحاديث ثم صححها بعد تصحيحه ﷺ، وكتب إليه الشاذلي يستشفع به ببعض حاجته إلى سلطان الوقت وكان يوقّره فأبى السيوطي رحمه الله تعالى أن يشفع له وقال إني لا أفعل وذلك لأن فيه ضرر نفسي وضرر الأمة لأني زرته ﷺ غير مرة ولا أعرف في نفسي أمراً غير أني لا أذهب إلى باب الملوك فلو فعلت أمكن أن أحرم من زيارته المباركة فأنا أرضى بضررك اليسير من ضرر الأمة الكثير. والشعراني رحمه الله تعالى أيضاً كتب أنه رآه ﷺ وقرأ عليه البخاري في ثمانية رفقة معه ثم سماهم وكان واحد منهم حنفياً وكتب الدعاء الذي قرأه عند ختمه. فالرؤية يقظة متحققة وإنكارها جهل . ثم عند مسلم في لفظ آخر «فسيراني في اليقظة » ولعله حديث آخر ومضمون آخر يقتصر على حياته ﷺ وفيه تبشير بالصحابية لمن كان

رآه في المنام ولكن الراوى شك فيه وقال أو فكأنما رآني، فوقع التردد في أنهما حديثان أو واحد. ونقل العيني رحمه اللّه تعالى فيه زيادة أخرى « فإني أرى في كل صورة » وهي تضر الطائفة الأولى فإنها تشعر بالتعميم وأن لاتخصيص بحلية دون حلية. أقول وظاهر حديث البخاري يومئذ الطائفة الأولى سيما إذا كان من لفظه فإن الشيطان لايتكونني ، وحينئذ صرف هذه الزيادة عن ظاهرها أولى فإنها لاتوازى حديث البخاري وشرحها عندي دفع استبعاد : وهو أن النبي ﷺ إذا كان في المنام هو ولم يتمكن الشيطان من تمثله فكيف تكون رؤيته في زمان واحد لأشخاص عديدة في أمكنة كذلك ، والجواب أنه ممكن لأنه يرى في كل صورة أما أن تلك صورة مثالية أو عينه ﷺ فهو تابع لمنامه قد تكون كذا وقد تكون كذا [1] .

● رأي علماء السنة في هذه المسألة ●

وفي نهاية هذا المبحث نقدم رأي أهل السنة في هذه المسألة بكل اختصار ، وذلك بتقديم جواب اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على سؤال وجه إليها ، وفيما يلى نص السؤال والجواب :

السؤال : هل صحيح أن النبي ﷺ يمكن أن يُرى

---

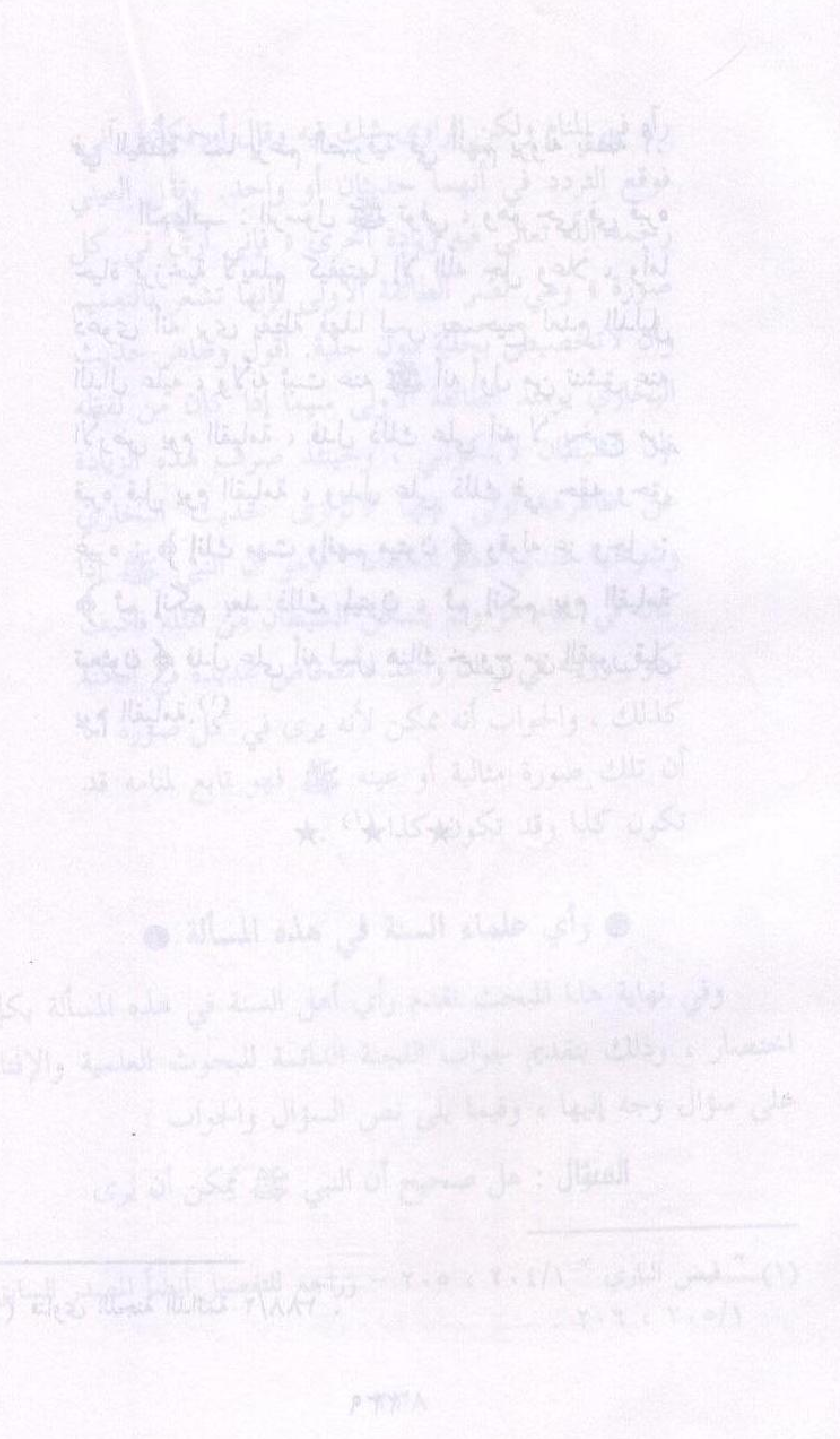
(١) " فيض الباري " ٢٠٤/١ ، ٢٠٥ - وراجع للتفصيل أيضاً المصدر السابق ٢٠٥/١ ، ٢٠٦ .

في اليقظة كما يزعم الصوفية في أنهم يرونه يقظة ؟.

الجواب : الرسول ﷺ توفي ، وهو حي في قبره حياة برزخية لايعلم كيفيتها إلا الله جل وعلا ، وأما دعوى أنه يرى يقظة فهذا ليس بصحيح لعدم الدليل الدال عليه ، ولأنه ثبت عنه ﷺ أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، فدل ذلك على أنه لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ، ويدل على ذلك في حقه وحق غيره : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ **ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾ فدل على أنه ليس هناك خروج من القبور قبل يوم القيامة.[1]

★ ★ ★

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/١٨٨ .



[illegible]

موقع التردد في أنهما حديثان أو واحد ، وقال [illegible]

[illegible]

كذلك ، والجواب أنه ممكن لأنه يرى في كل صورة ، أي أن تلك صورة مثالية أو عينه ﷺ فهو تابع لمنامه قد تكون كذا وقد تكون كذا[1] .

★ ★ ★

رأي علماء السنة في هذه المسألة

وفي نهاية هذا البحث نقدم رأي أهل السنة في هذه المسألة بكل اختصار ، وذلك بتقديم جواب اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على سؤال وجه إليها ، وفيما يلي نص السؤال والجواب :

السؤال : هل صحيح أن النبي ﷺ يمكن أن يرى

---

(1) فتح الباري ١٢/٤٠٤ ، ٤٠٥ ، [illegible]
١/٢٠٥ ، ٢٠٦ .

الرحمن على العرش استوى

□ سئل الشيخ السهارنفوري :

« ما قولكم في أمثال قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ هل تجوّزون إثبات جهة ومكان للباري تعالى أم كيف رأيكم فيه؟ »[١].

فأجاب عليه بقوله :

« قولنا في أمثال تلك الآيات أنّا نؤمن بها ولا يقال كيف ، ونؤمن بالله سبحانه وتعالى متعال ومنزه عن صفات المخلوقين وعن سمات النقص والحدوث كما هو رأي قدمائنا ، وأما ما قال المتأخرون من أئمتنا في تلك الآيات يأولونها بتأويلات صحيحة سائغة في اللغة والشرع بأنه يمكن أن يكون المراد من الإستواء الإستيلاء ومن اليد القدرة إلى غير ذلك تقريباً إلى أفهام القاصرين فحق أيضاً عندنا ، وأما الجهة والمكان فلا يجوز إثباتهما له تعالى ونقول إنه تعالى منزه ومتعال عنهما وعن جميع سمات الحدوث ».[٢]

□ وقال الشيخ أنور شاه الكشميري ما نصه :

« الأسماء الحسنى عبارة عن الإضافات عند

---

(١) هذا هو السؤال الثالث عشر والرابع عشر من كتاب "المهند".
(٢) انظر "المهند" ص ٤٧ .

الأشاعرة أما عند الماتريدية[1] فكلها مندرجة في صفة التكوين ».[2]

□ وهذه المسألة هي التي أشار إليها **الشيخ حسين أحمد المدني** بقوله :
– وهو يفتري على أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأسلوبه الخاص –

« إن الطائفة الوهابية تثبت الجهة والإستواء الظاهري في آية : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وغيرها من الآيات في هذا الموضوع ، ما يؤدي إلى التجسيم ، وأما أكابرنا الأجلاء ففي مثل هذه الآيات والأحاديث إما يتوقفون فيها عن التجسيم وسمات الحدوث كالسلف الصالح ،وإما يأولونها بتأويلات سائغة كالخلف ».[3]

□ **ويقول ملا علي القاري الحنفي** في شرح الفقه الأكبر :

« وأما علوه تعالى على خلقه المستفاد من نحو قوله تعالى : ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾ فعلو مكانة ومرتبة ، لا علو مكان ،كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة ، بل وسائر طوائف الإسلام من المعتزلة والخوارج وسائر أهل البدعة إلاطائفة من المجسمة وجهلة

(١) لا يخفى على القارى أن الديوبندية من الماتريدية [انظر ما ذكرناه في مقدمة هذا الكتاب] .
(٢) " فيض الباري " ٥١٧/٤ .
(٣) " الشهاب الثاقب " ص ٦٤ .

من الحنابلة القائلين بالجهة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . . .»[1]

□ **هذا ويقول الشيخ محمود الحسن** - الملقب بشيخ الهند لدى طائفته في ترجمته لقوله تعالى : ﴿ **ولله المشرق والمغرب ، فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ الآية ، ما معناه :

« فأينما تولوا وجوهكم فالله متوجه هناك ...»[2]

□ **ويقول الشيخ شبير أحمد العثماني** في تفسيره للآية المذكورة ما ترجمته :

« هذا مما اختلف فيه اليهود والنصارى ، فكان كل واحد منهما يفضّل قبلته على قبلة الآخر ، فقال تعالى : إن الله ليس مختصّاً بجانب ، وإنما هو منزّه من كل مكان ومن كل جهة ، إلا أنه متوجه في أي مكان تولون وجوهكم نحوه بأمره تعالى ، ويقبل منكم عبادتكم[3] .

● رأي كبار علماء السنة في هذه المسألة ●

سئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن قول بعض الناس إذا سئل "**أين الله**" قال : "الله في كل مكان" أو "موجود" فهل هذه

---

(١) "شرح الفقه الأكبر" ص ١٣٩ .

(٢) انظر ترجمته لمعاني القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية : ١١٥.

(٣) انظر تفسيره لسورة البقرة ، الآية : ١١٥ ، ص ٢٢ ، هامش (٧) .

الإجابة صحيحة على إطلاقها ؟ فأجاب بقوله :

« هذه إجابة باطلة لا على إطلاقها ولا تقييدها فإذا سئل أين الله ؟ فليقل : « **في السماء** » ، كما أجابت بذلك المرأة التي سألها النبي ، ﷺ ، « **أين الله؟** » قالت : في السماء .

وأما من قال : «موجود» فقط. فهذا حيدة عن الجواب ومراوغة منه.

وأما من قال : « **إن الله في كل مكان** » وأراد بذاته فهذا كفر لأنه تكذيب لما دلت عليه النصوص ، بل الأدلة السمعية ، والعقلية ، والفطرية ، من أن الله – تعالى – عليٌّ على كل شيء وأنه فوق السماوات مستوٍ على عرشه ».(1)

كما سئل فضيلته عن تفسير استواء الله – عزوجل – على عرشه بأنه علوه – تعالى – على عرشه على ما يليق بجلاله ؟ فأجاب بقوله :

« تفسير استواء الله – تعالى – على عرشه بأنه علوه – تعالى – على عرشه على ما يليق بجلاله هو تفسير السلف الصالح. قال ابن جرير إمام المفسرين في تفسيره « من معاني الاستواء : العلو والارتفاع كقول القائل : استوى فلان على سريره يعني علوه عليه » .

---

(1) " فتاوى ابن عثيمين " ١٣٢/١ ، ١٣٣ .

وقال في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ « يقول جل ذكره : الرحمن على عرشه ارتفع وعلا». ا . هـ . ولم ينقل عن السلف ما يخالفه.

ووجهه : أن الاستواء في اللغة يستعمل على وجوه :

الأول : أن يكون مطلقاً غير مقيد فيكون معناه الكمال كقوله - تعالى - : ﴿ **ولما بلغ أشده واستوى**﴾.

الثاني : أن يكون مقروناً بالواو فيكون بمعنى التساوي . كقولهم : استوى الماء والعتبة .

الثالث : أن يكون مقروناً بإلى فيكون بمعنى القصد كقوله - تعالى - : ﴿ **ثم استوى إلى السماء**﴾.

الرابع : أن يكون مقروناً بعلى فيكون بمعنى العلو والارتفاع كقوله - تعالى - : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾.

وذهب بعض السلف إلى أن الاستواء المقرون بإلى كالمقرون بعلى ، فيكون معناه الإرتفاع والعلو ، كما ذهب بعضهم إلى أن الاستواء المقرون بعلى بمعنى الصعود والاستقرار إذا كان مقروناً بعلى.

وأما تفسيره بالجلوس فقد نقل ابن القيم في الصواعق ١٣٠٣/٤ عن خارجة بن مصعب في قوله - تعالى - : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قوله : «وهل يكون الاستواء إلا الجلوس » . ا . هـ. وقد ورد ذكر الجلوس في حديث أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً. والله أعلم.[١]

★ ★ ★

(١) " فتاوى ابن عثيمين " ١٣٤/١ ، ١٣٥ - هذا ، ولمزيد من الإطلاع على موقف أهل السنة من أسماء الله وصفاته - جلّ وعلا - راجع « فتاوى ابن عثيمين ١١٥/١ - ٢٠٠ ، وأما لموضوع الإستواء فراجع ص ١٢٥ - ١٤٢».

محمد بن عبدالوهاب
وأتباعه فرقة من الخوارج

□ سئل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

« قد كان محمد بن عبدالوهاب النجدي يستحل دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ،وكان ينسب الناس كلهم إلى الشرك ويسب السلف ، فكيف ترون ذلك ، وهل تجوّزون تكفير السلف والمسلمين وأهل القبلة أم كيف مشربكم؟»[1]

وأجاب عليه السهارنفوري قائلاً :

« الحكم عندنا فيهم ما قال صاحب الدر المختار ، خوارج هم قوم لهم منعة خرجوا عليه بتأويل ، يرون أنه على باطل كفراً ومعصية ، توجب قتاله ، بتأويلهم يستحلون دمائنا وأموالنا ويسبون نسائنا إلى أن قال وحكمهم حكم البغاة ، ثم قال : وانما لم نكفرهم لكونه عن تأويل وإن كان باطلاً ، وقال الشامي في حاشيته : كما وقع في زماننا في أتباع عبدالوهاب[2] الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين ،وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة ، لكنهم اعتقدوا أنهم هم

---

(١) هذا هو السؤال الثاني عشر من كتاب " المهند " .
(٢) يريد به الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وهذا مبلغهم من العلم .

المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون ،واستباحوا بذلك قتل أهل السنة وقتل علمائهم ، حتى كسر الله شوكتهم. ثم أقول ليس هو ولا أحد من أتباعه وشيعته من مشائخنا في سلسلة من سلاسل العلم من الفقه والحديث والتفسير والتصوف ، وأما استحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فإما أن يكون بغير حق أو بحق ، فإن كان بغير حق فإما أن يكون من غير تأويل فكفر وخروج عن الإسلام ، وإن كان بتأويل لا يسوغ في الشرع ففسق ، أما إن كان بحق فجائز بل واجب . وأما تكفير السلف من المسلمين فحاشا أن نكفر أحداً منهم ، بل هو عندنا رفض وابتداع في الدين ؛ وتكفير أهل القبلة من المبتدعين فلا نكفرهم ما لم ينكروا حكماً ضرورياً من ضروريات الدين ، فإذا ثبت إنكار أمر ضروري من الدين نكفرهم ونحتاط فيه ، وهذا دأبنا ودأب مشايخنا ، رحمهم الله تعالى ».[1]

وقال في موضع آخر :

« إن أحمد رضا خان البريلوي يكفر علماء الأمة كما كفّرهم الوهابية أتباع محمد بن عبدالوهاب ، خذله الله تعالى كما خذلهم».[2]

---

(١) "المهند" ص ٤٧ .
(٢) "المهند" ص ٧٥ .

□ وقال الشيخ أنور شاه الكشميري :

« وأما محمد بن عبدالوهاب النجدي فإنه كان رجلاً بليداً [1] قليل العلم ، فكان يتسارع إلى الحكم بالكفر ، ولا ينبغي أن يقتحم في هذا الوادي إلا من

---

(١) يقول الشيخ حمود بن عبدالله التويجري - رحمه الله - في كتابه رداً على هذه الفرية ، ما نصه :

« والجواب أن يقال : إن البلادة حقاً ما كان عليه أنور شاه من التمسك بالطريقة الجشتية ، التي هي من بدع الصوفية ، وجعلها عقيدة له بدلاً من عقيدة أهل السنة والجماعة الموروثة عن النبي ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم.

وهذه العقيدة الصحيحة هي التي كان عليها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه رحمة الله عليهم ؛ فقد كانوا متمسكين بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من التوحيد والسنة ،وكانوا يدعون إلى التمسك بهذا الأصل العظيم ، وينكرون على من خالفه من المشركين وأهل البدع والأهواء ويحذّرون منهم ومن طرقهم المخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

ومن نظر في كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه ورسائلهم، وكان من أهل العلم والعدل والإنصاف ؛ علم يقيناً أنهم كانوا في غاية من النباهة والتيقظ والإتقان والتمسك بما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة العلم والهدى من بعدهم ، وعلم أيضاً أنهم كانوا متصفين بسعة العلم ، وخصوصاً فيما يتعلق بأصول الدين وفروعه ، ولا عبرة بما يقوله أهل البدع والأهواء فيهم ، وما يختلقونه من الإفك والبهتان الذي يقصدون به السب والتنقص لهم ؛ فإن أهل البدع والأهواء لا أمانة لهم ، وليس عندهم من الدين والآداب الحسنة ما يردعهم عن الوقيعة في أهل التوحيد والسنة ورميهم بالعيوب التي ليست فيهم. ولقد أحسن الشاعر حيث يقول : =

يكون متيقظاً متقناً عارفاً بوجوه الكفر وأسبابه ».[1]

= حَسَدُوا الفَتى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالقَوْمُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصومُ
كَضَرائِرِ الحَسْناءِ قُلْنَ لِوَجْهِها حَسَداً وَبَغْياً إِنَّهُ لَدَمِيمُ

وهذا الشعر مطابق لحال أنور شاه مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب غاية المطابقة ؛ فإن أنور شاه قد حمله الحسد لشيخ الإسلام والبغي عليه على السب والوقيعة فيه وعيبه بالعيوب التي ليس فيه فصار مثل أنور شاه كمثل ضرائر الحسناء اللاتي يعبن وجهها الحسن بالدمامة.

ومما يطابق حال الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحال أنور شاه أيضاً قول الشاعر :

لا يَضُرُّ البَحْرَ أَمْسَى زَاخِراً أَنْ رَمَى فِيهِ غُلامٌ بِحَجَر

وهذا البيت ينطبق شطره الأول على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وينطبق شطره الأخير على أنور شاه.

وإذا عُلِمَ هذا ؛ فليعلم أيضاً أن كثيراً من علماء الدين في غير البلاد النجدية قد شهدوا أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد أظهر التوحيد وجدد الدين ودعا إليه ، واعترفوا بعلمه وفضله وهدايته ، وأثنوا عليه نظماً ونثراً ،واعترف أيضاً كثير من العقلاء من كتاب النصارى ومؤرخيهم أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه أرادوا تجديد الإسلام وإعادته إلى ما كان عليه في الصدر الأول.

وقد ذكرت جملة مما قيل في ذلك من النظم والنثر في كتابي المسمى " إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة " ؛ فليراجع هناك ؛ فإنه مهم جداً ، وفيه أبلغ رد على أنور شاه وعلى غيره من المفترين على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلى أتباعه والقائلين فيهم من النقائص والعيوب بما ليس فيهم ،وسيجتمع الجميع عند حكم عدل ، يأخذ للمظلومين حقوقهم من الظالمين ، ﴿ **و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾. [انظر " القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ " للشيخ التويجري ، ص ١٠٦ - ١٠٨] .

(١) انظر " فيض الباري على صحيح البخاري " ١٧١/١ .

□ **وقال الشيخ محمد التانوي**[1] في تعليقه على سنن النسائي في شرح حديث أبي سعيد الخدري عن ظهور الخوارج ،والذي جاء فيه : «فقال رسول الله ﷺ : **إن من ضئضئي هذا قوماً يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد** » الحديث .

فقال الشيخ التانوي - شرحاً لهذا الحديث - ما يلي نصه :

« . . . ثم ليعلم أن الذين يدينون دين ابن عبدالوهاب النجدي ويسلكون مسالكه في الأصول والفروع ، ويدعون في بلادنا باسم الوهابيين وغير المقلدين ، ويزعمون أن تقليد أحد الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم شرك ، وأن من خالفهم هم المشركون ، ويستبيحون قتلنا أهل السنة وسبي نسائنا ، وغير ذلك من العقائد الشنيعة التي وصلت إلينا منهم بواسطة الثقات وسمعناها بعضاً منهم أيضاً ، هم فرقة من الخوارج ، وقد صرح به العلامة الشامي في كتابه " رد المحتار" عند قول صاحب " الدر المختار" : ويكفرون

---

(١) أحد العلماء المشهورين ، ولد ونشأ بقرية «تهانه» من أعمال « مظفر نكر » بالهند وقرأ على مولانا عبدالرحيم التانوي والشيخ قلندر بخش الجلال آبادي ، وأخذ العلوم المتعارفة عن الشيخ مملوك العلى النانوتوي ، والحديث عن الشيخ اسحاق الدهلوي ، كما أخذ الطريقة عن الشيخ نور محمد الجهنجهانوي ، ولي التدريس ببلدة «طوك» إلى مدة مديدة ثم رجع إلى بلدته وصرف عمره في الإرشاد والتلقين ، له مصنفات وتعليقات على بعض الكتب ، توفي عام ١٢٩٦هـ [ملخصاً من " نزهة الخواطر " ٤٢٢/٨] .

اصحاب نبينا ﷺ ، في كتاب البغاة ، حيث قال : قد علمت أن هذا غير شرط في مسمى الخوارج ، بل هو بيان لمن خرجوا على سيدنا علي رضي الله عنه ، وإلا فيكفي فيهم اعتقاد كفر من خرجوا عليه ، كما وقع في زماننا في أتباع ابن عبدالوهاب الذي خرجوا من نجد وتغلبوا عل الحرمين ، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة ، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون ، وأن من خالف اعتقادهم مشركون ، واستباحوا بذلك قتل أهل السنة وقتل علمائهم ، حتى كسر الله شوكتهم وخرب بلادهم وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتين وألف».(١)

□ وقال الشيخ حسين أحمد المدني :

« إن محمد بن عبدالوهاب النجدي ظهر في بداية القرن الثالث عشر من نجد العرب ، وبما أنه كان يحمل معه أفكاراً باطلة وعقائد فاسدة فقتل وقاتل أهل السنة والجماعة ، وما زال يكرههم على معتقداته ويستحل أموالهم ، وعدّ قتلهم موجباً للأجر والرحمة ، وآذى أهل الحجاز وبخاصة سكان الحرمين إيذاءاً شديداً، كما تفوه في شأن السلف الصالح وأتباعهم بكلمات هي في غاية الشناعة والوقاحة ، حتى اضطر

(١) انظر حاشيته على سنن النسائي ، كتاب الزكاة ، باب المؤلفة قلوبهم ١/٣٥٩ - ٣٦٠ .

الكثير منهم إلى مغادرة مكة والمدينة فراراً من إيذائه ، واستشهد على يده وأيدي جيوشه آلاف من الرجال المسلمين . والحاصل أنه كان رجلاً ظالماً عاصياً فاسقاً سفاكاً ، ومن أجل ذلك مازالت للعرب ولاتزال عداوة قلبية معه ومع أتباعه بحيث لا يبغضون اليهود ولا النصارى ولا الهندوس كما يبغضون الوهابيين».[1]

وزاد قائلاً :

« وكان محمد بن عبدالوهاب يعتقد بأن كافة أهل العالم وجميع مسلمي بلاد العرب كافرون

---

(١) الشهاب الثاقب" ص ٤٢ .
يقول الدكتور الهلالي بعد ذكره لهذه العبارة من كتاب المدني :
« هذا كلام شيطان رجيم ، جاحد للحق ، ناصر للباطل ،وقد أكذبه الله وأظهر للناس جميعاً مخرفته ، فبارك في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى انتصرت وشاعت وذاعت في كل مكان ، وهي مطابقة لكتاب الله وسنة رسوله ، وزعمه أن دعوة الشيخ كان فيها أذى لأهل الحجاز كذب وزور ؛ فإن أهل الحجاز هم الذي منعوا أهل نجد من الحج اثنتي عشرة سنة ، إلى أن جاء نصر الله ، ووقعت الحرب بين أهل الحق وأهل الباطل ، فانهزم أهل الباطل في وقت قصير جداً ، وكانت الدولة لأهل التوحيد ، وهذا الأمر شاهدته أنا بنفسي.
فإن كان هدم القباب والقضاء على الأوثان فيه أذى للمشركين ؛ فلا زالوا في أذى ؛ فإن هدم القبور المبنية وإبطال عبادتها هو الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ ». [السراج المنير ، ص ٢٣ ، ٢٤ ملخصاً] .
كما ردّ على عبارة المدني المذكورة بكل مافيها من أباطيل وأقاويل مكذوبة الشيخ حمود التويجري في كتابه [راجع للتفصيل : القول البليغ ص ٧٧-٧٩] .

ومشركون ، وأن قتلهم وقتالهم ونهب أموالهم جائز بل واجب ».[1]

☐ هذا ، وقد وجّه إليه **الشيخ رياض أحمد القاسمي** - من سكان مدينة لاهور - أسئلة ، أولها ما يلي :

« هل كتاب " الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب " ضد الوهابية والبريلوية من مؤلفاتك؟»[2]

وأجاب الشيخ المدني عن هذا السؤال قائلاً :

« إن كتاب " الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب" من مؤلفاتي ، وهو أول كتاب صنفته رداً على مولانا أحمد رضا خان البريلوي ، وأوردت فيه ذكر الوهابية تبعاً ، وغرضي بذلك هو إظهار أن علمائنا ليسوا على الإفراط ولا على التفريط ،وإنما يسلكون مسلكاً وسطاً ،وأن أهل السنة والجماعة هم الأتباع الصادقون للأسلاف الكرام».[3]

☐ والسؤال الثاني الذي وجهه السائل إلى المدني هو ما يلي :

« هل اليوم أيضاً أنت على نفس الموقف الذي أبديته في ذلك الكتاب أم رجعت عنه؟ وهل ترى

---

(١) " الشهاب الثاقب " ص ٤٣ .
(٢) انظر " مكتوبات شيخ الإسلام " لمرتبه نجم الدين الإصلاحي ، ٣٤٣/٢ .
(٣) انظر " مكتوبات شيخ الإسلام " ٣٤٣/٢ .

المرحوم محمد بن عبدالوهاب خارجياً أم عالماً متبعاً للسنة؟ كما ذكره شيخك مولانا رشيد أحمد الكنكوهي - رحمة الله عليه - في فتاواه . . .»[1]

فأجاب عنه الشيخ المدني قائلاً :

« نعم ، اليوم أيضاً أنا على نفس الموقف الذي ذكرته في ذلك الكتاب (الشهاب الثاقب) وهو موقف أسلافي الكرام ، ولست أنا أول من كتبت ذلك في محمد بن عبدالوهاب وجماعته ، بل وقد صرح به العلامة الشامي - رحمه الله - على صفحة (٣٣٩) من الجزء الثالث من كتابه "رد المحتار حاشية در مختار" ، وهو كتاب يستند إليه ويفتي به في الفقه الحنفي.

ولما كان صاحب "رد المحتار" العلامة الشامي - رحمه الله - من سكان تلك المنطقة ومن معاصري ذلك الزمن ، وكان قد سافر حاجاً إلى مكة المعظمة أيام سيطرة جماعة محمد بن عبدالوهاب على الحجاز عام ١٢٣٣هـ[2] ، كما صرح بذلك على صفحة (٦٧٤) من الجزء الأول من كتابه ، فهو أعلم بأحوال محمد بن عبدالوهاب وجماعته أكثر ممن كان بعيداً منهم أو متأخراً عن عصرهم ؛ وأما مولانا الكنكوهي - قدس

---

(١) انظر "مكتوبات شيخ الإسلام" ٣٤٣/٢ .

(٢) كذا في الأصل .

سره العزيز - فإنه من أبعد المتأخرين عنهم ومن سكان الهند ، فليس له إلمام تام بأحوال هذه الجماعة. كما صرح بذلك على صفحة (٦٤) من فتاواه المعروفة بفتاوى رشيدية.

وأما ما كتب على صفحة (٨) من فتاواه في تحسين محمد بن عبدالوهاب وجماعته ، فإن مداره على الأقوال المسموعة الشائعة فقط. وقد كان مولانا الكنكوهي يعتمد كثيراً على كتاب الشامي هذا ، بل ومعظم فتاواه مأخوذة منه».[١]

كما أن هناك مكتوب آخر للشيخ المدني ، صرح فيه بأن أتباع محمد بن عبدالوهاب أراقوا دماء المسلمين أنهاراً في الحرمين الشريفين خلال فترة ١٢٢٠هـ - ١٢٣٣هـ ؛ حيث قال تعليقاً على تعليمات الأستاذ المودودي وأنها جاءت بنتائج سيئة :

« ألم يكن من نتائج مثل هذه التعليمات ، ما ظهر من الخوارج في نهروان وغيرها من سفك دماء المسلمين، وأتباع عليّ ومعاوية رضي اللّه عنهما ، وما أحدثه أتباع محمد بن عبدالوهاب النجدي من سفك دماء المسلمين أنهاراً في الحجاز ،مكمة المعظمة والمدينة المنورة خلال فترة ١٢٢٠هـ - ١٢٣٣هـ. ففي رد المحتار حاشية در مختار للشامي (٣٣٩/٣) : كما وقع في

---

(١) " مكتوبات شيخ الإسلام " ٣٤٣/٢ ، ٣٤٤ .

زماننا في أتباع محمد بن عبدالوهاب الذي خرجوا من نجد (وتغلبوا على الحرمين) وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة ، لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون ،واستباحوا بذلك قتل أهل السنة وقتل علمائهم ، حتى كسر الله شوكتهم وخرب بلادهم وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتين وألف» اهـ.

وما ظهر من «الغطغط» و«الدخنة» في صورة قتل المسلمين ونهب أموالهم أيام سيطرة ابن سعود ، حتى عجز ابن سعود من هذه القبائل وقوض قواتهم ، فكان كل ذلك نتائج لمثل هذه التعليمات التي يقوم بها اليوم أتباع الأستاذ المودودي».[١]

□ نماذج أخرى من طعونات المدني[٢]

ومن افتراءات الشيخ المدني وطعوناته في إمام الدعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب وأتباعه ما يلي :

قال الشيخ المدني وهو يقارن بين علماءه وبين أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما معناه :

---

(١) انظر " مكتوبات شيخ الإسلام " ٣/٧٩ ، ٨٠ .

(٢) وقد تقدم ذكر بعض النماذج من أقوال المدني في الشيخ محمد بن عبدالوهاب في المقدمة وفي هذا الباب وفي الأبواب الأخرى مثل « حياة النبي ﷺ » و«التقليد» و «الرحمن على العرش استوى» و« شد الرحال» وغيرها.

« إن الشيخ الكنكوهي - قدس الله سره العزيز - وأتباعه يسلكون مسلك الإحتياط الشديد في تكفير المسلمين ويتحمسون لاتباع السلف الصالح ، بخلاف الوهابية ، حيث أنهم يكفرون المسلمين بأدنى شبهة وهمية ، ويستحلون أموالهم وغيرها».(١)

وقال :

« إن هؤلاء - علماء ديوبند - يثبتون شفاعة الرسول المقبول عليه السلام ، بخلاف الوهابية ، فإنهم يأتون في هذه المسألة بآلاف التأويلات ،وبحيث يصلون قريباً من منزلة إنكار الشفاعة».(٢)

هذا ، وقد فصّل المدني كلامه في بيان تعظيم علمائه وأكابره للحرمين الشريفين ، وحبهم النبي ﷺ ، واتباعهم لآثاره وسننه ، ثم قال في كلمات صريحة بأن الوهابية ليسوا كعلماء ديوبند في جميع هذه الأمور المذكورة ، ولا يعتقدون مثل اعتقادهم ، بل يسيئون إلى شخصية الرسول ﷺ ولا يعظمونه ولا يحترمون الحرمين الشريفين ، وتوطيداً لدعواه فقد نقل المدني أبياتاً لعلماءه تتعلق بحب الرسول ﷺ ، ثم قارن بينهم وبين أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - قائلاً :

« أهذه هي حال الوهابية الخبثاء ؟ أمثل هذه الكلمات تخرج من ألسنتهم النتنة ؟ أمثل هذه العبارات

---

(١) انظر " الشهاب الثاقب " ص ٤٤ .
(٢) " الشهاب الثاقب " ص ٤٧ .

الخلابة تصدر من أقلامهم النجسة ؟ كلا ، إن هؤلاء الخبثاء يرون مثل هذا الكلام شركاً ، ويعدون هذا الموضوع - أي موضوع مدح الرسول ﷺ - نوعاً من أنواع الخرافات». [1]

ملحوظة :

لقد حاول بعض علماء ديوبند في العصر المتأخر أن يبرؤا علماءهم عما كتبوه في الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه وأن يثبتوا رجوعهم عن كل ذلك ،ولكنه وللأسف الشديد أن جميع هذه المحاولات غير أمينة، فإنها دعايات لا تتجاوز القول بالأفواه ، بل مجرد لبس يهدف إلى أغراض وغايات ، فإنهم يتظاهرون بها في مكان دون آخر ، وبين شخصيات دون أخرى ، فالكتب التي أفردوها بالتأليف رداً على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته ، والتي تحتوي على الإفتراءات والمطاعن والأقاويل المكذوبة على الدعوة وأتباعها ، كلها ما زالت مروجة عندهم طبعاً ونشراً وتصديراً ، تحظى بالإعجاب والقبول لدى علمائها وعامتها . ولمزيد من الإطلاع على هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب " دعوة الإمام محمد ابن عبدالوهاب في شبه القارة الهندية " [2].

● رأي علماء السنة في الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه ●

تقدم في السابق ذكر بعض أقوال علماء السنة في الشيخ الإمام

---

(١) " الشهاب الثاقب " ص ٥٠ ، ٥١ .

(٢) انظر الكتاب المذكور من ص ١١٨ - ١٣٤ ، ومن ص ١٤٠ - ١٥١ ، ومن ص ١٥٣ - ١٥٩ .

محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ، ولانريد إطالة الكلام بذكر ما قاله كبار العلماء في الشيخ - رحمه الله - فإن الأمر لا يحتاج اليوم إلى بيان وتفصيل لكل من لديه رغبة في معرفة الحق والصواب ، وإنما نكتفي على ذكر أوجز ما قاله علماء السنة في الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - إجابة على سؤال وجه إليهم ، وفيما يلى نص السؤال والجواب :

« **السؤال** :قال لي بعض الناس إن هناك (الوهابية) فقلت لهم إنه ليس هناك (وهابية) وإنما هي دعوة أطلقها الأشراف ليبعدوا الناس عن الدعوة الإصلاحية ، ولكن أحدهم قال لي : إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله كان فعلاً مصلحاً دينياً ولكنه انحرف في آخر حياته حيث رفض بعض الأحاديث النبوية الصحيحة لأنها لا توافق رأيه ، فما هو قولكم ؟.

الجواب : الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله من أكبر الدعاة إلى السلفية والعقيدة السليمة والمنهج القويم وكتبه رحمه الله حافلة بذلك.

وما ذكرت من أن أحد خصوم دعوته قال لك : إن الشيخ انحرف في آخر حياته حيث رفض بعض الأحاديث الصحيحة لأنها لا توافق رأيه - فهو كذب وافتراء على الشيخ ، فقد توفي وهو من أشد الناس احتراماً للسنة وتقبلاً لها بل ودعوةً إليها ، رحمه الله».[1]

---

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة ١٧٣/٢ ، ١٧٤ .

التقليد واجب، وتركه يؤدي إلى الإلحاد والزندقة

□ سئل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري :

« هل يصح لرجل يقلد أحداً من الأئمة الأربعة في جميع الأصول والفروع أم لا ، وعلى تقدير الصحة هل هو مستحب أم واجب ،ومن تقلدون من الأئمة فروعاً وأصولاً؟»[1]

فأجاب عليه بقوله :

« لا بد للرجل في هذا الزمان أن يقلد أحداً من الأئمة الأربعة رضي الله تعالى عنهم بل يجب ، فإنا جربنا كثيراً من ترك تقليد الأئمة واتبع رأي نفسه وهواها لسقط في حفرة الإلحاد والزندقة ، أعاذنا الله منه، ولأجل ذلك نحن ومشائخنا مقلدون في الأصول والفروع لإمام المسلمين أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، أماتنا الله عليه وحشرنا في زمرته ، ولمشائخنا في ذلك تصانيف عديدة شاعت واشتهرت في الآفاق».[2]

□ وقال الشيخ حسين أحمد المدني وهو يذكر الفرق الشاسع بين

---

(١) هذا السؤال الثامن والتاسع والعاشر من كتاب " المهند " ص ٤٢ .
(٢) انظر " المهند " ص ٤٣ .

أكابر ومشايخ ديوبند وبين أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

« إن الوهابية يرون تقليد إمام معين شركاً في الرسالة. ويذكرون الأئمة الأربعة ومقلديهم بكلمات واهية خبيثة ، ومن أجل ذلك يخالفون أهل السنة والجماعة ، وغير المقلدين بالهند أتباع لهذه الطائفة الشنيعة ، وإن وهابية نجد العرب مع ادعائهم أنهم حنابلة، إلا أنهم لا يعملون بمذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمة الله عليه - في جميع المسائل ، بل يتركون الفقه الحنبلي إذا عارضه حديث على فهمهم ، وهم أيضاً متعودون على استخدام الكلمات البذيئة والسيئة في أكابر الأمة ، مثل إخوانهم غير المقلدين ، وأما أكابرنا فهم مخالفون لهذه الطائفة في جميع هذه الأمور ، فهم مقلدون للإمام الأعظم أبي حنيفة رحمة الله عليه ، في الأصول والفروع ، ويرون وجوب تقليد إمام من الأئمة الأربعة ، كما فصّل في ذلك الشيخ النانوتوي في كتابه " لطائف قاسمية " والشيخ الكنكوهي في " سبيل الرشاد " ، بل أن الشيخ الكنكوهي ألف رسالة مستقلة في وجوب التقليد الشخصي ، حيث أنه قد ألف عدة رسائل في الرد على الوهابية . . . ».[1]

---

(١) انظر " الشهاب الثاقب " ص ٦٢ ، ٦٣ .

□ وقال الشيخ محمود الحسن الديوبندي الملقب بشيخ الهند (١٣٣٩هـ) وهو يوجب تقليد الإمام أبي حنيفة ، حتى ولو كان رأيه مخالفاً للحق الصريح ، حيث قال :

« فالحاصل : أن مسألة الخيار من مهمات المسائل، وخالف أبو حنيفة فيه الجمهور وكثيراً من الناس المتقدمين والمتأخرين ، وصنفوا رسائل في ترديد مذهبه في هذه المسألة ، ورجّح مولانا الشاه ولي الله المحدث الدهلوي قدس سره في رسائله مذهب الشافعي من جهة الأحاديث والنصوص ، وكذلك قال شيخنا مدّظله بترجيح مذهبه ، وقال: الحق والإنصاف أن الترجيح للشافعي في هذه المسألة . ونحن مقلدون يجب علينا تقليد إمامنا أبي حنيفة».[1]

● رأي كبار علماء أهل السنة في هذه المسألة ●

قال فضيلة الشيخ محمد بن الصالح العثيمين - حفظه الله - إجابة على سؤال وجّه إليه :

« . . . ولكن ليعلم أن هذه المذاهب الأربعة لاينحصر الحق فيها بل الحق قد يكون في غيرها ، فإن إجماعهم على حكم مسالة من المسائل ليس إجماعاً للأمة ، والأئمة أنفسهم رحمهم الله ما جعلهم الله أئمة

---

(١) انظر " تقريرالترمذي " ص ٤٠ .

لعباده إلا حيث كانوا أهلاً للإمامة حيث عرفوا قدر أنفسهم ، وعلموا أنه لاطاعة لهم إلا فيما كان موافقاً لطاعة النبي ، ﷺ ، وكانوا يحذرون عن تقليدهم إلا فيما وافق السنة ، ولا ريب أن مذهب الإمام أبي حنيفة، ومذهب الإمام أحمد ، ومذهب الإمام الشافعي ، ومذهب الإمام مالك وغيرهم من أهل العلم أنها قابلة لأن تكون خطأ وصواباً ، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ، ﷺ .. ».[1]

---

(١) انظر تفصيل السؤال والجواب فى " فتاوى ابن عثيمين " ٥٨/٣ - ٦٣ .

تحريف النصوص

إن التحريف في نصوص الكتاب والسنة من الأمور الخطيرة التي تقشعر جلود المسلم من تصورها ،حيث أنه تقوّل وافتراء على اللّه سبحانه ، وعلى رسوله ﷺ ، وزيادة في كتاب اللّه وفي حديث نبيه ﷺ ، إلا أن علماء ديوبند لم يبالوا بذلك وحرفوا نصوصاً من القرآن الكريم ومن أحاديث الرسول ﷺ ، وذلك ترجيحاً لمذهبهم وتأييداً لمسائلهم الفقهية ، فإلى اللّه المشتكى.

□ **يقول الشيخ محمود الحسن الديوبندي في كتابه** " إيضاح الأدلة " حمايةً للتقليد وتأييداً للمذهب الحنفي ما ترجمته :

« كما أن طاعة النائبين بمنزلة طاعة الحكام ، كذلك طاعة الأنبياء عليهم السلام وجميع أولى الأمر طاعة للّه تعالى بعينها ، فمن رأي أن طاعة أتباع الأنبياء وطاعة أولى الأمر ليست داخلة في طاعة اللّه تعالى فهو كما يظن بعض قليل الفهم أن طاعة النائبين ليست داخلة في طاعة الحكام. ولذلك قال تعالى : فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى اللّه والرسول وإلى أولى الأمر منكم .
ومعلوم أن المراد من أولى الأمر في هذه الآية هم غير الأنبياء عليهم السلام ، فظهر من الآية أن الأنبياء عليهم السلام وجميع أولى الأمر واجب اتباعهم ، فأنتم (خطاب لأهل الحديث) قد رأيتم الآية ﴿ **فردوه إلى**

اللّه والرسول إن كنتم تؤمنون باللّه واليوم الآخر ﴾

ولكن ما علمتم إلى الآن أن القرآن الذي نقلتم منه هذه الآية موجودة فيه أيضاً تلك الآية التي نقلتها أنا، ولا عجب أنكم تفتون بنسخ إحداهما للأخرى ظنّاً منكم حسب عادتكم أنهما متعارضتان».[1]

والجدير بالذكر أنه بعد مرور ثلاثين عاماً على طبع هذا الكتاب ، تم طبعه للمرةالثانية في عام ١٣٣٠هـ ، ولكنه وللأسف الشديد أن علماء ديوبند لم يحذفوا منه هذه العبارة التي تشتمل على التحريف الواضح البين، ولم يعلقوا عليها شيئاً في الهامش[2] ، مع أن علماء أهل الحديث ردوا على مؤلفه وأنكروا على ما جاء به في كتابه من التحريف ، بعد طبع الكتاب للمرة الأولى ، وكان من الذين ردوا على مؤلف الكتاب المذكور الشيخ محمد بن إبراهيم الجوناكري وذلك في جريدته " أخبار محمدي " التي كانت تصدر في دلهي عاصمة الهند ، ثم ذكر ذلك كله في هامش كتابه " طلاق محمدي" ».[3]

---

(١) انظر " إيضاح الأدلة " ص ١٠٣ .

(٢) انظر طبعة عام ١٣٣٠هـ ص ٢٧ .

(٣) يقول الشيخ حمود التويجري – رحمه اللّه – رداً على ما فعله الشيخ محمود الحسن ، ونصه مايلي :

« قلت : ما فعله محمود حسن من الزيادة في القرآن ليس بهفوة فقط، وإنما هو كفر صريح ؛ لأنه صريح في الكذب على اللّه تعالى ، وقد حكم اللّه بكفر من كذب عليه ، ووصف الكاذبين عليه بأنهم من أظلم الظالمين ، وتوعّدهم بأشد الوعيد ».

ثم ذكر الشيخ – رحمه اللّه – نصوصاً من الكتاب والسنة تدل على كفر من كذب على اللّه تعالى ، وعلى أنهم من أظلم الظالمين ، ثم=

□ ومن الذين حرّفوا في كتاب اللّه **الشيخ شبلي النعماني** (المتوفي ١٣٣٢هـ) الملقب عند الحنفية بحجة الملة والدين وبشمس العلماء ، ألّف كتابه " سيرة النعمان " وذكر فيه أحوال الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - وسعى جاهداً فيه لترجيح مذهبه على المذاهب الفقهية الأخرى في المسائل المعروفة التي لا زالت مختلفاً فيها ، ومنها هل الأعمال داخلة في الإيمان أم لا ، وجاء بدلائل قاطعة - ظناً منه - على أن الأعمال ليست بداخلة في الإيمان ، ومن هذه الأدلة ذكر آية محرفة من عنده فقال :

« والآيات التي استدل بها الإمام يثبت بها بداهة أن الأمرين منفصلان ، لأن في جميع الآيات عطف العمل على الإيمان ، وظاهر أن الجزء لا يمكن عطفه على الكل " **من يؤمن باللّه فيعمل صالحاً** " فيه حرف

=قال:

« وإذا عُلم هذا ؛ فليعلم أيضاً أن الذين قرؤوا كتاب محمود حسن من تلاميذه وغيرهم من مشايخ الديوبنديين وجماعة التبليغ ، واطلعوا على ما وقع في الكتاب من الزيادة في القرآن ، ولم ينكروا ذلك ، ولم يغيروه : أنهم شركاء لصاحب الكتاب فيما يترتب على الزيادة في كتاب اللّه من الكفر والظلم والوعيد الشديد ؛ لأن الراضي بالذنب كفاعله ، والدليل على هذا قول اللّه تعالى :

﴿ **وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات اللّه يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم** ﴾.

[انظر : " القول البليغ " ص ١٢١ ، ١٢٢ ، وراجع أيضاً في هذه المسألة ما كتبه العلامة الدكتور تقي الدين الهلالي في كتابه " السراج المنير " والشيخ الدكتور بكر بن عبداللّه أبو زيد في كتابه " تحريف النصوص " ص ١٦٢ ، ١٦٣] .

التعقيب ، الذي يحصل به فصل قطعي في هذا البحث». (١)

هذه الآية في سورة التغابن ، وفيها ﴿ويعمل صالحاً﴾ ،ولكن حرّف فيها النعماني ليثبت أن العمل ذكر متعقباً بالفاء ومؤخراً ، أي بعد الإيمان مما يدل على أن الإيمان يكتمل دون العمل.

والجدير بالذكر أن علماء أهل الحديث قد ردوا على مؤلف " سيرة النعمان " في ما جاء به من تحريف النص في كتابه وأنكروا عليه ذلك ، ومنهم العلامة المحدث عبدالعزيز الرحيم آبادي وذلك في كتابه "حسن البيان في ما في سيرة النعمان "وطبع هذا الكتاب في دلهي عام ١٣٤٦هـ، ولكنه بعد طبع كتاب "حسن البيان " بسنوات طبع كتاب النعماني للمرة الثانية ، ولم يغيروا شيئاً من كتابه ولم يعلقوا على مكان التحريف رداً ولا إصلاحاً.

وفي العصر القريب ظهرت رسالة باسم " تحقيق مسألة رفع اليدين " لمؤلفها **مولانا أبو معاوية صفدر جالندري** ، ونشرها " أبوحنيفة أكيدمي ببهاولفور ، حاول مؤلفها فيها أن يجمع كل ما وجد من الأدلة على عدم رفع اليدين في الصلاة غير تكبيرة الإحرام ، وادعى أن عدم رفع اليدين ثابت من القرآن الكريم ، وقال إنه ورد في القرآن الأمر بالسكوت في الصلاة ، ثم ذكر ثلاث آيات في ذلك وقال في الثالثة : يقول الله تعالى : " **يأيها الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة** ".

ثم ترجم هذه العبارة باللغة الأردية محرّفاً فيها ، فقال ما ترجمته بالعربية :

---

(١) " سيرة النعمان " ص ١٢٧ .

« يا أيها الذين آمنوا كفوا أيديكم إذا صليتم »

ثم قال :

« وقد استدل بعض الناس بهذه الآية أيضاً على منع رفع اليدين في الصلاة ».[1]

وقد ارتكب غلاة الحنفية الديوبندية التحريف أيضاً في نصوص حديث الرسول المصطفى ﷺ ، وما يمنعهم من ذلك ، وقد ارتكبوا ما هو أعظم وأكبر من ذلك ، وهو التحريف في كلام اللّه تعالى ، ومن الذين حرفوا في حديث رسول اللّه ﷺ هو الشيخ محمود الحسن - الملقب بشيخ الهند لدى طائفته - فقد أخرج الإمام أبو داود في سننه بسنده عن الحسن أن عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - « **جمع الناس على أبي بن كعب ، فكان يصلي لهم عشرين ليلة ، ولا يقنت بهم إلا في النصف الباقي** ».[2]

هكذا نص الحديث في جميع نسخ السنن لأبي داود وشروحها ، المطبوعة إلى عام ١٣١٨هـ. ثم بدأ غلاة الحنفية الديوبندية يحرفون فيه مرحلة بعد مرحلة ، حيث طبع هذا الكتاب - السنن - بحاشية الشيخ محمود الحسن ، فجعلوا في صلب الحديث لفظ « **ليلة** » وأشاروا في الهامش إلى أن في بعض النسخ « **ركعة** » ، ثم طبع الكتاب - السنن - بحاشية الشيخ فخر الحسن الديوبندي فجعلوا في الصلب لفظ « **ركعة** » وفي الهامش « **ليلة** » وما ذلك كله إلا لإيهام الناس بأن النسخ مختلفة.

---

(١) راجع للتفصيل الكتاب المذكور ص ٥ ، ٦ .

(٢) سنن أبي داود ، ٢٠٣/١ ، طبع عام ١٢٨٣هـ.

وبناءُ هذا الإختلاف المزعوم المختلق هو أن هذا الحديث موجود في سنن أبي داود مع شرحه " بذل المجهود " للشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، في باب " قنوت الوتر " بلفظ « **عشرين ليلة** » ، ومكتوب في الحاشية " في نسخة « **ركعة** » ، كذا في نسخة مقروءة على الشيخ مولانا محمد إسحاق رحمه اللّٰه تعالى " . ولكنه لم يُذكر من القائل لهذا القول ؟ ومن الذي رأى تلك النسخة المقروءة على الشيخ محمد إسحاق ؟ وأين هذه النسخة القيمة ؟ ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى** ﴾.

وهذه نبذة يسيرة مما ارتكبه الديوبندية في كتاب اللّٰه وحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام ، من تحريف وتأويل، تأييداً لمذهبهم الفقهي، وردّاً على غيرهم في المسائل الفرعية. ومن الصعب جداً أن نذكر في هذه العجالة كل ما اطلعنا عليه من مثل هذه التحريفات، ومن أراد المزيد على ما ذكرناه فليراجع الكتب والمؤلفات الأخرى في هذا الموضوع.[١]

---

(١) انظر على سبيل المثال كتاب " تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الإستدلال " للدكتور الشيخ بكر بن عبد اللّٰه أبو زيد ، من مطبوعات دار العاصمة بالرياض ، وكتاب " زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً " للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد ، من منشورات مجمع البحوث الإسلامية بدلهي ، الهند ، وكتاب " نعم الشهود على تحريف الغالين في سنن أبي داود " للشيخ المحدث سلطان محمود ، وانظر أيضاً ما كتبه الشيخ صفي الرحمن المباركفوري في مقاله المنشور في مجلة " محدث " الشهرية ، الصادرة من الجامعة السلفية ببنارس - الهند - عدد : فبرائر لعام ١٩٨٦م.

قضية حياة النبيّ

إن النبيّ ﷺ وكذلك سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد توفتهم المنية في آجالهم، إنه أمر قطعيّ. فإنه ليس هناك أحد يكون خارج نطاق مبدأ ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ سواء كان نبياً مرسلاً أو شهيداً أو غيرهما. كما تدل عليه الآية: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾، وكما يُعْلَمُ من «قُبِضَ النبي ﷺ» و«توفى رسول الله ﷺ» وما إليهما من الأحاديث الأخرى، بالإضافة إلى أن الأمة الإسلامية قد أجمعت على ذلك ولا يجحد به أحد إلا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أكرمهم الله بعدما وافتهم المنية هذه بالحياة في القبر والبرزخ، وهي أسمى مكانة من حياة يتمتع بها الشهداء في سبيل الله. فعصارة القول: إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء في قبورهم وفي عالم البرزخ، كما تدل عليه الأخبار المتواترة:

١ ـ عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني وسليمان التيمي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أتيتُ وفي رواية مررت على موسى ليلة أُسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائمٌ يصلي في قبره» (صحيح مسلم ٢/٢٦٨ مسند أحمد بن حنبل ٣/١٤٨).

٢ ـ أخرج أبو يعلى في مسنده والبيهقي في كتاب حياة الأنبياء عن أنس رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».

٣ ـ قد نطق القرآن الكريم بأن الشهداء يتمتعون بالحياة، والأنبياء

أفضل من الشهداء فمن الأولى أن يكون الأنبياء أحياء، يقول الحافظ «ابن حجر» رحمه الله وهو يتناول القضية بالبحث: «وإذا ثبت أنهم أحياء من حيث النقل فإنه يقوّيه من حيث النظر كون الشهداء أحياء بنص القرآن والأنبياء أفضل من الشهداء» (فتح الباري ٦/٣٥٢) قد ثبت هذا بالقياس ولكن النبيّ ﷺ كونه شهيداً جاء ذكره بصراحة في الحديث أيضاً، فكان السبب من وراء وفاته ﷺ السم الذي وضعته امرأة يهودية بخيبر في الطعام وتناوله النبيّ ﷺ. فقد قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها قبيل وفاته بلحظات: «يا عائشة! ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم» (صحيح البخاري ٢/٩٣٧).

ولذلك قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف تسعاً أن رسول الله ﷺ قُتِلَ قتلاً أحب إليّ من أن أحلف واحدة أنه لم يُقْتَلْ، وذلك أن الله اتخذه نبياً واتخذه شهيداً» (مستدرك الحاكم ٣/٥٨ ـ وقال الذهبي: صحيح على شرط الشيخين).

كما أنه علم مما أخرجه الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه والإمام البيهقي في سننه أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هذه حياة برزخية، فإنها في عالم البرزخ، وأن هذه الحياة حياة جسمانية هي الأخرى، ولكنه ليس المراد من الحياة الجسمانية إلا أن أرواحهم تتصل بأجسادهم التي توجد في قبورهم، ولذلك فإن حياتهم فوق حياة الشهداء بكثير.

وتفصيل ذلك أن أرواح الشهداء تتصل في واقع الأمر بأجسادهم الموقتة في الجنة كما تضم أحاديث صحيحة كلمات «في جوف طير خضر» وبذلك فالشهداء إنما يتمتعون بحياة برزخية وليس بحياة جسمانية على حين إن الأنبياء تكون لأرواحهم علاقة مباشرة مع أجسادهم في الدنيا التي توجد في قبورهم سليمة، فتعود الروح إلى أجسامهم رغم أنها تتصل بأعلى عليين وهو الآخر، ولأجل أن الروح

تتصل بالأجساد الدنيوية توصف الحياة التي يتمتع بها الأنبياء بأنها حياة جسمانية ودنيوية، كما أنهم يسعدون بقوة الإدراك والمعرفة بفضل هذه العلاقة. فقد صرّح العلامة «تقي الدين السبكي»: حياة الأنبياء في القبور كحياتهم في الدنيا، وتشهد له صلاة موسى في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام». (إنباء الأذكياء للسيوطي ص: ١٢).

وقال السيوطي: «حياة النبي ﷺ في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً لما قام عندنا من الأدلة القطعية في ذلك وتواترت به الأخبار، وقد ألف الإمام البيهقي جزءاً في حياة الأنبياء عليهم السلام» (إنباء الأذكياء، ص: ٣) كما أن الإمام البيهقي قد صرّح في الصفحة رقم ٦ من كتاب الاعتماد: «الأنبياء بعدما قُبضُوا دارت إليهم أرواحهم، قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الفقيه الأصولي، شيخ الشافعية في أجوبة مسائل إنجاز مبين: «قال المتكلمون من أصحابنا أن نبينا ﷺ حتى بعد وفاته وإنه يبشر بطاعة أمته ويحزن بمعاصي العصاة منهم، وأنه يبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته وقال: إن الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض منهم شيئاً. . . إلى قوله: وأنه إذا صحّ لنا هذا الأصل قلنا نبينا ﷺ قد صار حياً بعد وفاته وهو على نبوته» (إنباء الأذكياء، ص: ٤).

فليس المراد من الحياة الجسمانية والدنيوية إلا أن أرواحهم الطيبة تكون بأجسادهم الدنيوية، ولذلك يترتب عليها بعض ما يترتب على الحياة في الدنيا من الصلاة والأذان وسماع السلام والرد عليه، إلا أن الحياة هذه ليست في كل صورها مثل الحياة الدنيوية فلا يترتب عليها كل ما يترتب على الحياة في الدنيا.

يقول العلامة السيد محمد الآلوسي الحنفي: «والمراد بتلك الحياة نوع من الحياة غير معقول لنا وهي فوق حياة الشهداء بكثير،

وحياة نبينا ﷺ أتم وأكمل من حياة سائرهم عليهم السلام.. إلى أن قال: «إن تلك الحياة في القبر وإن كانت يترتب عليها بعض ما يترتب على الحياة في الدنيا المعروفة لنا من الصلاة والأذان والإقامة وردّ السلام المسموع، إلا أنها لا يترتب عليها كل ما يمكن أن يترتب على تلك الحياة المعروفة» (روح المعاني ٢٢/٣٦) ولذلك فإنه إذا أراد رجل أن يرى تلك الحياة لن يراها ولن يشعر بها، وتبدو له الأجسام صامتة لا حراك بها، فإن تلك الحياة غير مرئية بالنسبة للآخرين، فيقول الآلوسي بعد ذلك: «فلو فُرِضَ انكشاف قبر نبيّ من الأنبياء عليهم السلام لا يرى الناس إلا كما يرون سائر الأموات الذين لم تأكل الأرض أجسادهم» (نفس الكتاب ٣٨).

فملخص القول: إن أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها اتصال مباشر بأجسادهم الطاهرة، ولذلك تعبر هذه الحياة بأنها حياة دنيوية جسمانية، ولكنه بما أن تلك الحياة لا يراها غيرهم فلا توصف بأنها حياة في ظاهر الأمر، ويترتب عليها كل ما يترتب على الموت الظاهري من المسائل (اللهم إلا بعضاً منها) ولذلك تمّ اختيار خليفة له ﷺ بعد أن انتقل إلى رحمة ربه، ولم يُسْتَشرْ ﷺ في خصوص فتنة ثارت ومصيبة نزلت ولا في القضايا المتنازع عليها.

وأما القول بأن أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما تتصل بأجسادهم في الدنيا لا غير، فإنه يدل عليه حديث صحيح، فقد جاء أنه: «حدثنا هارون بن عبد الله، ثنا حسين بن علي عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر بن أبي الأشعث السمعاني عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيها الصعقة. فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ قال: قالوا: يا رسول الله! كيف تعرض صلاتنا عليك وأرِمت؟ قال: يقولون: بليت، فقال: إن الله عزّ وجلّ حرّم على الأرض أجساد الأنبياء». (سنن أبي داود ١/ ١٥٠ ـ سنن النسائي، ومصنف ابن أبي شيبة).

إنما أُشْكِلَ على أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين لأجل أن الروح والجسد يوجدان جميعاً في الحياة ولكنه عندما يتحول الجسد إلى التراب بعد الموت فكيف تُعْرَضُ عليه ﷺ صلاتهم؟ فعلم أنهم كانوا على علم بأن صلاتهم لا تعرض على الروح وحدها وإلا فلم يكن ليخطر ببالهم سؤال، وإنما تُعْرَضُ الصلاة على الجسد، ولكنه كيف يمكن ذلك بعد أن تأكل الأرض الجسد؟ فردّ عليهم ﷺ قائلاً: إن أجساد الأنبياء لا تأكلها الأرض، وبذلك فقد وقف ﷺ بجانب ما كانت تراود أصحابه من فكرة في أن صلاتهم ستُعْرَضُ على الجسد، ومن البديهيّ أنه لا يمكن أن تعرض الصلاة إلا على الجسد الذي توجد فيه الروح هي الأخرى، وأنه لا يمكن عرضها على جسد بدون روح، فإنه لا يتحرك ولا يعرف شيئاً. فعُلِمَ أن الروح لا تتصل إلا بالجسد الدنيوي وحده.

ولأجل الحياة الدنيوية هذه لم يجز لأحد نكاح أزواجه ﷺ ولا يقسّم ميراثه، ولأجل اتصال الروح بالجسد في الدنيا يتمتع الأنبياء بموهبة الإدراك والمعرفة، التي يسمعون بها الصلاة عليهم وهم في قبورهم ويردون عليها، والمراد من الحياة الدنيوية الجسدية إنما هو اتصال الروح بالجسد الدنيوي، وليس أن يترتب عليها كل ما يمكن أن يترتب عليها في الدنيا، كما أن هذه الحياة لن يراها الآخرون من دونهم، فإنها أيضاً حياة برزخية، وبالمناسبة لا يغيبن عن البال، أن القاضي الشوكاني هو الآخر يقول بهذا النوع من الحياة المشار إليها أعلاه للنبيّ ﷺ فأنه يقول: «وقد ذهب جماعة من المحققين إلى أنّ رسول الله ﷺ حيّ بعد وفاته، وأنه يُسرّ بطاعات أمته، وأن الأنبياء لا يبلون، مع أن مطلق الإدراك كالعلم والسماع ثابت لسائر الموتى. . . إلى أن قال: وَرَدَ النص في كتاب الله في حق الشهداء أنهم أحياء يُرْزَقُونَ وأن الحياة فيهم متعلقة بالجسد فكيف بالأنبياء والمرسلين؟ وقد ثبت في الحديث أن الأنبياء أحياء في قبورهم. رواه المنذري وصححه البيهقي، وفي صحيح مسلم عن النبيّ ﷺ: «مررت بموسى ليلة أسري

بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي» (نيل الأوطار ٣/ ٢٦٤).

فقط والله أعلم

كتبه العبد محمد طاهر عفا الله عنه

المفتي بالجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند

٢٦/ ٥/ ١٣١٦ هـ

الجواب صحيح
حبيب الرحمن عفا الله عنه
مفتي دار العلوم ديوبند
٢٧/ ٥/ ١٤١٦ھ

الجواب صحيح
نائب المفتي بدار العلوم ديوبند

الجواب صحيح
نظام الدين
مفتي دار العلوم ديوبند

سماعه الصلاة والسلام عليه

من يحضر قبره ﷺ ويصلي ويسلم عليه فإنه يسمعه بنفسه، وقد أجمعت الأمة بأسرها، على ذلك، ويدل عليها الحديث الذي يقول: «من صلّى عليّ عند قبري سمعته ومن صلّى عليّ نائياً بُلِّغْتُه». كما أن الإمام البيهقي ومن إليه قد ذكروا في كتبهم حديثاً عن أبي هريرة رضي الله عنه في خصوص ذلك، ولكن في سنده «محمد بن مروان السدّي الصغير» وهو ضعيف، وروى نفس الحديث «أبو الشيخ الاصبهاني بسنده في كتابه «كتاب ثواب الأعمال»، وجميع رواته ثقة معروفون، ويرى المحدثون هذا الحديث بسنده صحيحاً وجيداً. فقال الحافظ ابن حجر: «وأخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب بسند جيد بلفظ «من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائياً بلغته» (فتح الباري ٦/٣٥٢) وقال العلامة السخاوي: «وسنده جيد» (القول البديع) وصرّح الملا علي القاري: «بسند جيد» (مرقاة المفاتيح) وذكر النواب «صديق حسن خان»: «إسناده جيد» (دليل الطالب ص: ٨٤٤).

ويرى ابن الصلاح من علماء الحديث التسوية بين الجيد والصحيح، كما أن هناك محدثين يرون الحديث الجيد فوق الحديث الحسن لذاته وأقل من الصحيح رتبة فقد جاء: «إن ابن الصلاح يرى التسوية بين الجيد والصحيح، ولذا قال البلقيني بعد أن نقل ذلك: ومن ذلك يعلم أن الجودة يعبر بها عن الصحة. وفي جامع الترمذي في الطب هذا حديث جيد حسن، وكذا قال غيره لا مغايرة بين جيد

وصحيح عندهم، إلا أن الجهبذ منهم لا يعدل عن صحيح إلى جيد إلا لنكتة، كأن يرتقي الحديث عنده من الحسن ويتردد في بلوغه الصحيح فالوصف به أنزل رتبة من الوصف بصحيح وكذا القوي» (تدريب الراوي، ص: ١٠٤).

وعصارة الحديث أن الجيد يساوي الصحيح أو يكون أنزل رتبة من الصحيح وفوق الحسن لذاته، فإنه لا يختلف الجمهور من علماء الحديث في كونه حجة يُحْتَجُّ بها.

واستدل الجمهور من أهل السنة والجماعة على سماعه ﷺ الصلاة والسلام عند قبره بسند أبي الشيخ وهو جيد، وليس بحديث رواه السدّي وهو ضعيف.

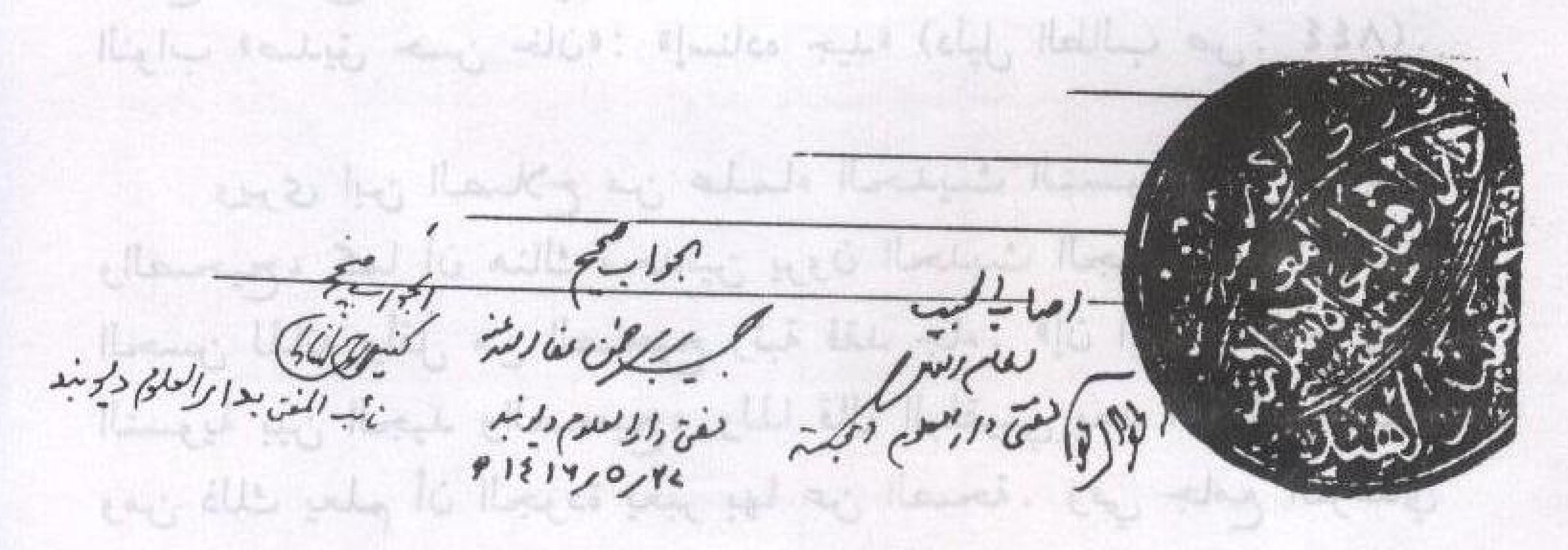
كما أن رواية أبي الشيخ لها شواهد كثيرة، وقد تلقاها العلماء بالقبول فإنه لم يزل الجمهور من علماء الأمة يرون حتى يومنا هذا أن رسول الله ﷺ يسمع هو بالذات ما يُصَلّى ويُسَلَّمُ عليه عند قبره.

فإنكار هذا الأمر وإلقاء حديث «من صلّى عليّ...» ظهرياً قائلاً بأنه ضعيف يقوم على الجهل أو على تمرد وتعنت. فإننا لم نحتج بالحديث الذي سنده ضعيف. والله أعلم.

كتبه العبد محمد طاهر عفا الله عنه

المفتي بالجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند

١٣١٦/٥/٣٦ هـ





زيارة قبره ﷺ

إن زيارة قبره عليه الصلاة والسلام طاعة حسنة تضمن أجراً بالغاً ومرتبة سامية في الجنة وإن استدعى ذلك إلى سفر وإنفاق مال.

وينبغي أن ينوي لدى سفره زيارة قبره ومسجده صلى الله عليه وسلام جميعاً والأفضل كما قال العلامة ابن الهمام أن يجرّد النية لزيارة قبره ثم إذا قدم قبره تحصل له زيارة مسجده أيضاً. فقال العلامة ابن الهمام: «الأفضل أن يجرّد النية لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام ثم يحصل إذا قدم، زيارة المسجد، لأن في ذلك زيادة تعظيمه وإجلاله صلى الله عليه وسلم» (فتح القدير).

نسرد فيما يلي أدلة على هذه المسألة:

١ ـ روى ابن عدي بسند حسن «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني» (بذل المجهود ٣/ ٢٠٣).

٢ ـ روى الطبراني في الكبير عن ابن عمر مرفوعاً، قال النبي ﷺ: «من جاءني زائراً لا يهمه إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون شفيعاً». صححه ابن السكن، قلت: قوله ﷺ: «من جاءني زائراً لا يهمه إلا زيارتي» يعم كل من جاءه من بلاد شاسعة وأمكنة قاصية أو دانية كما لا يخفى، فدل على استحباب شد الرحال لزيارته ﷺ. (إعلاء السنن ١/ ٤٩٥).

٣ ـ روى الدارقطني والطبراني في الكبير والأوسط من طريق

حفص بن أبي داود عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي» إسناده حسن (نفس الكتاب /٤٩٨).

٤ ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إن بلالاً رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول: ما هذه الجفوة؟ يا بلال! أما آن لك أن تزورني، يا بلال! فانتبه حزيناً وجِلاً خائفاً فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبره ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه.. إلى آخر الحديث، رواه ابن العساكر، وقال السبكي: إسناده جيد ـ وقال في شفاء السقام: «وليس اعتمادنا في الاستدلال بهذا الحديث على رؤيا المنام فقط، بل على فعل بلال رضي الله عنه وهو صحابي، لا سيما في خلافة عمر رضي الله عنه والصحابة متوفرون ولا يخفى عنهم هذه القصة. ومنام بلال ورؤياه للنبي ﷺ الذي لا يتمثل به الشيطان، وليس فيه ما يخالف ما ثبت في اليقظة، فيتأكد به فعل الصحابي» (إعلاء السنن ٨/ ٢٨٤).

هذه أحاديث وآثار قد سردناها. وفي كتب الحديث روايات عديدة غيرها، ورغم أن طرق بعض منها ضعيفة إلا أن هناك روايات أخرى إسنادها قوي، وبالجملة تبلغ هذه الروايات كلها قوة يستفاد منها في صراحة إباحة شد الرحال لزيارة قبره ﷺ ووجوبه من بعضها.

«وأما الحديث الذي يقول: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد» فإن لا صلة له بهذا الأمر، لأن القصر فيه إضافي بالنسبة إلى المساجد لا إلى جميع البقاع. والمعنى أنه لا تُشَدُّ الرحال إلى مسجد لأجل تعظيمه والصلاة فيه سوى المساجد الثلاثة، فإنها تشدّ الرحال إليها لتعظيمها والصلاة فيها. وأما شد الرحال إلى غير المساجد فلم يُتعرَّض عنه في هذا الحديث، والدليل على ذلك أنه قد ثبت بإسناد حسن في بعض ألفاظ الحديث: لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلى مسجد تبتغي فيه الصلاة غير مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد

الأقصى اهـ. فالزيارة وغيرها خارجة عن النهي.. وإن كان الحصر فيه حقيقياً أي بالنسبة إلى جميع البقاع لاقتضى الحديث منع شد الرحال إلى غير المساجد على الإطلاق. وقد ثبت بالإجماع جوازه للتجارة وسائر مطالب الدنيا ووجوبه إلى عرفة ومنى ومزدلفة للمناسك، وإلى الجهاد والهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واستحبابه لطلب العلم». فقط والله أعلم.

كتبه العبد محمد طاهر عفا الله عنه

المفتي بالجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند

١٣١٦/٥/٣٦ هـ

الجواب صحيح

الجواب صحيح

عبد الرحمن عفا الله عنه

مفتي دار العلوم ديوبند

الجواب صحيح

١٣١٦/٥/٢٦ هـ

نائب المفتي بدار العلوم ديوبند

التوسل

إن التوسل بنبي أو وليّ والاستغاثة والاستعانة بهما ظناً بأنهما يقضيان الحاجة ويفرّجان الكربة ويتصرفان في الأمور، أمر محرم وشرك وجاء في كتاب «ردّ المحتار»: «ومنها إن ظنّ أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى واعتقاده ذلك كفر» (رد المحتار ٢/ ١٢٨) وأما إذا لا يعتقد ذلك، وإنما يدعو الله توسلاً بهم وببركتهم ظناً منه بأنهم من صالحي عباد الله الذين قد اصطفاهم فيقول: اللهم تقبل دعوتي ببركة ذلك الولي وحقه فإن هذا النوع من التوسل جائز عند الجمهور من أهل السنة والجماعة في حياة الأنبياء والأولياء وبعد مماتهم أيضاً. ولكن الحافظ ابن تيمية رحمه الله وأتباعه ينكرون ذلك ويقولون: إنه لا يجوز، ومما ينبغي أن يُعْلَمَ أنه لم ينكر هذا النوع من التوسل عالم قبله، وإنما أنكره ابن تيمية وحده. فيقول العلامة السبكي وهو يفند ما قاله ابن تيمية: «وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقارفه عالم قبله وصار به بين أهل الإسلام مثله» (شفاء السقام، ص: ١٢٠).

ويقول العلامة ابن عابدين الشامي الحنفي: «وقال السبكي: يحسن التوسل بالنبي ﷺ إلى ربه، ولم ينكره أحد من السلف والخلف إلا ابن تيمية، فابتدع ما لم يقله عالم قبله» (رد المحتار ٥/ ٢٥٤).

ولكن التوسل بالأعمال الصالحة يجوز عند ابن تيمية هو الآخر، فيقول: «فالتوسل بالنبيين هو التوسل بهم وبطاعتهم كالصلاة والسلام

عليهم، ومحبتهم وموالاتهم أو بدعائهم وشفاعتهم، وأما نفس ذواتهم فليس فيها ما يقتضي حصول مطلوب العبد وإن كان لهم عند الله تعالى الجاه العظيم (فتاوى ابن تيمية).

ولكن الاختلاف في شأن التوسل بالذوات وبصالح الأعمال إنما يرجع إلى اختلاف في اللفظ، فإن الذين يرون التوسل بالذوات جائزاً لن يريدوا به أن يُتَوَسَّلَ بذاته ﷺ مفصولة عن صفة نبوته وخدماته الدينية (ونعوذ بالله من ذلك)، أو أن يُلْغَى شرط الإيمان به وحبه، فإنه لم يكن ليخطر ذلك بخلد أحد منهم، وكذلك فلا يراد بذلك أن توضع ذوات عباد الله الصالحين في الاعتبار بغض الطرف عن خدماتهم الدينية والمساعي التي بذلوها في سبيل هداية خلق الله، بل وإنه عندما يُتَوَسَّلُ بهم توضع في الاعتبار جميع حسناتهم ومواهبهم، ولن تُنْسَى قط كل ما يكرمهم الله به من نعم خاصة لأجل أعمالهم الصالحة، وإن كانت تُسَمَّى ذواتهم وحدها، وذلك لأنها قائمة بنفسها ولن يمكن القيام بالأعمال إلا بها، فعُلِمَ أنه إنما يُتَوَسَّلُ بالأعمال والمآثر فحسب.

ثم ينبغي أن يعلم أن التوسل المشروع له نوع آخر يعرف بـ«التوسل الفعلي»، ويراد به التوسل بالدعاء والاستشفاع، مفاده أن يتوسل برجل صالح وشخصية دينية تكون على قيد الحياة بأن يُرجى منه أن يتضرع إلى الله ويدعو الحضور معه رافعي أيديهم خاشعين له.

والتوسل الذي كان قد طلبه عمر بن الخطاب من العباس رضي الله عنهما كان هذا التوسل الفعلي أي التوسل بدعائه. فكان قد قام العباس للدعاء وشاركه عمر والصحابة الآخرون في الدعاء، وكان العباس بمنزلة الإمام وغيره كالمؤتم له، كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد روى عبد الرزاق من حديث ابن عباس أن عمر استسقى بالمصلى، فقال للعباس: قم فاستق، فقام العباس، فذكر الحديث فتبين بهذا أن القصة المذكورة أن العباس كان مسؤولاً وأنه ينزل منزلة الإمام إذا أمره الإمام بذلك» (فتح الباري ٢/ ٤١٢).

وصرّح العلامة العيني: «وبعده استسقى عمر بمن معه بالعباس عم النبيّ ﷺ، فجعلوه كالإمام الذي يسأل فيه، لأنه كان أمسس الناس بالنبيّ ﷺ وأقربهم إليه رحماً» (عمدة القارىء ٣/٤٣٦).

وجاء في روح المعاني: «الاستشفاع وهو أن يُطْلَبَ من الشخص الدعاء والشفاعة ويُطْلَبَ من الله تعالى أن يقبل دعاءه. ويؤيد ذلك أن العباس يدعو وهم يؤمّنون لدعائه حتى سقوا» (روح المعاني ٦/ ١٢٧).

فعلم في صراحة مما روي في «فتح الباري» عن عبد الرزاق أن هذا التوسل كان توسلاً بالدعاء والاستشفاع ولم يكن توسلاً بالذات والجاه، فمن الخطأ أن يستنبط بما قاله عمر بن الخطاب من أنه «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا». إن التوسل بذات رجل وجاهه إنما يجوز في حياته ولا يجوز بعد مماته. فإن هذه الرواية لا تضم قصة التوسل بالذات والجاه في شيء، وإنما يتضمن التوسل بالدعاء، وهو لا يمكن أن يُؤْتَى إلاّ بمن كان حياً.

وأما التوسل بذات أحد وجاهه ـ التوسل القولي ـ فإنه قد ورد ذكره في حديث رواه الإمام الترمذي في سننه: «عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير لك، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفِّعه فيّ». إن هذا الحديث يدل دلالة واضحة على التوسل بالذات والجاه، فإنه لا تضم أية رواية أنه عليه الصلاة والسلام قد دعا له، فلا يمكن أن يراد به التوسل بالدعاء، كما أن عثمان بن حنيف الذي يروي الحديث اعتبر هذا التوسل، التوسل بالذات والجاه لا غير، فإنه قد أخبر رجلاً بهذا الدعاء في أيام خلافة سيدنا عثمان بن عفان، ودعا الرجل الله وتحقق ما كان يريده. فقد

جاء: «حدثنا طاهر بن عيسى بن قيرس المقرىء المصري التميمي، ثنا أصبغ بن الفرج، ثنا عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي عن روح ابن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له وكان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقى ابن حنيف فشكى إليه ذلك، فقال ابن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ فأحسن الوضوء، ثم ائت المسجد فصلّ ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك... فانطلق الرجل فصنع ما قال، ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة وقضى له حاجته، ثم قال له: ما كان لك من حاجة فاذكرها، ثم إن الرجل خرج من عنده وتلقى ابن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته فيّ، فقال له ابن حنيف: والله ما كلمتُه، ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ: إن شئت دعوت اهـ... صححه الطبراني (المعجم الصغير، ص: ١٠٣)، وثبت بهذا الحديث أن التوسل الذي جاء ذكره في حديث الضرير هو توسل بالذات والجاه، فإنه قد تقرر في علم أصول الحديث أن الراوي يجيد معنى ما رواه من الحديث أكثر من غيره، كما أنه ثبت بالحديث نفسه أنه يجوز التوسل برجل صالح وحتى بعد موته، ويدل على عدم اشتراط الحياة أن هذا الحديث قد رواه الطبراني بإسناد جيد وزاد عليه «بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي».

(حاشية ابن حجر المكي على الإيضاح في مناسك الحج للنووي، ص: ٥٠٠).

فثبت بهذه الأدلة أن التوسل بالأنبياء والصالحين من عباد الله يجوز في حياتهم وبعد مماتهم جميعاً، والذين ينكرونه فإنهم يجحدون بالأحاديث الصريحة الواضحة، وفوق ذلك أنهم يلومون القائلين بجواز التوسل بل وإن هناك رجالاً منهم يعتبرون هذا التوسل إشراكاً بالله

ويصفون من يقول بجوازه بأنهم مشركون. وهذه جراءة كبيرة، فإن الكفر والشرك أمر خطير جداً، وإنه ما زال أهل العلم يتذرعون بجانب الحذر منذ قديم الزمان في شأن نسب أحد إلى الكفر والشرك، وذلك لأنه قد جاء في حديث صحيح ما معناه: إذا نسب أحد غيره إلى الكفر ولم يكن كافراً في واقع الأمر فإن ذلك يرجع إلى نفسه، فإنه إذا تفوه رجل جاهل بكلمة الكفر وأمكن تأويلها، يؤول العلماء ما قاله الرجل ولا يكفرونه.

وقد ذهب أهل السنة والجماعة كلهم غير الحافظ ابن تيمية وأتباعه إلى الجواز في هذه القضية التي تناولناها بالبحث آنفاً، ويستدلون بالأحاديث الصحيحة، وبالرغم من ذلك كله القول بأنهم يأتون بإشراك وبدعة خطير للغاية، وإنه افتراء عليهم وتهمة بهم. رزقنا الله الهداية. فهو أعلم بالصواب.

كتبه العبد محمد طاهر عفا الله عنه

المفتي بالجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند

١٣١٦/٥/٣٦ هـ

إهداء أجر تلاوة القرآن إلى الموتى

يستحب لمن يزور القبور أن يتلو الدعاء المأثور أولاً ثم يقرأ سورة الفاتحة أو غيرها من سور القرآن الكريم وآياته ويهدي ثوابها إلى الموتى. وكذلك إذا دُفِنَ الميت يستحب له بعد الانتهاء من دفنه أن يتلو أول سورة البقرة وآخرها عند رأس الميت، يقول الإمام أبو حنيفة والشافعي كلاهما: إن قراءة القرآن لدى القبر جائز. فقد جاء: «ويستحب حثيه من قبل رأسه ثلاثاً وجلوس ساعة بعد دفنه لدعاء وقراءة. . . . إلى قوله. . ويقرأ «يس» (الدر المختار مع رد المحتار ١/ ٦٠١ ـ ٦٠٥).

وجاء في كتاب الروح: قال الحسن بن الزعفراني: سألت الشافعي عن القراءة عند القبور، فقال: لا بأس (الكتاب نفسه ص: ١٤).

وكان الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ يرى ذلك بدعة وأمراً مُنكراً أوّلاً، ولكن عندما بلغه أثر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيه، رجع عن قوله، وأذِن لقراءة القرآن عند القبر. ذكر ذلك الحافظ ابن القيم مفصلاً، كما أنه ذكر قصة في هذا الشأن حدثت للعلامة محمد بن قدامة والإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله. فيقول: «قال عبد الحق يُرْوَى أن عبد الله بن عمرو أمر أن يُقْرأ عند قبره سورة البقرة وممن رأى ذلك العلي بن عبد الرحمن، وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أولاً حيث لم يبلغه فيه أثر ثم رجع عن ذلك. وقال الخلال في

الجامع كتاب القراءة: أخبرنا العباس بن محمد الدوريّ ثنا يحيى بن معين ثنا مبشر الحلبي، حدثني عبد الرحمن بن العلاء بن الحلاج عن أبيه قال: قال أبي: إذا أنا متّ فضعني في اللحد وقل: بسم الله وعلى سنة رسول الله، وسُنّ عليّ التراب سناً واقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها فإني سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك. . . . قال عباس الدوري: سألت أحمد، قلت تحفظ في القراءة على القبر شيئاً؟ فقال: لا، وسألت يحيى بن معين فحدثني بهذا الحديث».

«قال الخلال: وأخبرني الحسن بن أحمد الوراق ثنى علي بن موسى الحداد وكان صدوقاً قال: كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة فلما دُفِنَ الميت جلس رجل حزين يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: يا هذا! إن القراءة عند القبر بدعة. فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله! ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة، قال: كتبت عنه شيئاً؟ قال: نعم، قال: فأخبرني مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء بن الحلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دُفِنَ أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك. فقال له أحمد: فارجع، وقل للرجل ليقرأ».

«وذكر الخلال عن الشعبي قال: كانت الأنصار إذا مات الميت اختلفوا إلى قبره ويقرأون عنده القرآن» (كتاب الروح لابن القيم ص: ١٣ ـ ١٤).

وأودع ابن قدامة هذه القصة في كتابه «المغني» ٢/٥٦٦ وصرّح أن الإمام أحمد بن حنبل قد ذهب إلى أن قراءة القرآن عند القبر جائز».

وفي الصفحة رقم ١٥ وفي النسائي وغيره من حديث معقل بن يسار المزني عن النبي ﷺ أنه قال: «إقرأوا يس عند موتاكم ـ وهذا يحتمل أن يراد به القراءة على المُحْتَضَر عند موته ويحتمل أن يراد به

القراءة عند القبر والأول أظهر».

وكما أنه يجوز إهداء ثواب الصدقة والحج والصوم إلى الميت ويغني عنه، كذلك يجوز قراءة القرآن وإهداء ثوابها إليه وهو يغني عنه أيضاً، فتُغْفَر لأجله عن ذنوبه ويرتفع بمرتبته.

وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة وصول أجر الصدقة والصوم والحج، وليس هناك فرق في ما بين هذه الأشياء الثلاثة وبين قراءة القرآن، يستدعي وصول ثواب هذه الأشياء إلى الميت ويحول دون وصول أجر قراءة القرآن إليه.

وأما ما يقال: من أن رسول الله ﷺ قد صرح بوصول ثواب الصدقة والصوم والحج إلى الميت ولكنه لم ينكر وصول ثواب تلاوة القرآن إليه ما يثير شبهة في أن حكم قراءة القرآن يختلف عن حكم هذه الأشياء، إلا أن تتجلى بعد إمعان النظر أن هذه الشبهة ليست لها أية قيمة، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يبتدىء بوصول أجر الصدقة إلى الميت ولا أجر أمر غيرها وإنما أتى بذكر حكم في خصوص أمر سئل عنه سأله صحابي عن حكم الصدقة فذكر حكمها، وسأله رجل آخر عن حكم الصوم فذكر حكمه، وكذلك عندما سئل عن الحج ذكر حكمه. ولم يسأله أحد عن قراءة القرآن فلم يذكر حكمه، كما أن لم يمنع منه.

وقد أطال الكلام في هذه القضية الحافظ ابن القيم، وقام بالرد على ما يثار حولها من اعتراضات، وثبت فيما يلي كل ما ذكره، فيقول:

«وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجرة فهذا يصل إليه، كما يصل ثواب الصوم والحج، فإن قيل: فهذا لم يكن معروفاً في السلف ولا يمكن نقله عن واحد منهم مع شدة حرصهم على الخير، ولا أرشدهم النبي ﷺ إليه، وقد أرشدهم إلى الدعاء والاستغفار،

والصدقة والحج والصيام، فلو كان ثواب القراءة يصل لأرشدهم إليه ولكانوا يفعلونه. . . فالجواب أن مورد هذا السؤال إن كان معترفاً بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء والاستغفار، قيل له: ما هذه الخاصية التي منعت وصول ثواب القرآن واقتضت وصول ثواب هذه الأعمال؟ وهل هذا إلا تفريق بين المتماثلات، وإن لم يعترف بتلك الأشياء إلى الميت فهو محجوج بالكتاب والسنة والإجماع وقواعد الشرع.

وأما السبب الذي لأجله لم يظهر ذلك في السلف فهو أنهم لم يكن لهم أوقاف على من يقرأ ويهدي إلى الموتى، ولا كانوا يعرفون ذلك البتة، ولا يقصدون القبر للقراءة عنده كما يفعله الناس اليوم، ولا كان أحدهم يشهد من حضره من الناس على أن ثواب هذه القراءة لفلان الميت، بل ولا ثواب هذه الصدقة والصوم. ثم يقال لهذا القائل: لو كُلِّفت أن تنقل عن واحد من السلف أنه قال: اللهم ثواب هذا الصوم لفلان، لعجزت، فإن القوم كانوا أحرص شيء على كتمان أعمال البرّ، فلم يكونوا ليشهدوا على الله بإيصال ثوابها إلى أمواتهم. فإن قيل: فرسول الله ﷺ أرشدهم إلى الصوم والصدقة والحج دون القراءة، قيل: هو ﷺ يبتدئهم بذلك، بل خرج ذلك منه فخرج الجواب لهم فهذا سأله عن الحج عن ميته فأذن له، وهذا سأله عن الصيام عنه فأذن له، وهذا سأله عن الصدقة فأذن له ولم يمنعهم مما سوى ذلك. . . وأي فرق بين وصول ثواب الصوم الذي هو مجرد نية وإمساك وبين وصول ثواب القراءة والذكر. . والقائل: إن أحداً من السلف لم يفعل ذلك، قائل ما لا علم له به، فإن هذه شهادة على نفي ما لم يعلمه، فما يدريه أن السلف كانوا يفعلون ذلك ولا يشهدون من حضرهم عليه بل يكفي اطلاع علام الغيوب على نياتهم ومقاصدهم، لا سيما والتلفظ بنية الإهداء لا يُشْتَرَطُ كما تقدم وسر المسألة أن الثواب ملك للعامل، فإذا تبرع به وأهداه إلى أخيه المسلم أوصله الله إليه، فما الذي خص من هذا ثواب قراءة القرآن وحجر على العبد أن يوصله إلى أخيه؟ وهذا عمل الناس حتى المنكرين في

سائر الأعصار والأمصار من غير نكير من العلماء».

(كتاب الروح ص: ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

فقط والله أعلم

كتبه العبد محمد طاهر عفا الله عنه

المفتي بالجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند

١٣١٦/٥/٢٦ هـ

الجواب صحيح

مفتي دار العلوم ديوبند

٢٦/٥/١٣١٦ھ

الجواب صحيح

نائب المفتي بدار العلوم ديوبند

الجواب صحيح

مفتي دار العلوم ديوبند

هذه نبذة مختصرة من عقائد علماء ديوبند، وقد جاء هذا رداً على سؤال بعثه أحد الإخوة إلى مشايخ دار العلوم ديوبند، يسألهم فيه عن عقائدهم في حياة النبي ﷺ وسماعه وزيارة قبره، وحكم التوسل به ﷺ في قضاء الحوائج، وموقفهم من إهداء أجر تلاوة القرآن الكريم للموتى.

وبعد هذا العرض السريع لا مجال للشك أن هذه الفتاوى الصادرة من دار العلوم ديوبند تؤكد أنهم ما زالوا مصرين على هذه العقائد الفاسدة التي كان يفتي بها أسلافهم من كبار المحدثين والفقهاء، وقد جمعنا في هذا الكتاب فتاواهم وأقوالهم ومواقفهم الواضحة من هذه المسائل العقدية من كتبهم المعروفة.

هذا آخر ما تيسر لنا ذكره في هذا الكتاب، وسبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

فهرس المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - "القرآن الكريم وترجمة معانيه وتفسيره إلى اللغة الأردية" ، للشيخ محمود الحسن الديوبندي والشيخ شبير أحمد العثماني - طبع ونشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

٣ - صحيح البخاري .

٤ - صحيح مسلم .

٥ - جامع الترمذي .

٦ - "سنن النسائي" بحاشية الشيخ محمد التانوي ، طبع المطبع المجتبائي - دلهي .

٧ - سنن ابن ماجه .

٨ - "بذل المجهود في حل سنن أبي داود" ، للشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، طبع شركة الطباعة السعودية .

٩ - "سلسلة الأحاديث الضعيفة" ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، طبع المكتب الإسلامي - بيروت .

* * *

١٠- "آب حيات" ، للشيخ محمد قاسم النانوتوي .

١١ - "أرواح ثلاثة" ، للشيخ أشرف علي التانوي ، طبع إسلامي أكادمي - لاهور.

١٢- "أشرف السوانح" ، للخواجه عزيز الحسن مجذوب ، طبع تأليفات أشرفية - ملتان .

١٣- "أكابرين تحريك باكستان" ، للشيخ محمد علي ، طبع لاهور .

١٤- " **إمداد المشتاق** " ، للشيخ أشرف علي التانوي ، طبع دار العلوم - كراتشي ، وطبع إسلامي أكادمي - لاهور .

١٥- " **أنفاس قدسية** " ، للشيخ المفتي عزيز الرحمن الديوبندي .

١٦- " **إنكشاف** " ،

١٧- " **إيضاح الأدلة** " ، للشيخ محمود الحسن الديوبندي ، طبع مراد آباد - الهند ، وطبع عام ١٣٣٠هـ .

١٨- " **البريلوية - عقائد وتاريخ** " ، للعلامة إحسان إلهي ظهير ، طبع إدارة ترجمان السنة - لاهور .

١٩- " **البصائر** " ، للداجوي الحنفي .

٢٠ - " **تبليغي نصاب** " ، للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، طبع عتيق أكادمي - ملتان.

٢١- " **تحذير الناس** " ، للشيخ محمود الحسن الديوبندي

٢٢ - " **تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال** " ، للدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد ، طبع دار العاصمة - الرياض ، ١٤١٢هـ.

٢٣- " **تحقيق مسألة رفع اليدين** " ، لأبي معاوية صفدر الجالندهري ، طبع أبو حنيفة أكادمي - بهاولفور .

٢٤- " **تذكرة الخليل** " ، للشيخ محمد عاشق إلهي الميرتي ، طبع المكتبة القاسمية سيالكوت .

٢٥ - " **تذكرة الرشيد** "، للشيخ محمد عاشق إلهي الميرتي ، طبع إدارة إسلاميات لاهور.

٢٦- " **تعليم الدين** " للشيخ أشرف علي التانوي ، طبع دار الاشاعت - كراتشي .

٢٧- " **توحيد خالص** " ، لمؤلفه مسعود الدين العثماني ، طبع كراتشي .

٢٨- " **تيسير العزيز الحميد** " ، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب .

٢٩- " **جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة** " ، للدكتور عبد الرحمن بن عبدالجبار الفريوائي ، طبع الجامعة السلفية - بنارس ، ١٤٠٦ .

٣٠- "حاشية نظم الفرائد على شرح العقائد للنسفي" ، للشيخ محمد حسن السنبهلي.

٣١- "حركة الإنطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد" ، للشيخ محمد إسماعيل السلفي ، بتعريب الدكتور مقتدى حسن الأزهري - الجامعة السلفية بنارس - الهند ، الطبعة الأولى .

٣٢- "حكيم الأمت" ، للشيخ عبد الماجد الدريا آبادي ، طبع لاهور .

٣٣- "درس حيات" ، لمؤلفه بشارت كريم .

٣٤ - "دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في شبه القارة الهندية بين مؤيديها ومعانديها" للشيخ أبو المكرم بن عبد الجليل السلفي - طبع مكتبة دار السلام - الرياض ١٤١٤هـ.

٣٥- "الرفع والتكميل" ، بتقديم الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، طبع عام ١٤٠٧ هـ .

٣٦- "روح المعاني" ، للآلوسي .

٣٧- "الروض المجود" ، للشيخ فضل حق الخيرآبادي ، طبع مفيد الإسلام - حيدر آباد.

٣٨ - "زلزله در زلزله" ، للشيخ نجم الدين الجغتائي ، طبع كتب خانه مظهري-كراتشي.

٣٩- "زوابع في وجه السنة قديماً وحديثاً" للشيخ صلاح الدين مقبول أحمد ، نشر مجمع البحوث الإسلامية - دلهي .

٤٠- "السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم" ، للدكتور تقي الدين الهلالي، طبع عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٤١- "سوانح قاسمي" ، للشيخ مناظر أحسن الكيلاني ، طبع المكتبة الرحمانية-لاهور.

٤٢- "سيرة محمد يوسف" ، للشيخ محمد الثاني الحسني .

٤٣- "سيرة النعمان" ، للشيخ شبلي النعماني ، طبع لاهور .

٤٤- "شرح العقيدة الطحاوية" ، للإمام الطحاوي ، طبع المكتبة السلفية - لاهور .

٤٥- "شرح الفقه الأكبر" ، لملا علي القاري الحنفي .

٤٦- " **شرف أصحاب الحديث** " ، بتقديم الشيخ محمد إسماعيل السلفي ، طبع ونشر جمعية أهل الحديث - كوجرانواله ، باكستان .

٤٧- "**شمائم إمدادية**" ، للشيخ إمداد الله المهاجر المكي ، طبع مدني كتب خانه - ملتان

٤٨- " **الشهاب الثاقب على المسترق الكاذب** " ، للشيخ حسين أحمد المدني ، طبع آزاد برنتنك بريس - ديوبند .

٤٩- " **عقائد أهل السنة والجماعة** " ، للشيخ عبد الشكور الحنفي .

٥٠- "**عقائد وكمالات ديوبند** " ، للشيخ الله يار ، المكتبة الرشيدية - لاهور .

٥١- " **الفتاوى الإسلامية** " ، جمع وترتيب محمد بن عبد العزيز المسند ، طبع دار الوطن - الرياض .

٥٢- " **الفتاوى الإمدادية** " ، للشيخ إمداد الله المكي ، طبع دار العلوم - كراتشي .

٥٣- " **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية** " ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض.

٥٤- " **فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد**" ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض.

٥٥- " **فتوحات مكية** " ، طبع نفيس أكادمي - كراتشي .

٥٦- " **فضائل حج** " ، للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

٥٧- " **فضائل درود** " ، للكاندهلوي .

٥٨- " **فضائل صدقات** "، للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، طبع مكتبة إمدادية-ملتان.

٥٩- " **فوائد فريدية** " ، طبع مكتبة معين الأدب - ديره غازي خان ، باكستان .

٦٠- " **فيض الباري على صحيح البخاري** "، للشيخ محمد أنور شاه الكشميري ، طبع بيروت.

٦١- " **قصص الأكابر** " ، للشيخ أشرف علي التانوي .

٦٢- " **قواعد في علوم الفقه** " ، للشيخ حبيب أحمد الكيرانوي .

٦٣- " **القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ** " ، للدكتور حمود بن عبد الله التويجري ، طبع دار الصميعي للنشر والتوزيع - الرياض ، ١٤١٤هـ.

٦٤- " **كرامات إمدادية** " ، للشيخ أشرف علي التانوي ، طبع كتب خانه شرف الرشيد شيخوبوره - باكستان .

٦٥- " **كشف الشبهات** " ، للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، طبع مكتبة دار المنار - الخرج ١٤١٢هـ.

٦٦- " **اللمحات إلى ما في أنوار الباري من الظلمات** " ، للشيخ محمد رئيس الندوي ، طبع الجامعة السلفية - بنارس ، الهند .

٦٧- " **الماتريدية** " ، للشيخ شمس الدين السلفي الأفغاني ، طبع مكتبة الصديق - الطائف .

٦٨- "**مبشرات دار العلوم ديوبند** " ، للشيخ أنوار الحسن الهاشمي، طبع المكتبة الرشيدية-لاهور.

٦٩- " **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** " ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض .

٧٠- " **مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز** " ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- الرياض.

٧١- " **مجموع فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين** " ، طبع دار الوطن للنشر الرياض.

٧٢- "**مجموع دروس وفتاوى الحرم المكي** " ،

٧٣- " **محبت** " ، ، لمؤلفه صوفي اقبال ، طبع مكتبة دينيات - لاهور .

٧٤- " **مذكرة خطية - غير مطبوعة** " ، للشيخ محمد عثمان السّلفي (تعقيب على تفسير الشيخ شبير أحمد العثماني) .

٧٥- " مسلك علماء ديوبند " ، للشيخ محمد يوسف البنوري ، طبع دار الاشاعت كراتشي.

٧٦- " مسلك مشاهير العلماء " ، للشيخ فيوض الرحمن ، طبع - لاهور .

٧٧- "مقالات حكمت"، للشيخ أشرف علي التانوي، طبع ادارة تأليفات أشرفية-ملتان.

٧٨- " مقالات الكوثري " ،

٧٩- " مكالمة الصدرين " ، للشيخ محمد ذكي الديوبندي، طبع دار الاشاعت - ديوبند.

٨٠- "مكتوبات شيخ الإسلام " ، للشيخ نجم الدين الإصلاحي ، طبع مطبعة الجمعية دلهي.

٨١- " المهند على المفند " ، للشيخ خليل أحمد السهارنفوري ، طبع مكتبة مدنية - لاهور.

٨٢- " نزهة الخواطر " ، للشيخ عبد الحيء الحسني .

٨٣- " نشر الطيب " ، للشيخ أشرف علي التانوي ،طبع كراتشي .

٨٤- " نعم الشهود على تحريف الغالين في سنن أبي داود " ، للشيخ سلطان محمود.

٨٥- " نقش حياة " ، للشيخ أحمد المدني ، طبع دار الاشاعت - كراتشي .

٨٦- " وحدة الأمة " ، طبع مركزي انجمن خدام القرآن - لاهور .

٨٧- "ولي كامل" ، للمفتي عزيز الرحمن الديوبندي ، طبع مكتبة زكريا - لاهور .

* * *

٨٨- مجلة " الإمداد " تهانة بهون - الهند .

٨٩- مجلة " برهان " الشهرية - دلهي .

٩٠- صحيفة " الجمعية " اليومية - دلهي .

٩١- مجلة " القاسم " الشهرية ، دار العلوم - ديوبند .

٩٢- مجلة " محدث " الشهرية ، الجامعة السلفية - بنارس .

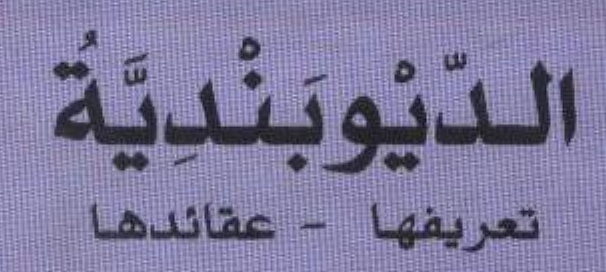
فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة


الدّيْوبَنْدِيَّةُ
تعريفها - عقائدها